

" المختصر الصحيح من حادي الأرواح لابن القيم "

تخريج واختصار
عبد الحميد أحمد الدخاخني

الطبعة الأولى

رجب الفرد ١٤١٠هـ
يناير ١٩٩٠م

دار المرابطين
للنشر والتوزيع
الإسكندرية - مصر

تطلب منشوراتنا من
مكتبة التوعية الإسلامية
لإحياء التراث الإسلامي
٨٦٨٦٠٥

قدر السلعة يعرف بقدر مشتريها والثمن المبذول فيها، والمنادي عليها، فإذا كان المشتري عظيماً، والثمن خطيراً، والمنادى جليلاً، كانت السلعة نفيسة.

* * *

اشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة ، والثمن موجود ، والبضائع رخيصة ، وسيأتي على السوق والبضائع يوم لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير ﴿ **ذلك يوم التغابن** ﴾ ﴿ **يوم يعض الظالم على يديه** ﴾ .

* * *

إنما يقطع السفر ويصل المسافر بلزوم الجادة وسير الليل ، فإذا حاد المسافر عن الطريق ، ونام الليل كله فمتى يصل إلى مقصده ؟ .

* * *

كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة ! .

* * *

هلم إلى الدخول على الله ومجاورته في دار السلام بلا نصب ولا تعب ولا عناء بل من أقرب الطرق وأسهلها ، وذلك أنك في وقت بين وقتين هو في الحقيقة عمرك وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل فالذي مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار - وهو عمل قلب - وما يستقبل تصلحه بالامتناع - عن الذنوب - والعزم والنية .

* * *

يا مخنث العزم! أين أنت والطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح ورمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين ونشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. تزهى أنت باللهو واللعب !!.

من درر ابن القيم
في كتـاب الفوائـد

تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾

سُورَةُ مَرْيَمَ

وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ
وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ فُصِّلَتْ

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد[1] أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [٣/١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [٤/١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [٣٣/٧٠] .   أما بعد[2]،

---

(١) ذكر الشيخ الألباني حفظه الله عن ابن القيم رحمه الله قوله في تهذيب السنن (٣/٥٤) . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (لما كانت كلمة الشهادة لا يتحملها أحد عن أحد ، ولا تقبل النيابة بحالٍ ، أفرد الشهادة بها ، ولما كانت الاستعانة والاستعاذة والاستغفار تقبل ذلك فيستغفر الرجل لغيره ويستعين الله له ،ويستعيذ بالله له أتى فيهما بلفظ الجمع) (خطبة الحاجة ص ١٠،١١) .

(٢) هذه هي خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يبدأ خطبته بها ، وكان يعلمها لأصحابه (لها طرق متعددة في الصحيح والسنن – راجع خطبة الحاجة للألباني) .

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله (٭) وسلم : « **الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ، ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** »[٣].

فمن تمام العمل بوصية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والنصح لإخواني المسلمين جميعاً ، أحببت بعد قراءتي لجوهرة ابن القيم (حادي[٤] الأرواح إلى بلاد الأفراح) أن أسهل قراءته وألخص فوائده وأقدمه للقارىء بصورة يستطيع معها كل طالب علم وكل شاب في بداية سيره إلى الله على درب الصالحين أن يستفيد منه فيثير فيه الشوق إلى جوار الرحمن في جنة عرضها السماوات والأرض فيسعى إلى الله بكل قوة ومضاء عزم ، فيتحقق من الكتاب هدف ابن القيم رحمه الله حيث يقول واصفاً كتابه (فهو للمحزون سلوة وللمشتاق إلى تلك العرائس جَلْوَة ، محرك للقلوب إلى أُجَلّ مطلوب ، وحادٍ[٤] للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس ، ممتع لقارئه ، ومشوق للناظر فيه ، لا يسأمه الجليس ولا يمله الأنيس ... مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات والآثار الموقوفات والأسرار المودعة في كثير من الآيات .. إذا نظر الناظر فيه زاده إيماناً وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً فهو مثير ساكن العزمات[٥] إلى روضات الجنات وباعث الهمم العليات إلى العيش الهني في تلك الغرفات) ويقول أيضاً رحمه الله : (وكان جُلُّ[٦] المقصود منه بشارة أهل السنة بما أعد الله لهم في الجنة ، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ونعم الله عليهم ظاهرة وباطنة) .

(٭) فى أصل المحقق : صلى الله عليه وسلم - فزيدت الصلاة على الآل هنا وفى الكتاب بأكمله - وهى ثابتة كما فى التشهد .

(٣) متفق عليه . رواه البخاري بنحوه في الإيمان ٥٧ ١٦٦/١ ، ومسلم في الإيمان ٩٥ ٧٤/١ واللفظ له .

(٤) الحادي ، هو الذي ينشد للإبل كي تسرع في السير وهنا بمعنى الداعي .

(٥) ساكِن العَزَمَات : فاتر الهمة . (٦) جُلّ : غالب .

واتباعاً لهدي رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »[٧] فأحببت لإخواني المسلمين جميعاً أن يشتاقوا إلى الجنة كما اشتقت وأن يشاركوني لذة تذوق هذا الكتاب بعد اختصاره وحذف أسانيد أحاديثه ، ومكرراته ، والاقتصار على ما صح من أحاديث وآثار . فإن من أهم واجبات طلاب العلم فضلاً عن العلماء الاهتمام بتقريب كتب السلف وتلخيص فوائدها وإحياء هذا التراث الإسلامي العظيم وتربية الناشئة عليه . ولا شك أننا في هذا الزمان وقد ضعفت همة الشباب في طلب العلم وانقطعت صلة المثقفين بكتب علماء الأمة السابقين ، ودرر كتاباتهم لفي أشد الحاجة إلى الاختصارات المنضبطة والمحققة لكثير من كتب السلف حتى لا تنقطع صلة الأمة بأصول عقائدها ومحركات تاريخها ومناهج تربيتها خاصة في هذا العصر المليء بالتحديات التي يواجهها الإسلام والمسلمون .

*** التحديات أمام المسلمين اليوم ، وصورة مضيئة من ماضيهم .**

والتحديات التي يواجهها المسلمون في هذا العصر كثيرة فمن غياب للفهم الصحيح للإسلام كما بينه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منذ أربعة عشر قرناً ، إلى عدم وجود أمة بمعنى الكلمة تجمع المسلمين جميعاً بدون نظر إلى اعتبارات الجاهلية من العنصر واللون والقومية بعد انهيار الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤ م بعد أن عاشت الأمة الإسلامية كدولة منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مكة إلى المدينة سنة ٦٢٢ م وامتدت هذه الأمة شرقاً حتى الصين وغرباً حتى جنوب أوربا في أسبانيا وفرنسا ، وشمالاً حتى بولندا وسيبيريا وجنوباً حتى أواسط أفريقيا . بل وعاشت في غرب أوربا ثماني قرون في دولة الأندلس الإسلامية بل وقاموا

(٧) متفق عليه . رواه البخاري في الإيمان ١٣ ١/٧٣ ، ومسلم في الإيمان ٤٥ ١/٦٧ .

بحملات وصلت إلى مشارف باريس ، وفي شرق أوربا فتح المسلمون ما يسمى حالياً : بلغاريا ورومانيا واليونان ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وألبانيا والمجر وجنوب بولندا والقسم الشرقي من النمسا وأجزاء من إيطاليا بل وحاصروا فيينا عاصمة النمسا مرتين في القرن السادس عشر ومرة في القرن السابع عشر الميلادي[٨]، وأسس المسلمون هذه الدولة وأقاموا حضارة إسلامية متميزة لم تكن مسخاً مشوهاً من الحضارة الرومانية أو الفارسية أو الهندية أو غيرها من الحضارات الوثنية الجاهلية ، بل أسسوا حضارة نابعة من عقيدة ، فأقاموا كل حياتهم على الإسلام انطلاقاً من قول الله عز وجل : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [١٦٢/٦] مدركين دورهم في الحياة ، فبنوا حياتهم كلها على هدي ونور الوحي الإلهي وفق المنهج الذي ارتضاه الله لهم ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً** ﴾ [٣/٥] ، فلم يقيموها على فكر بشري أو رؤية شخصية . كذلك فهموا دورهم في عمارة الأرض وفق ما شرعه الله وتقديم الإسلام للناس كافة في صورة بناء حقيقي في صورة مجتمع ملموس في صورة أمة واقعية فلم يتخلوا عن حياتهم ولم يقبعوا في زوايا مساجدهم ، بل انتشروا في كل الأرض داعين الناس جميعاً بدعوة كل الأنبياء والمرسلين ﴿ **اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُه** ﴾ [٥٩/٧] ... فكانت حضارة الإسلام التي نَعِمَ العالم فيها بأمة تجمع بين الدين والدنيا ، بين العقل والروح ، وتحققت بها مطالب البشرية في ثوبها الإسلامي القشيب .

ثم دب إلى هذه الأمة داء الأمم من قبلها ، من انتشار الترف والرفاهية ، ثم تركت بعض أوامر الله تعالى فتغيروا عن هدي هذا الدين العظيم فَغَيَّرَ الله

---

(٨) للتوسع : راجع أطلس التاريخ الإسلامي - إعداد : حسين مؤنس - طبع الزهراء للإعلام العربي .

عليهم ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [١١/١٣] ثم عَمَّت فيهم الأمراض من صوفية متواكلة متخاذلة ، وركون وميل إلى الدنيا ، وتَرْكٍ لواجب الأمة الإسلامية في الدعوة إلى الله على بصيرة ، وضُيِّعَ الجهاد في سبيل الله لنشر كلمة الله ، وأحسن الكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام الظن بأهوائهم وأساءوا الظن بدين الله ووحيه . وقام أناس تسربلوا بلباس العلماء فزينوا للناس الباطل وأوهموهم أنه الحق المبين . وقامت دول كثيرة في بلاد المسلمين وقد نبذت كثيراً من أصول الإسلام فضلاً عن فروعه ، وأطل الإلحاد برأسه في كثير من معاقل الإسلام وظهر النفاق بعد أن كان مستتراً مقموعاً ، وانفصلت حياة الناس عن دينهم وكثرت المظالم وعَمَّت الشرور ، ولما ضيع المسلمون دينهم ، ضاعت كذلك دنياهم فتخلفوا عن الغرب حضارياً بعد أن كانوا معلميه وأساتذته ، فضيعوا الدين والدنيا جميعاً ، وتكالب أعداء المسلمين عليهم فحاربوهم في وسط ديارهم وغلبوهم عليها ثم وصلت ذروة المأساة بإسقاط الخلافة الإسلامية وإلغائها بجرة قلم فقط . ثم لم يكتفِ أعداء الإسلام بذلك بل شوهوا الإسلام في ذهن ناشئة وشباب بل وشيوخ المسلمين جميعاً فأصبحوا لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ورسمه .

*** واجب شباب الأمة الإسلامية :**

فكل هذه التحديات التي تعصف بالإسلام وتهدد وجوده لابد وأن يوجد من يتصدى لها من شباب هذه الأمة فيدرك دوره الذي خلقه الله له وينهض متحملاً مسئوليته أمام الله طامحاً طامعاً في رضى الله ونيل ثوابه العظيم ألا وهو الجنة فكان قيامي بهذا العمل طمعاً في نيل ثواب الدالِ على الخير(٩).

---

(٩) قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من دل علي خير فله مثل أجر فاعله** » رواه مسلم في الإمارة ١٣٣ ١٥٠٦/٣ .

وكما قال الإمام مالك رحمه الله : (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) ، وما صلح أول هذه الأمة إلا بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بفهم صحابة رسول الله رضي الله عنهم .

أهمية هذا الكتاب :

والجنة التي يصفها ابن القيم ويجليها للقارىء لمن أعظم المحركات لقلب المؤمن للعمل الصالح في الدنيا - دار الاختبار والابتلاء - والصبر على طاعة الله وإن شقّت ، والصبر عن معاصي الله وإن تزخرفت وتزينت - وإن الاشتياق إلى مجاورة الرحمن في جنات الفردوس وعليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لَمِن أقوى المؤثرات في نفوس الصالحين وأعظم حافز لهم لبذل الجهد والثمن في دار الاختبار لنيل هذه الغاية العظيمة .

ألم تسمع أخي المسلم لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في غزوة بدر حيث قال : « **قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض** » ، **فقال عمير بن الحمام الأنصاري : يا رسول الله . جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال : نعم . قال : بَخٍ بَخٍ**[10]. **فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ما يحملك على قول بَخٍ بَخٍ ؟ . قال : لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال : فإنك من أهلها . فأخرج تمرات من قَرَنِه**[11]**فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه . إنها لحياة طويلة ! فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتِل** »[12].

---

(١٠) بَخٍ بَخٍ : كلمة تقال عند التعجب .

(١١) قَرَنه : أي جعبة النشابة (السهام) .

(١٢) رواه مسلم في الإمارة ١٤٥ ٣/١٥٠٩،١٥١٠،١٥١١ .

ألم تسمع صيحة أنس بن النضر في غزوة أُحُد حين قال : (**واهاً لريح الجنة أجده دون أُحُد ! فقاتل المشركين حتى قُتِل . فُوجِدَ في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فنزلت فيه هذه الآية ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللهَ عَلَيهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴾**[١٣] [٢٣/٣٣] .

فانظر أخي المسلم على أي شيء كان الصحابة يتفانون ؟[١٤] لماذا هجروا الأموال والأهل والديار ؟ ما الذي فرقهم في البلاد لنشر دين الله والصبر على إبلاغ دعوته إلى الناس كافة ؟ ما الذي دفعهم لتقديم كل غالٍ ورخيص في سبيل الله ؟ ... ليس والله إلا طلب رضوان الله تعالى ومجاورته في دار النعيم .... دار الخلود ... دار الطيبين ... الجنة .

وانظر إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حينما بايعه الأنصار في بيعة العقبة الثانية على : « **السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافون لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني**[١٥] **إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة قال جابر : فقمنا إليه فبايعناه فأخذ علينا وشَرَطَ**[١٦] **ويعطينا على ذلك الجنة** »[١٧] .

---

(١٣) متفق عليه : رواه البخاري في الجهاد ٢٨٠٥ ٢٦/٦ ، ومسلم في الإمارة ١٤٨ ١٥١٢/٣ .

(١٤) يَتَفَانُونَ : يقدمون أنفسهم للقتل والفناء .

(١٥) تمنعوني : أي تَحْمُوني .

(١٦) شَرَطَ : أي اشترط علينا شروطاً وواجبات .

(١٧) رواه أحمد ٣٢٢/٣، ٣٣٩ وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١٥٧/٣ : وهذا إسناد جيد على شرط مسلم ولم يخرجوه اهـ . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٦٣/٧ : رواه أحمد بإسناد حسن اهـ .

فلم يطمعهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمال أو بجاه ولم يعدهم بمنصب ولا متاع من متاع الدنيا ، وإنما عَلَّقَ قلوبهم برضا الله تعالى ... عَلَّقَ قلوبهم وشَوَّقَ نفوسهم لجنة عرضها السماوات والأرض .

فلما عظمت الجائزة سهل الوعر وهان التعب .. ولما لاحت الجنة لبصائر أولي الألباب جَدُّوا وشمروا للفوز بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

فهيا تنادوا يا أحباب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإخوانه[١٨]... (يا أقدام الصبر احملي ... بقي القليل) . وتذكروا آخر ما نطق به رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يجود بآخر أنفاسه من هذه الدنيا « **اللهم في الرفيق[١٩] الأعلى** »[٢٠].

فشَمِّرْ أخي المسلم عن ساعد الجد واحذر أن تضيع أوقاتك سدى .. فإن خفت على نفسك وقلبك الضعف أو الملل ، فتذكر ما أعد الله لك في الجنة من نعيم وقرة عين يَهُنْ عليك بذل الجهد وينأى عنك التعب ويسهل عليك كل عسير بإذن الله تعالى .

والآن إلى صفة دار الخلود .. دار الطيبين ... جنة النعيم .

---

(١٨) قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **وددت أنا قد رأينا إخواننا ، قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد** » رواه مسلم في الطهارة ٣٩ ٢١٨/١ .

(١٩) الرفيق الأعلى : هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** ﴾ .

(٢٠) للحديث قصة ، فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « **كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو صحيح يقول : إنه لم يُقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يُحَيَا – أو يُخيَّر – فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة ، غُشِيَ عليه ، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال : اللهم في الرفيق الأعلى . فقلت : إذا لا يختارنا ، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح** » . رواه البخاري في المغازي ٤٤٣٧ ٧٤٣/٧ .

وصف « حادي الأرواح » لابن القيم باختصار
وصعوبة الاستفادة منه في هذا العصر

* **موضوع الكتاب :**

الجنة وكل ما يتعلق بها في الآيات والأحاديث والآثار بخصوص خلقها – درجاتها – منازلها – غرفها – أهل الجنة – صفتهم – ملابسهم – طعامهم – شرابهم – كسوتهم – أنهار الجنة – أشجار الجنة – رؤية أهل الجنة لربهم عز وجل ...

* يعتبر حادي الأرواح لابن القيم رحمه الله من أجمع وأشمل ما كُتِب في صفة الجنة .

* **منهج ابن القيم في الكتاب :**

١ – الإكثار من الاستشهاد بالآيات القرآنية وأقوال الصحابة والتابعين في تفسيرها خاصة من تفسير الطبري .

٢ – الإكثار من أحاديث مسند أحمد والكتب الستة ، ثم بعد ذلك باقي مصادر الأحاديث المرفوعة والموقوفة والآثار مثل : معاجم الطبراني – موطأ مالك – صحيح ابن خزيمة – مستدرك الحاكم – مسند أبي يعلى – مسند البزار – مسند الطيالسي – سنن الدارمي – شعب الإيمان للبيهقي – مسند الشافعي – السنة لابن أبي عاصم – السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل – الحلية لأبي نعيم – الزهد لعبد الله بن المبارك – صفة الجنة لأبي نعيم – وصفة الجنة للمقدسي – الجعديات لعلي بن الجعد – البعث والنشور للبيهقي – البعث والنشور لأبي بكر بن أبي داود – شرح أصول اعتقاد أهل السنة : اللالكائي – وبعض التفاسير الأثرية مثل : تفسير ابن مردويه – تفسير سعيد بن منصور .. وغيرها .

٣ – التعليق على قليل من الأحاديث في غير الصحيحين بما يفيد قوتها أو ضعفها .

٤ - ملحوظات على منهج ابن القيم رحمه الله في الكتاب :

أ - الإطناب والإطالة في بعض المواضع حيث تُفْرَدُ عدة صفحات للبحث في فروع لا تهم كثيراً - خاصة في زماننا هذا - بل ولا ينبني عليها أي عمل مثل : هل الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام هي جنة الخلد أم غيرها ؟ ، وأقوال بعض أهل البدع ممن زعموا أن الجنة لم تخلق بعد وهكذا .

ب - التوسع الشديد في معالجة بعض المسائل والقضايا واستقصاء شبهات المخالفين والرد عليها - لأهمية ذلك في عصر ابن القيم خاصة - مثل قضية رؤية الله أخذت في إثباتها ما يقرب من ستين صفحة في النسخة الأصلية وهكذا .

جـ - ذكر العديد من روايات الحديث الواحد وأسانيدها عند المصنفين - حتى وإن كان لا يوجد خلاف إلا في لفظ أو لفظين - بل وأحياناً لا يكون هناك أدنى اختلاف .

د - ذكر غالب الأحاديث بأسانيدها عند المصنفين إلا ما رواه البخاري ومسلم فغالباً يذكر الحديث مع الصحابي أو مع التابعي ثم الصحابي .

هـ - سار ابن القيم رحمه الله على نهج غالب علماء عصره في عدم ذكر درجة كل حديث من الصحة أو الضعف - فكما يحتوي الكتاب على كم كبير من الأحاديث الصحيحة والحسنة ، فإنه يحتوي أيضاً على عدد لا بأس به من الأحاديث الضعيفة بل وقليل من الأحاديث المنكرة والموضوعة . وللإنصاف فإن هذه الأحاديث الموضوعة تكاد لا تذكر بالمقارنة مع غيرها . ولكن يقع القارىء - المعاصر - في حيرة هل هذا الحديث صحيح فيأخذ به ؟ أم ضعيف فيجتنبه ويتركه .

وكنتيجة لكل هذه الملحوظات: كان الكتاب يعتبر من الكتب التي يصعب على غير الباحثين والدارسين الاستفادة منه أما غالب الشباب والمثقفين فيندر أن يوجد من يقرأ الكتاب بأكمله أو يستفيد منه بسهولة أو يرجع إليه مرة أخرى لموضع يحب قراءته. فرأيت أن أقوم بتجديد شباب هذا الكتاب الطيب المبارك وتجليته للقارىء المعاصر في صورة يسيرة مناسبة لأذهان أهل هذا العصر .

منهج العمل في اختصار (حادي الأرواح)
لابن القيم رحمه الله

* الاعتماد على النسخة المطبوعة في (مكتبة المدني ومطبعتها) سنة ١٣٩٨ واتخاذها أصلاً .
* الاقتصار على ما يؤدى لفهم المعنى المراد من كلام ابن القيم دون عبارات التأكيد وحذف بعض الجمل أو الألفاظ التي لا تفيد المعنى ولا تقدم جديداً من أجل عدم الإطالة .
* حذف أو اختصار الأبحاث النحوية الطويلة ، وكذلك الأبحاث الكلامية خاصة التي لا يكون من ورائها عمل .
* المحافظة على عبارات ابن القيم ، فلا يختصر من الجملة إلا نادراً .
* إصلاح الأخطاء المطبعية أو أخطاء النسخ من كتب الأحاديث واللغة ومصادر التخريج وإكمال السقط ما بين معقوفتين هكذا [ ] .
* عند وضع أحاديث في بعض الأبواب وليست من أصل هذا الباب توضع بين معقوفتين هكذا [ ] .
* شرح الكلمات الغريبة من كتب اللغة والمعاجم .
* تمييز ألفاظ الآيات مع وضع علامات الشكل وكتابة رقم السورة ثم رقم الآية بين معقوفتين [ ] بعد الآية مباشرة – وكذلك تمييز الأحاديث النبوية والموقوفة .
* وضع عناوين مناسبة للفصول التي بدون عناوين بين معقوفتين [ ] .

أما عن الأحاديث والآثار :

* تخريج كل الأحاديث المرفوعة والموقوفة وغالب الآثار في الكتاب الأصلي .
* الاقتصار في هذا المختصر على الصحيح فقط من الأحاديث المرفوعة والموقوفة .

* آثار التابعين : لا يشترط فيها الصحة فإنما يستشهد بها دون أن تكون حجة في ذاتها .
* حذف أسانيد الأحاديث والآثار جميعها .
* عدم التوسع في ذكر الروايات للحديث الواحد ، بل الاقتصار على أشمل رواية إذا صحت .
* اقتصرت على تخريج الأحاديث من الصحيحين أو أحدهما إن كان فيهما أو في أحدهما لكفايتهما عن غيرهما في ذلك .
* عند عزو الحديث للصحيحين أو أحدهما لا يشترط استقصاء كل المواضع التي ورد فيها الحديث في الصحيح .
* عند عزو الحديث للبخاري اعتمدت نسخة فتح الباري – طبعة السلفية الأخيرة – يذكر أولاً الكتاب ثم رقم الحديث العام في البخاري ثم المجلد والصفحة .
* عند عزو الحديث لمسلم – اعتمدت طبعة محمد فؤاد عبد الباقي – يُذْكر أولاً الكتاب ثم رقم الحديث في هذا الكتاب ثم المجلد و الصفحة .
* يتم تخريج الحديث من الكتب الستة ومسند أحمد أولاً ثم غيرها من المصادر بعد ذلك .
* يتم ذكر مصدر الحديث أولاً ثم بيان العلماء الذين صححوه ، ومكان التحقيق أو الحكم بالصحة .
* الاعتماد في التصحيح على الحفاظ السابقين ، وكذلك بعض العلماء المعاصرين الموثوق بهم .

ـــ فمن السابقين : الحافظ المقدسي (صاحب صفة الجنة) ، الحافظ المنذري (صاحب الترغيب والترهيب) ، الحافظ ابن القيم (المؤلف) حيث يبين درجة الحديث أحياناً ، الحافظ ابن كثير (صاحب التفسير – البداية والنهاية – نهاية البداية والنهاية) ، الحافظ العراقي (صاحب تخريج

الإحياء) ، الحافظ الهيثمي (مع المراجعة) ، الحافظ السخاوي (صاحب المقاصد الحسنة) ، العلامة العجلوني (صاحب كشف الخفا ومزيل الإلباس) .

ـــ ومن المعاصرين : محدث الديار الشامية محمد ناصر الدين الألباني - حفظه الله ، العلامة أحمد شاكر رحمه الله (صاحب تحقيق مسند أحمد وغيره) - مع المراجعة ، الأستاذ شعيب الأرناؤوط حفظه الله ، الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله .

* تمت الاستفادة والاستئناس ببعض التحقيقات والتخريجات من الكتب الآتية :

ـــ مسند أبي يعلى . تحقيق الأستاذ حسين سليم أسد .

ـــ صفة الجنة لأبي نعيم . تحقيق الأستاذ علي رضا عبد الله (وهو تحقيق طيب لهذا المصدر الهام من مصادر ابن القيم في حادي الأرواح) .

ـــ التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة للآجري . تحقيق الأخ سمير الزهيري .

ـــ شعب الإيمان للبيهقي . تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد .

ـــ السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل . تحقيق د . محمد بن سعيد بن سالم القحطاني .

ـــ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللالكائي . تحقيق د . أحمد سعد حمدان .

ـــ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل . تحقيق وصى الله بن محمد عباس .

* ملحوظة : في أثناء التخريج كثيراً ما أقول : قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء برقم ... ، أو قال الزبيدي في تخريج الإحياء برقم ... ، فهذا من كتاب (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين) استخراج أبي عبد الله محمود ابن محمد الحداد ، حيث استخرج تعليق العراقي من كتابه (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار) وضم إليه تعليقات الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين)

* ملحوظة : أثناء التخريج كثيراً ما أقول : قال الأرناؤوط في شرح السنة ... أو قال الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ... ، فيراعى أنهما اثنان لا واحد ، فالأستاذ عبد القادر الأرناؤوط هو صاحب التعليق والتحقيق على جامع الأصول ، أما الأستاذ شعيب الأرناؤوط فهو صاحب التعليق والتحقيق على شرح السنة للبغوي .

خاتمــة :

وامتثالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** »[1] فإني أتقدم بجزيل الشكر لكل من ساعد في إخراج هذا الكتاب وكل من ساهم ولو بجهد غير مباشر في تقديمه بهذه الصورة الطيبة ، سائلاً الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا جميعاً . إنه سميع مجيب .

وليعلم أخي القارىء أنه لابد وأن يجد في هذا الجهد المتواضع بعض النقص مما يسبق به القلم أو ينبو عنه الفكر فكما رُوِيَّ عن الإمام الشافعي أنه قال : (لو عورض كتاب - أي روجع - مائة مرة لكان فيه نقص ، أبى اللهُ العصمة إلا لكتابه ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً** ﴾) .

فأرجو من أخي القارىء ألا يبخل عليَّ بنصح أو إرشاد أو دعوة إلى رشادٍ وسداد . ورحم الله أخاً أهدى إليَّ عيوب نفسي أو عملي .

أسأل الله تعالى أن يرزقني الإخلاص في النية والسداد في العمل . وأن ينفع المسلمين بهذا الكتاب . وأن يجود عليَّ بأجره يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، إنه سميع مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد عبده ورسوله الأمين .

كتبه

عبد الحميد أحمد الدخاخني

الإسكندرية في ١٤١٠/٣/٩ هـ

---

(١) رواه أحمد ٣٨٨/٢ ، وقال عنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤١٦ : وهذا سند صحيح على شرط مسلم ا هـ .

ترجمة ابن القيم[٢١]

هو الإمام المحقق الحافظ الأصولي الفقيه النحوي صاحب التآليف الكثيرة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية[٢٢].

* وُلِد في بيت علم وفضل في السابع من صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة في قرية زرع من قرى حوران . وتحول إلى دمشق وتتلمذ على طائفة من علمائها ، وأخذ عن أبيه علم الفرائض وسمع الحديث من الشهاب النابلسي ، والقاضي تقي الدين بن سليمان ، وأبي بكر بن عبد الدائم ، وعيسى المطعم ، وإسماعيل بن مكتوم ، وفاطمة بنت جوهر وغيرهم .
* وأخذ العربية عن ابن أبي الفتح البعلي ، وقرأ على الشيخ مجد الدين التونسي قطعة من المقرب لابن عصفور .
* وتلقى الأصول والفقه على الشيخ صفي الدين الهندي ، وشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ إسماعيل بن محمد الحراني .
* وقد لازم شيخ الإسلام ابن تيمية ملازمة تامة منذ عودته من مصر سنة ٧١٢ هـ إلى وفاته سنة ٧٢٨ هـ فنهل من فيض علمه الواسع واستمع إلى آرائه الناضجة السديدة وغلب عليه حتى كان يأخذ بأكثر اجتهاداته وينتصر لها ، وهو الذي هَذَّب كتبه ، ونشر علمه .

---

(٢١) باختصار وتصرف من مقدمة زاد المعاد في هدي خير العباد . لابن القيم . تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط .

(٢٢) الجوزية هي المدرسة التي أنشأها أبو المحاسن يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي . وقيم الجوزية يعني في زماننا الحالي ناظر ومدير المدرسة الجوزية . وكانت وظيفة والد صاحب الترجمة .

* وأهم ما استفاده منه : دعوته إلى الأخذ بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الصحيحة والاعتصام بهما ، وفهمهما على النحو الذي فهمه السلف الصالح ، وتجديد ما درس(٢٣)من معالم الدين الصحيح ، وتنقيته مما ابتدعه المسلمون من مناهج زائفة من تلقاء أنفسهم خلال القرون السالفة – قرون الانحطاط والجمود والتقليد الأعمى – وتحذير المسلمين مما تسرب إلى الفكر الإسلامي من خرافات التصوف، ومنطق يونان، وزهد الهند .
* كان من أهداف مؤلفاته بيان خصائص أهل السنة والجماعة وبيان الصراط المستقيم من خلال قاعدة كلية هي : طلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراده بألفاظ القرآن والحديث كما كان على ذلك الصحابة والتابعون لهم بإحسان وهذه القاعدة تعد ميزاناً صادقاً يوزن بها كل ما حدث أو سيحدث من آراء ومعتقدات أو أفكار أو نظريات في أي زمن من الأزمان . فإن الميزان مع الكتاب ، والله أنزل الكتاب بالحق والميزان ويفسر الصراط المستقيم فيقول : هو طريق الله الذي نصبه(٢٤)لعباده على ألسن رسله وجعله موصلاً لعباده إليه ، وهو إفراده بالعبودية ، وإفراد رسوله بالطاعة فلا يشرك به أحداً في عبوديته ، ولا يشرك برسوله أحداً في طاعته وهذا مضمون شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

تلامذته :

* الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي العالم الزاهد العمدة الثقة [المشهور بابن رجب الحنبلي صاحب كتب : جامع العلوم والحكم – علل الترمذي – ذيل طبقات الحنابلة] توفي سنة ٧٩٥ هـ .

---

(٢٣) دَرَسَ : اندثر .

(٢٤) نصبه : ميزه ووضحه .

* الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدمشقي [المشهور بابن كثير] له تآليف كثيرة أعظمها تفسيره المعروف والبداية والنهاية . توفي سنة ٧٧٤ هـ .
* الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي [المشهور بابن عبد الهادي] وتفقه وأفتى ودَرَّس وجمع وألَّف وكتب الكثير . توفي سنة ٧٤٤ هـ .
* شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن محيي الدين عثمان بن عبد الرحمن النابلسي الحنبلي، صحب ابن القيم وتفقه به. توفي سنة ٧٩٧ هـ
* ولده إبراهيم تفقه بأبيه وشارك بالعربية وسمع وقرأ واشتغل بالعلم . توفي سنة ٧٦٧ هـ .
* ولده شرف الدين عبد الله ، دَرَّس بالصدرية عوضاً عن أبيه رحمه الله ، فأفاد وأجاد .

من أقوال العلماء فيه :

* قال الحافظ ابن رجب : كان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين وإليه فيهما المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يُلحق في ذلك وبالفقه وأصوله ، وبالعربية وله فيها اليد الطولى .. وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى وتأله[٢٥] ولهج[٢٦] بالذكر ، وشغف بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله تعالى والانكسار له والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته لم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علماً ، ولا أَعْرَفَ بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان . وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله .

---

(٢٥) تأله : تعبد وتنسك .

(٢٦) لهج : ولوع واعتياد .

* وقال عنه الذهبي : عُني بالحديث ومتونه وبعض رجاله ، وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره وبالنحو ويدريه ، وفي الأصلين ، تصدر للاشتغال ونشر العلم .

* وقال عنه ابن كثير : برع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث والأصلين ولما عاد ابن تيمية من مصر سنة ٧١٢ هـ لازمه إلى أن مات فأخذ عنه علماً جماً مع ما سلف له من الاشتغال ، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة ، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً وكثرة الابتهال ، وكان حسن القراءة والخُلُق ، كثير التودد ، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ، ولا يحقد على أحد ، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه .

* وقال عنه برهان الدين الزرعي : ما تحت أديم السماء أوسع منه علماً .

* وقال عنه الحافظ ابن حجر : كان جريء الجنان ، واسع العلم ، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف .

* وقال عنه الشوكاني : كان متقيداً بالأدلة الصحيحة ، معجباً بالعمل بها ، غير مُعَوِّل على الرأي ، صادعاً بالحق ، لا يحابي فيه أحداً .

أهم مصنفاته :

* في الفقه والأصول : إعلام الموقعين عن رب العالمين- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية- أحكام أهل الذمة- إغاثة اللهفان- الفروسية- الصلاة .

* في الحديث والسيرة : تهذيب سنن أبي داود - زاد المعاد في هدي خير العباد .

* في العقائد : الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة- شفاء العليل- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح- كتاب الروح .

* في الرقائق والأخلاق : مدارج السالكين - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - الداء والدواء - الوابل الصيب من الكلم الطيب - الفوائد -

طريق الهجرتين وباب السعادتين .

* علوم البلاغة والقرآن : بدائع الفوائد - الفوائد المشوق لعلوم القرآن - التبيان في أقسام القرآن .

وفاتـــه :

توفي رحمه الله في وقت العشاء الآخرة ليلة الخميس في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة ٧٥١ هـ وصُلِّي عليه بجامع دمشق الكبير ثم بجامع الجراح وقبره معروف حتى الآن . رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بحبوحة جناته .

بسم الله الرحمن الرحيم

به الإعانة

[المقدمــــة]

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نُزُلاً[1] . وييسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلاً . وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذُلُلاً[2]. وحفها بالمكاره ، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملاً . وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه ، وأودعها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وجَلَّاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر ، وبشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله ، فهي خير البُشَر على لسان خير البَشَر .

والحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً ، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، إذ لم يخلقهم عبثاً ، ولم يتركهم سدى ، ولم يغفلهم هملاً ، بل خلقهم لأمر عظيم ، وهيأهم لخطب جسيم ، وعَمَّر لهم دارين فهذه لمن أجاب الداعي ولم يبغ سوى ربه الكريم بدلاً ، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأساً ولم يعلق بها أملاً .

والحمد لله الذي رضي من عباده باليسير من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة ، وكتب على نفسه الرحمة ، وضَمَّن

---

(١) نُزُلاً : منزل الضيوف ، وما يكرم به الضيف من الفضل والطعام ونحوه .

(٢) ذُلُلاً : يسيرة سهلة لا تصعب على السائر .

الكتاب الذي كتبه أن رحمته سبقت غضبه ، دعا عباده إلى دار السلام فَعَمَّهُم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً ، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمةً ومِنَّةً وفضلاً . فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم ، وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبده وابن عبده وابن أَمَتِه ، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته ، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه ، أرسله رحمة للعالمين ، وقدوة للعاملين ومَحَجَّة[3] للسالكين ، وحجة على العباد أجمعين ، بعثه للإيمان منادياً ، وإلى دار السلام داعياً ، وللخليقة هادياً ، ولكتابه تالياً ، وفي مرضاته ساعياً ، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً ، أرسله على حين فترة من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق ، وأوضح السبل ، وافترض على العباد طاعته ومحبته ، وتَعْزِيره[4] وتوقيره والقيام بحقوقه ، وسَدَّ إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه ، فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين ، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين .

فسبحان من شرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، فدعا إلى الله وإلى جنته سراً وجهاراً ، وأَذَّن بذلك بين أظهر الأمة ليلاً ونهاراً ، إلى أن طلع فجر الإسلام ، وأشرقت شمس الإيمان ، وعَلَتْ كلمة الرحمن ، وبطلت دعوة

---

(٣) المَحَجَّة : جادة الطريق أي الطريق الواضح الذي لا شك فيه ، والمقصود أن اتباع الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو طريق طالب الحق ورضا الله .

(٤) تَعْزِيره : إعانته ونصره .

الشيطان ، وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها ، فأشرق وجه الدهر حسناً ، وأصبح الظلام ضياء ، واهتدى كل حيران ، فلما كمل الله به دينه وأتم به نعمته ، ونشر به على الخلائق رحمته ، فَبَلَّغَ رسالات ربه ونصح عباده ، وجاهد في الله حق جهاده ، خَيَّره بين المقام في الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه ، فاختار لقاء ربه محبة له وشوقاً إليه ، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى ، والمحل الأرفع الأسنى ، وقد ترك أمته على الواضحة الغراء ، والمحجة البيضاء ، فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم ، وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم ﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [٤٢/٨] .

فصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه كما وَحَّد الله وعَبَده ، وعَرَّفَنا به ودعا إليه .

أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لأمر عظيم ، وخطب جسيم ، عُرِض على السموات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقاً ووجلاً[٥] ، وقلن : ربنا إن أمرتنا فسمعاً وطاعة وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بَدَلاً ، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله ، وباء به على ظلمه وجهله ، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله ، فَصَحِبُوا الدنيا صُحْبَة الأنعام السَائِمَة[٦] ، لا ينظرون في معرفة مُوجِدِهم وحقه عليهم ، ولا في المراد من

---

(٥) قال الله عز وجل : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السمٰوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾ والمراد بالأمانة هي التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها وهو أنه إن أطاع فله الرضا والثواب وإن عصى فعليه الغضب والعقاب .

(٦) السَائِمَة : الراعية التي تأكل ولا تتفكر .

إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبر إلى دار القرار ، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية ، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية ، فقد مَلَكَهم باعثُ الحِس ، وغاب عنهم داعي العقل ، وشملتهم الغفلة وغرتهم الأماني الباطلة ، والخدع الكاذبة ، فخدعهم طول الأمل ، وران على قلوبهم سوء العمل ، فهِمَمُهم في لذات الدنيا ، وشهوات النفوس كيف حَصَلَت حَصَّلُوهَا ، ومن أي وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زَرَافَّات[(٧)] ووِحْدَاناً . وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثواباً من الله ولا رضواناً **﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون ﴾**[(٨)] [٧/٣٠] **﴿ نَسُواْ الله فَأَنسَاهُمْ**

---

(٧) زَرَافَّات : جمع زَرَافَّة وهي الجماعة من الناس .

(٨) يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية (٣١١/٦،٣١٢) : أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشئونها وما فيها ، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة . وقال ابن عباس : يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال [ا هـ . باختصار] وقال صاحب الكشاف (٢١٤/٣) : ذمهم الله عز وجل بأنهم عقلاء في أمور الدنيا بُلْهٌ في أمر الدين . وقال الآلوسي في روح المعاني (٢١/٢١) يعلمون ظاهراً حقيراً خسيساً ، يعلمون أمراً زائلاً لا بقاء له ولا عاقبة من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة التي هي الغاية القصوى والمطلب الأسنى هم غافلون لا تخطر ببالهم فكيف يتفكرون فيها وفيما يؤدى إلى معرفتها من الدنيا وأحوالها ، وجملة **﴿ هم غافلون ﴾** جملة اسمية تدل على ثبوت واستمرار غفلتهم ودوامها . اهـ [بتصرف واختصار] . وهذا الذي نراه في حياتنا الحالية ، نرى كثيراً من الناس يعلمون في أمور الدنيا الكثير أما عن أمور دينهم وآخرتهم فهم لا يعيرونها أقل اهتمام ، فالرجل إذا بدأ تجارة أو شركة مثلاً سأل عن أدق التفاصيل مما يلزم لنجاحه ، أما في دينه والفقه فيه فلا يدري كيف يصلي أو يزكي أو يبيع أو يشتري ، أو ترى من قضى أكثر من عشرين عاماً من عمره لتحصيل شهادة ثم هو في دينه لم يفكر مرة واحدة في قراءة كتاب ربه بتدبر وتفهم أو قراءة تفسير أو فقه حديث أو حضور درس علم . وليس المقصود من هذا الكلام إهمال الدنيا بل المقصود إعطاء كل من الدنيا والآخرة حجمها وعدم =

أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٥٩/١] .

والعجب كل العجب من غفلة مَنْ لحظاته معدودة عليه . وكل نَفَس من أنفاسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه ، فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يُحمَل ، ويُسَارُ به أعظم من سير البَرِيد[٩]، ولا يدري إلى أي الدارين يُنقَل ، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته ، لا لما سبق من جناياته ، وسلف من تفريطه ، حيث لم يقدم لحياته . فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو[١٠]، وقال : قد أنبئنا أنه هو الغفور الرحيم وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الأليم .

فصل [خسارة من باع الجنة ونعيمها الدائم بأكدار الدنيا ومتاعها الفاني]

ولما علم الموفقون ما خُلِقوا له وما أُرِيد بإيجادهم رفعوا رءوسهم فإذا عَلَم الجنة قد رُفع لهم فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغَبْن[١١] بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينفد بصُبَابة[١٢] عيش

= الميل إلى الحياة الدنيا : ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾.

(٩) البَرِيْد : الدواب السريعة المخصصة لنقل الأخبار قديماً .

(١٠) المقصود أن هذا الإنسان الغافل كان في حياته الدنيا ربما خطر له خاطر بالتفكر في أمر آخرته وما خلقه الله من أجله في الدنيا وهو إظهار العبودية لله في كل صغيرة وكبيرة وكل عمل ظاهر وباطن ، فيدفع هذا الخاطر عنه ويبتعد عنه معللاً نفسه بأن الله غفور رحيم ناسياً أن الذي أخبر عن نفسه بأنه غفور رحيم قد أخبر أيضاً عن نفسه بأن عذابه هو العذاب الأليم . وهذا الأمر في حقيقته هو هروب من مواجهة النفس ومن تحمل المسئولية التي سوف يُسأل عنها ولابد فالهروب هنا لا يفيد ولا يقدم شيئاً ولا يؤخر .

(١١) الغَبْن : الظلم والخداع .

(١٢) الصُبَابة : بقية الماء في الإناء .

إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار في المنام ، مشوب بالنَّغَص ، ممزوج بالغُصَص ، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً ، وإن سَرَّ يوماً أحزن شهوراً ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته ، أوله مخاوف وآخره مَتَالِف .

فيا عجباً من سفيه في صورة حليم ، ومعتوه في مِسْلَاخ[13] عاقل ، آثر الحظ الفاني الخسيس ، على الحظ الباقي النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والأرض ، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات ، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ، وأبكاراً عُرُباً أتراباً كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان ، وحوراً مقصورات في الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام ، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين ، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين ، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم ، وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المَعَازِف[14] والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ، ونداء المنادي : يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا ، وتحيوا فلا تموتوا وتقيموا فلا تظعنوا ، وتشبوا فلا تهرموا ، بغناء المغنين .

وإنما يظهر الغَبْن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة ، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً ، وسيق المجرمون إلى جهنم وِرْداً ، ونادى المنادي على رءوس الأشهاد : ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد . فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام ، وادخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفى لهم من قرة

---

(١٣) مِسْلَاخ : جلد .

(١٤) المَعَازِف : آلات الموسيقى واللهو ، وكل ما يُعزف به .

أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أي بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم أن القوم قد توسطوا مُلْكاً كبيراً لا تعتريه الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال ، فهم في روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسِرَّتِها تحت الحِجَال[١٥] يجلسون وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكئون ، وبالحور العين يتنعمون ، وبأنواع الثمار يتفكهون . يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يُصَدَّعُونَ عنها ولا يُنْزِفُون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون ، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون .

تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد ، فما قَلَّب[١٦] ولا استام[١٧] إلا أفراد من العباد ، فواعجباً لها كيف نام طالبُها ؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبُها ؟ وكيف طاب العيشُ في هذه الدار ، بعد سماع أخبارها ؟ وكيف قَرَّ للمشتاق القرار ، دون معانقة أبكارها ؟ وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ؟ وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين ؟ .

(شعر في وصف الجنة) :

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ... سوى كفئها والرب بالخلق أعلم

وإن حُجبت عنا بكل كريهةٍ ... وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلمُ

فلله ما في حشوها من مسرةٍ ... وأصناف لذات بها يتنعمُ

ولله برد العيشِ بين خيامها ... وروضاتها والثَغْرُ في الروض يَبْسَم

ولله واديها الذي هو موعد المزيد ... لوفد الحب لو كنت منهمُ

(١٥) الحِجَال : جمع حَجَلَة وهي قُبَّة تزين بالثياب والستور للعروس (مثل الناموسية في الهيئة).

(١٦) قَلَّبَ : أدار السلعة وفحصها .

(١٧) استام : ساوم في ثمن السلعة . والتقليب أو المساومة لا تكون إلا في السلعة التي يهتم بها الإنسان ويرغب في شرائها .

بذيالك الوادي يهيم صبابة ... مُحبٌ يرى أن الصبابةَ مغنمُ

ولله أفراح المحبين عندما ... يخاطبهم من فوقهم ويسلم

ولله أبصار ترى الله جهرة ... فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم

فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة ... أمِن بعدها يسلو المُحِبُ المُتَيَّمُ

ولله كم مِن خَيْرَةٍ[18] إن تبسمت ... أضاء لها نور من الفجر أعظم

فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت ... ويا لذة الأسماع حين تكلم

ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ... ويا خَجْلَة الفجرين حين تبسم

فإن كنت ذا قلب عليل بحبها ... فلم يبق إلا وصلها لك مرهم

ولا سيما في لَثْمِها[19] عند ضَمِّها ... وقد صار منها تحت جيدك معصم

تراه إذا أبدت له حسن وجهها ... يلذ به قبل الوصال وينعم

تفكه منها العين عند اجتلائها ... فواكه شتى طَلْعُها ليس يعدم

عناقيد من كَرْمٍ وتفاح جنةٍ ... ورمانِ أغصانٍ به القلبُ مغرم

وللورد ما قد ألْبسته خدودها ... ولِلْخَمْر ما قد ضمه الريقُ والفم

تقسم منها الحسن في جمعٍ واحدٍ ... فيا عجباً من واحد يتقسم

لها فِرَقٌ شتى من الحسن أجمعت ... بجملتها إن السُّلُوَ محرم

تُذَكِرُ بالرحمن من هو ناظر ... فينطق بالتسبيح لا يتلعثم

إذا قابلت جيش الهموم بوجهها ... تولى على أعقابه الجيشُ يهزم

فيا خاطب الحسناء إن كنت راغباً ... فهذا زمان المهر فهو المقدم

ولما جرى ماءُ الشباب بغصنها ... تيقن حقاً أنه ليس يَهْرَمُ

وكُنْ مُبغضاً للخائنات لحبها ... فتحظى بها من دونهن وتنعم

وكن أيِّماً ممن سواها فإنها ... لمثلك في جنات عدن تأيم

(١٨) خَيْرَة : المرأة الخَيِّرة المختارة التي لا شر فيها ولا أذى والمقصود هنا : نساء الجنة أو الحور العين .

(١٩) لثمها : تقبيلها .

وصُمْ يومك الأدنى لعلك في غد تفوز بعيد الفطر والناس صُوَّم
وأَقْدِم ولا تقنع بعيش مُنَغَّص فما فاز باللذات من ليس يُقْدم
وإن ضاقت الدنيا عليك بأسرها ولم يك فيها منزلٌ لك يُعْلَم
فَحَيَّ على جناتِ عدنٍ فإنها منازلنا الأولى وفيها المُخَيَّمُ
ولكننا سَبْيّ العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى وشَطَّت به أوطانه فهو مُغْرَم
وأي اغتراب فوقَ غُربتنا التي لها أضْحَت الأعداء فينا تُحَكَّمُ
وَحَيَّ على السوق الذي فيه يلتقي الـ ـمحبون ذاك السوقُ للقوم يُعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له فقد أَسْلَفَ التُجَارُ فيه وأسلموا
وَحَيَّ على يوم المزيد الذي به زيارةُ رب العرش فاليومَ موسمُ
وَحَيَّ على وادٍ هُنالكَ أَفْيَـحُ وتُرْبَتُه من أَذْفَرِ المِسْكِ أعظمُ
مَنابِر من نورٍ هنـاك وفضةٍ ومِن خالصِ العِقْيَانِ[٢٠]لا تتقصمُ
وكثبان مسك قد جُعِلْنَ مَقاعِداً لمن دونَ أصحابِ المنابرِ يعلمُ
فبينا هُمُو في عيشهم وسرورهم وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم
إذا هُمُ بنور ساطع أشرقت له بأقطارها الجنات لا يتوهـم
تجلى لهم رب السموات جهرة فيضحك فوق العرش ثم يُكَلِّم
سلام عليكم يسمعون جميعهم بـآذانهم تسليمـه إذ يُسَلِّـمُ
يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما تريدون عندي إنني أنا أرحم
فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا فأنت الذي تُولي الجميلَ وترحمُ
فيعطيهم هذا ويَشْهَدُ جَمْعُهُم عليه تعالى الله فالله أكرم
فيا بائعاً هذا بِبَخْسٍ مُعَجَّلٍ كأنك لا تدري ، بلى سوف تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبةً وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

---

(٢٠) العِقْيَان : الذهب الخالص .

فصل : [سبب تأليف ابن القيم رحمه الله للكتاب]

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه . وتفصيله وتبويبه ، فهو للمحزون سَلْوة[٢١]، وللمشتاق إلى تلك العرائس جَلْوَة[٢٢]. محركٌ للقلوب ، إلى أَجَلِّ مطلوب ، وحادٍ للنفوس ، إلى مجاورة الملك القدوس ، ممتع لقارئه ، مشوق للناظر فيه . لا يسأمه الجليس ، ولا يمله الأنيس . مشتمل من بدائع الفوائد ، وفرائد القلائد ، على منهل المجتهد في الطلب ، لا يظفر به فيما سواه من الكتب . مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات ، والآثار الموقوفات ، والأسرار المودعة في كثير من الآيات ، والنكت البديعات ، وإيضاح كثير من المشكلات ، والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات . إذا نظر فيه الناظر زاده إيماناً ، وجَلَّى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً . فهو مُثيرُ سَاكِنَ العَزْمَات إلى روضات الجنات ، وباعث الهمم العليات ، إلى العيش الهنّي في تلك الغرفات ، وسميته (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) فإنه اسم يطابق مُسَمَّاه . ولفظ وافق معناه . والله يعلم ما قصدت ، وما بجمعه وتأليفه أردت . فهو عند لسان كل عبد وقلبه ، وهو المُطَّلِع على نيته وكَسْبِه . وكان جُلّ المقصود منه بِشَارةَ أهل السنة ، بما أعد الله لهم في الجنة ، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة . وهم أولياء الرسول وحزبه ، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحَزْبه . لا تأخذهم في نصرة سنته مَلَامَة اللُّوَّام[٢٣]، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام[٢٤]. والسنة أَجَلُّ في صدورهم

---

(٢١) سَلْوَة : نسيان للحزن والهم .

(٢٢) جَلْوَة : هي عرض وكشف العروس على زوجها مُزَيَّنة ، والمراد كشف الستر عنها .

(٢٣) مَلَامَة اللُّوَّام : عتب العاتبين أو كيد الكائدين .

(٢٤) الأنام : البشر .

من أن يقدموا عليها رأياً فقهيا ، أو بحثاً جدلياً ، أو خيالاً صوفياً ، أو تناقضاً كلامياً ، أو قياساً فلسفياً ، أو حكماً سياسياً ، فمن قدم عليها شيئاً من ذلك فباب الصواب عليه مسدود ، وهو عن طريق الرشاد مصدود .

فيا أيها الناظر فيه لك غُنْمُه وعلى مؤلفه غُرْمُه ، ولك صَفْوُه ، وعليه كَدَرُه . وهذه بضاعته المزجاة[٢٥] تعرض عليك ، وبنات أفكاره تزف إليك . فإن صادفت كفؤاً كريماً لم تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان ، وإن كان غيره فالله المستعان . فما كان من صواب فمن الواحد المنان . وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان . والله بريء منه ورسوله .

---

(٢٥) المُزْجَاة : القليلة أو غير الناضجة . وهذا من أدب العلماء رحمهم الله لا يصفون أعمالهم بالكمال أو التمام بل يتواضعون لله فيرفع الله أعمالهم ويزكيها ويكتب لها القبول عند خلقه . نفعنا الله بهم وبأخلاقهم وآدابهم .

الباب الأول
(في بيان وجود الجنة الآن)

لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل الزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما عُلِم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم ، فإنهم دعوا الأمم إليها ، وأخبروا بها .

ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صَنَّفَ في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها . قال أبو الحسن الأشعري[1] في كتاب (مقالات الإسلاميين واختلاف المضلين : (جُمْلَة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة : الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يردون من ذلك شيئاً ، وأن الله تعالى إله

---

(١) أبو الحسن الأشعري : هو علي بن إسماعيل ، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، ولد سنة ٢٦٠ هـ وطلب العلم وتفقه على يد أبي إسحاق المروزي والساجي ، وروى الحديث عن الجمحي وابن نوح والمقرى والضبي وتعلم علم الكلام (الفلسفة) على يد الجبائي المعتزلي واتبعه فترة على مذهب المعتزلة المبتدعة ، ثم رجع عن هذا المذهب الباطل وتاب منه علناً في المسجد الجامع يوم جمعة ، وإليه تنسب زوراً طائفة الأشاعرة رغم أنه ترك هذا المبدأ الباطل وتاب إلى الله وأعلن أنه على عقيدة ومنهج الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة ، وقد وضح ذلك في كتابيه (الإبانة عن أصول الديانة) و (مقالات الإسلاميين) وتوفي على ذلك سنة ٣٢٤ هـ رحمه الله .

واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً . وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور [٢]،ويقولون : إن الله تعالى يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله تعالى محجوبون ، قال الله تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** ﴾ [١٥/٨٣] وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية في الدنيا ، وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكاً ، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة ، ويُقِرُّون : أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن من مات مات بأجله ، وكذلك كل من قُتِلَ قُتِلَ بأجله) .

والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان[٣] .

وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ** ﴾ [١٣/٥٣-١٥] .

وقد رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره : « **ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي ؟ قال : ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[٤] اللؤلؤ وإذا ترابها المسك** »[٥] .

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله تعالى يوم**

(٢) اختصرت كلام الأشعري إلى ما يهم فقط في هذا الكتاب .

(٣) مخلوقتان : أي تم خلقهما وأنهما موجودتان الآن .

(٤) جنابذ : جمع جُنْبُذَة وهي القبة أو كل شيء مرتفع مستدير .

(٥) متفق عليه ، رواه البخاري ، في الصلاة ٣٤٩ ٥٤٧/١ ولفظه « حبايل » .
وفي الأنبياء ٣٣٤٢ ٤٣١/٦ بنحوه .
ورواه مسلم ، في الإيمان ٢٦٣ ١٤٨/١ .

القيامة »[٦].

وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال : « **خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جنازة رجل من الأنصار** - فذكر الحديث بطوله[٧]، وفيه : « **فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من رَوْحها**[٨]**وطيبها** » وذكر الحديث .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قَرْعَ نِعَالِهِم قال فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل**[٩]**؟قال فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال فيقولان له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً في الجنة ، قال نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فيراهما جميعاً** »[١٠].

---

(٦) متفق عليه ، رواه البخاري ، في الجنائز ١٣٧٩ ٢٨٦/٣ .
وفي الرقاق ٦٥١٥ ٣٦٩/١١ .
ورواه مسلم ، في صفة الجنة ٦٥،٦٦ ٢١٩٩/٤ .

(٧) رواه أحمد ٢٨٧/٤،٢٨٨ - والحاكم ٣٧/١-٣٩ ، وأبو داود في السنة ٤٧٥٣ ١١٤/٥ ، وصححه المحدث الألباني في أحكام الجنائز : ص ١٥٩ ، كما نقل تصحيحه عن الحاكم والذهبي وابن القيم وأبي نعيم ويأتي الحديث بتمامه في الباب الثامن ص ٦٠

(٨) الرَّوْح : الراحة والرحمة ونسيم الريح .

(٩) الرجل هو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيد ولد آدم ، فالإنسان يسئل في قبره عن اعتقاده في النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ورسالته . ثبتنا الله وجميع المسلمين .

(١٠) متفق عليه : رواه البخاري . في الجنائز ١٣٣٨،١٣٧٤ ٢٤٤/٣،٢٧٥ ، ومسلم في صفة الجنة ٧٠ ٢٢٠٠/٤ .

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال : انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكر الحديث وفيه : « **فقال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله ، فقالوا : يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تَكَعْكَعْتَ**[11]**، فقال : إني رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا : بم يا رسول الله ؟ قال : بكفرهن . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يَكْفُرن العشير**[12]**ويَكْفُرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط** »[13].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر : « **ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه ، لقد جيىء بالنار وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها ، وحتى رأيت فيها صاحب المِحْجَن**[14]**يجر قُصْبَه**[15]**في النار وكان يسرق الحاج بمحجنه ، فإذا فطن له قال : إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به ، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً ، ثم جيىء بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت حين قمت في مقامي ، ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لي أن لا أفعل . فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه** »[16].

---

(١١) تَكَعْكَعْتَ : تراجعت وتأخرت .

(١٢) يَكْفُرن العَشِير : يجحدن حق الزوج .

(١٣) متفق عليه : رواه البخاري ، في الكسوف ١٠٥٢ ٢/٦٢٧ ولفظه « **كعكعت** » وفي رواية الكشمهيني « **تكعكعت** » . ومسلم في الكسوف ١٧ ٢/٦٢٦ . ولفظه « **كففت** » .

(١٤) المِحْجَن : العصا المعوجة الطرف أو المعقوفة .

(١٥) قُصْبَه : مَعَاه ، أي أمعاءه .

(١٦) رواه مسلم ، في الكسوف ١٠ ٢/٦٢٣ .

وفي الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إنما نسمة**[17] **المؤمن طير يَعْلُق**[18] **في شجرة الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة** »[19]. وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة . وسيأتي في آخر هذا الكتاب في الباب الذي يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة تمام هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى ، وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك .

وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره ، فقال : فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال فنظر إليها ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، قال ثم أرسله إلى النار قال : اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً ثم رجع فقال : وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد سمع بها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال : اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فذهب فنظر إليها فرجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها** »[20] قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

---

(١٧) نسمة : روح .

(١٨) يعلق : يرعى ويأكل .

(١٩) رواه مالك في الموطأ في الجنائز ٤٩ ١/٢٤٠ ، والنسائي في الجنائز باب ١١٧ بنحوه ، وابن ماجة في الزهد ٤٢٧١ ٢/١٤٢٨ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٩٩٥.

(٢٠) رواه أبو داود ، في السنة ٤٧٤٤ ٥/١٠٨ ، والنسائي في الأيمان والنذور ٣ ٧/٣ =

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة : « **حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات** »[21].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة : يا رب ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم ، وقالت النار : يا رب ما لها يدخلها الجبارون والمتكبرون فقال : أنت رحمتي أصيب بك من أشاء ، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها** »[22].

وفي صحيح البخاري من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **بينما أنا أسير في الجنة وإذا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف**[23]**، قال قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذْفر** »[24].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً وداراً فقلت : لمن هذا ؟ فقيل : لرجل من قريش ، فرجوت أن أكون أنا هو ، فقيل : لعمر بن الخطاب . فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته ، قال : فبكى**

= والترمذي في صفة الجنة ٢٥٦٠ ٤/٥٩٨ ، وأحمد ٢/٣٣٣،٣٥٤،٣٧٣ – ولم يرو مسلم هذا الحديث في صحيحه . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٦/٣٦٩) .. أحمد وأبو داود بإسناد قوي عن أبي هريرة . وقال الألباني : إسناده جيد . (القائد إلى تصحيح العقائد ص ٩) .

(٢١) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق ٦٤٨٧ ١١/٣٢٧ ،ومسلم في صفة الجنة ٤/٢١٧٤ ولكن بلفظ « حُفَّت » .

(٢٢) متفق عليه : رواه البخاري في التفسير ٤٨٥٠ ٨/٤٦٠ ، ومسلم في صفة الجنة ٣٦ ٤/٢١٨٧ بنحوه

(٢٣) الدر المجوف : اللؤلؤ المفرغ من الداخل .

(٢٤) رواه البخاري في الرقاق ٦٥٨١ ١١/٤٧٢ .

عمر وقال : أو يغار عليك يا رسول الله »[25].

وسيأتي حديث بلال وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك**[26] **بين يدي** »[27] وغير ذلك من الأحاديث التي تأتي إن شاء الله تعالى .

[وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال : يا محمد أقرىء أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان**[28] **، وأن غراسها**[29] **سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر** »[30]. قال : هذا حديث حسن غريب .

وفيه أيضاً من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **من قال : سبحان الله وبحمده غُرِسَت له نخلة في الجنة** »[31] قال : هذا حديث حسن صحيح .

وقد قال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت : ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ** ﴾ [66/11] ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوباً أو بنى له بيتاً : انسج لي ثوباً وابن لي بيتاً .

---

(٢٥) رواه مسلم في فضائل الصحابة ٢٠ ١٨٦٢/٤ بنحوه .

(٢٦) خشخشتك : صوت حركتك . والخشخشة : صوت السلاح أو احتكاك الأشياء اليابسة .

(٢٧) رواه الترمذي في المناقب ٣٦٨٩ ٥٧٩/٥ ، وأحمد ٣٦٠/٥ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٩٦ ٨٦/١،٨٧ ، وحَسَّن الأرناؤوط إسناد الترمذي في جامع الأصول ٦٣٨٩ ٥٧٧/٨ .

(٢٨) قيعان : جمع قاع وهو الأرض السهلة المطمئنة .

(٢٩) غراس : جمع غَرْسٌ وهو الشجر .

(٣٠) رواه الترمذي في الدعوات ٣٤٦٢ ٤٧٦/٥ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥١٥٢ والسلسلة الصحيحة ١٠٥ .

(٣١) رواه الترمذي في الدعوات ٣٤٦٤،٣٤٦٥ ٤٧٧/٥ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٦٤ .

وأصرح من هذا قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من بَنَى لله مسجداً ، بنى الله له بيتاً في الجنة** »[٣٢] متفق عليه . وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية ، وهذا ثابت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من رواية عثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعمرو بن عبسة .

وقد روى ابن حبان في صحيحه والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إذا قبض الله ولد العبد قال : يا ملك الموت قبضت ولد عبدي ، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده ؟ قال : نعم . قال : فما قال ؟ قال : حمدك واسترجع . قال : ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد** »[٣٣].

وفي المسند من حديثه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة**[٣٤] **ركعة سوى الفريضة بنى الله له بيتاً في الجنة** »[٣٥].

وحديث ابن مسعود وحديث جابر صريحان في أن أرضها مخلوقة وأن الذكر ينشىء الله سبحانه لقائله منه غراسا في تلك الأرض ، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة . والعبد كلما وَسَّعَ في أعمال البر وُسِّعَ له في الجنة وكلما عمل خيراً غُرِس له به هناك غراس وبُنَى له بناء ، وأُنشِيءَ

---

(٣٢) متفق عليه : رواه البخاري في الصلاة ٤٥٠ ٦٤٨/١ بنحوه ، ومسلم في المساجد ٥٣٣ ٣٧٨/١ وفي الزهد ٥٣٣ ٢٢٨٧/٤ .

(٣٣) موارد الظمآن ٧٢٦ ، وأحمد ٤١٥/٤ ، والترمذي في الجنائز ١٠٢١ ٣٤١/٣ بنحوه وحسنه الألباني في الصحيحة ١٤٠٨ .

(٣٤) وتفصيل هذه الاثنتي عشرة ركعة : ركعتان قبل صلاة الصبح ، وأربع قبل صلاة الظهر واثنان بعدها ، واثنتان بعد المغرب ، واثنتان بعد العشاء .

(٣٥) رواه أحمد ٤١٣/٤ عن أبي موسى ، ولفظه عند مسلم من حديث أم حبيبة في صلاة المسافرين ١٠١ ٥٠٣،٥٠٢/١ .

له من عمله أنواع مما يتمتع به][36].

(٣٦) ما بين القوسين ليس من أصل هذا الباب ولكن من البابين السابع والثامن من حادي الأرواح ورأيت إثباتها لأهميتها وتعلقها بالباب .

الباب الثاني
(في ذكر عدد أبواب الجنة)

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً[1] حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [٧٢/٣٩] وقال في صفة النار : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [٧١/٣٩] بغير واو .

وقالت طائفة : الجواب محذوف وقوله : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ عطف على قوله : ﴿ جَاءُوهَا ﴾ وهذا اختيار أبي عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم ، قال المبرد : وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم .

بقي أن يقال : فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنة وذكره في آية أهل النار ؟ فيقال : هذا أبلغ في الموضعين فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم فيفجأهم العذاب بغتة فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عُقَيبه فإنها دار الإهانة والخزى فلم يستأذن لهم في دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول ، وأما الجنة فإنها دار الله ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها ومالكها أن يفتحها لهم ويستشفعون إليه بأولي العزم من رسله وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم فيقول : أنا لها فيأتي إلى تحت العرش ويخر ساجداً لربه فيدعه ما

---

(١) زُمَراً : أفواجاً وجماعات .

شاء أن يدعه ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه سبحانه في فتح أبوابها فيُشَفِّعه ويفتحها تعظيما لخطرها ، وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامته عليه .

وإن مثل هذه الدار التي هي دار مَلِكِ الملوك ورب العالمين إنما يُدخل إليها بعد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عَقَل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها ، وما ركبه من الأطباق[2]طبقا بعد طبق وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أَذِنَ الله تعالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم .
وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يُقَدَّر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان[3]الذي يدخله من شاء ، فجنة الله عالية غالية ، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به ، فما لمن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ولهذه الدار ، فليعد عنها إلى ما هو أولى به ، وقد خلق له وهيىء له .

وتأمل ما في سوق الفريقين إلى الدارين زمراً من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة ، كل مشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم ، مستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير ، كذلك يؤنس بعضهم بعضا ويفرح بعضهم ببعض .
وكذلك أصحاب الدار الأخرى يُساقون إليها زمراً يلعن بعضهم بعضا ويتأذى بعضهم ببعض ، وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهتيكة من أن يساقوا واحداً واحداً فلا تهمل تدبر قوله : ﴿ زُمَراً ﴾ .

وقال خزنة أهل الجنة لأهلها : سلام عليكم ، فبدأوهم بالسلام المتضمن

---

(٢) الأطباق : الأحوال الشديدة .
(٣) الخان : الحانوت (الدكان) - وكذلك يطلق على بيت المسافرين (الفندق) .

للسلامة من كل شر ومكروه ، أي سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون ، ثم قالوا لهم : طبتم فادخلوها خالدين ، أي سلامتكم ودخولها بطيبكم فإن الله حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود .

وأما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم : ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا** ﴾ [٧١/٣٩] فاعترفوا وقالوا : بلى ، فبشروهم بدخولها والخلود فيها وأنها بئس المثوى لهم .

وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها : ﴿ **ادْخُلُوهَا** ﴾ وقول خزنة النار لأهلها ﴿ **ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّم** ﴾ ، تجد تحته سرا لطيفاً ومعنى بديعاً لا يخفى على المتأمل وهو أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيء وأشده حرا وأعظمه غماً يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها ويدنو من الغم والخزي والحزن والكرب بدخول الأبواب ، فقيل : ادخلوا أبوابها صَغَاراً لهم وإذلالاً وخزياً ثم قيل لهم لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ولكن وراءها الخلود في النار وأما الجنة فهي دار الكرامة والمنزل الذي أعده الله لأوليائه فبُشِّروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها .

وتأمل قوله سبحانه : ﴿ **جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ** ﴾ [٣٨/٥٠-٥١] كيف تجد تحته معنًى بديعاً وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي . وأما النار فإذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَة** ﴾ [١٠٤/٨] أي مُطبقة مغلقة ومنه سمي الباب وصيدا وهي : ﴿ **مُّؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَة** ﴾ [١٠٤/٨-٩] قد جُعلت العمد مُمسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب قال مقاتل : يعني

أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها رَوْح آخر الأبد .

وأيضاً فإن في تفتيح الأبواب لها إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاءوا ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت وأيضاً إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا .

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون** »[٤] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من أنفق زوجين في شيء من الأشياء[٥] في سبيل الله ، دُعِيَ من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعِيَ من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الريان ، فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دُعِيَ من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ فقال : نعم وأرجو أن تكون منهم** »[٦] .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم**

---

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٥٧ ٣٧٨/٦ ، ومسلم في الصيام ١٦٦ ٨٠٨/٢ بدون ذكر ، « **ثمانية أبواب** » .

(٥) من أنفق زوجين في شيء من الأشياء : أي من أنفق مثلين من نفس النوع من الثياب أو السلاح أو الدواب أو غيرها .

(٦) متفق عليه : رواه البخاري في الصوم ١٨٩٦ ١٣٣/٤ وغيره ، ومسلم في الزكاة ٨٥ ٧١١/٢ بنحوه .

يقول : **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فُتِحَت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء »**[٧]، زاد الترمذي بعد التشهد : « **اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين »**[٨].

وعن عتبة بن عبد السلمي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث**[٩] **إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل »**[١٠] رواه ابن ماجة وعبد الله بن أحمد .

---

(٧) رواه مسلم في الطهارة ١٧ ١/٢١٠ .

(٨) رواه الترمذي في الطهارة ٥٥ ١/٧٨ وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٤٨ ١/١٨ .

(٩) الحِنْث : الإدراك والبلوغ والتكليف .

(١٠) رواه ابن ماجة في الجنائز ١٦٠٤ ١/٥١٢ ، وأحمد ٤/١٨٣،١٨٤ من روايته وليس من زوائد عبد الله وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥٧٧٢ .

الباب الثالث

(في ذكر سعة أبوابها)

عن أبي هريرة قال : « **وضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكان أحب الشاة إليه فنهش نهشة وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، ثم نهش أخرى وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال : ألا تقولون كيف ؟ قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : يقوم الناس لرب العالمين فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، فذكر حديث الشفاعة بطوله ، وقال في آخره : فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي فيقيمني رب العالمين مقاماً لم يقمه أحداً قبلي ولن يقيمه أحداً بعدي ، فأقول : يا رب أمتي أمتي . فيقول : يا محمد أَدْخِل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك مع الأبواب ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين[1] من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر[2] أو هَجَر ومكة** » وفي لفظ : « **لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبُصْرَى[3]** » متفق على صحته[4].

وعن خالد بن عمير العدوي قال : « **خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله**

---

(١) مصراعي الباب : ضفتي الباب .

(٢) هَجَر : بلد معروف بالبحرين .

(٣) بصرى : بلد بالشام .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في التفسير ٤٧١٢ ٢٤٧/٨ ، ومسلم في الإيمان ٣٢٨ ١٨٦/١ .

وأثنى عليه ثم قال : **أما بعد ، فإن الدنيا قد آذنت بصُرْم**[٥] **وولت حَذَّاء**[٦]**، ولم يبق منها إلا صُبَابة**[٧] **كصبابة الإناء يصطبها صاحبها ، وإنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها فانقلبوا بخير ما بحضرتكم ، ولقد ذُكِر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ**[٨] **من الزحام** »[٩] فهذا موقوف[١٠] والذي قبله مرفوع[١١] فإن كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو الذاكر له كان هذا ما بين باب من أبوابها ولعله الباب الأعظم ، وإن كان الذاكر ذلك غير رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يُقدم على حديث أبي هريرة المتقدم .

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن ما بين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة** »[١٢].

فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته .

---

(٥) صرْم : قطع وانتهاء والمعنى أن الدنيا قد أوشكت على الانتهاء .
(٦) حَذَّاء : مسرعة الانقطاع والزوال .
(٧) صُبَابة : بقية الماء في الإناء .
(٨) كظيظ : ممتلىء مزدحم .
(٩) رواه مسلم في الزهد ١٤ ٢٢٧٨/٤ .
(١٠) موقوف : من قول الصحابي .
(١١) مرفوع : من قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
(١٢) رواه أحمد ٢٩/٣ ، وصححه الألباني في الصحيحة ١٦٩٨ .

الباب الرابع

(في صفة أبوابها وأنها ذات حَلَق)[1]

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر** »[2].

وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها**[3] »[4] وهذا صريح في أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي** »[5].

فصل : [تفاوت سعة أبواب الجنة]

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك وباب

---

(١) حَلَق أو حِلَق : جمع حلقة وهي كل شيء مستدير كهيئة حلقة الحديد أو الذهب .

(٢) رواه أبو نعيم هكذا في (صفة الجنة) ١٨٢ ٢٨/٢ وأحمد بنحوه عن أنس أيضاً ٢٤٨،٢٤٧/٣ وقال محقق (صفة الجنة) : بإسناد صحيح على شرط مسلم اهـ . وبالجملة فالحديث له شواهد كثيرة في الصحيحة للألباني ١٥٧٠ .

(٣) أقعقعها: أحركها، والقعقعة في اللغة، أصوات السلاح والجلود اليابسة والحجارة ونحوها.

(٤) رواه أبو نعيم هكذا في (صفة الجنة) ١٨٣ ٢٩/٢ عن أنس ، وهو عند الترمذي في التفسير ٣١٤٨ ٢٨٨/٥ من حديث أبي سعيد الخدري وغيره وصححه الألباني في الصحيحة ١٥٧٠ وصحيح الجامع الصغير ١٤٥٩ بنحوه .

(٥) رواه أبو نعيم هكذا في (صفة الجنة) ١٨٤ ٣٠،٢٩/٢ وحسن محقق الكتاب إسناده في الشواهد . وشواهد هذا الحديث وما سبقه موجودة بتوسع في الصحيحة للألباني ١٥٧٠ ، وفي صفة الجنة لأبي نعيم ١٨٤،١٨٣،١٨٢ .

الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها وكلما علت الجنة اتسعت ، فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب بحسب وسع الجنة ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض .

الباب الخامس

(في ذكر مسافة ما بين الباب والباب)

عن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **قلت : يا رسول الله فما الجنة والنار ؟ قال : لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما** »[1] وذكر الحديث بطوله .

وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب لأن ما بين مكة وبُصْرَى لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً ولا يمكن حمله على باب معين لقوله : « **ما منهن بابان** » والله أعلم .

---

(١) سيأتي حديث لقيط بن عامر بطوله في الباب التاسع والأربعين ويأتي تخريجه هناك ص ٢٢٩ ، برقم هامش ٣١ .

الباب السادس
(في مكان الجنة وأين هي ؟)

قال الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ** ﴾ [١٣/٥٣-١٥] وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك لأنها ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها .

وقال تعالى : ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون** ﴾ [٢٢/٥١] . قال ابن أبي نجيح عن مجاهد : هو الجنة ، وكذلك تلقاه الناس عنه .

وقد ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض** »[١] وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع والله أعلم .

والحديث له لفظان ، هذا أحدهما ، والثاني : « **إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله** »[٢] وشيخنا يرجح هذا اللفظ وهو لا ينفي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح : « **إن لله تسعة وتسعين اسما**

---

(١) لم أجد هذا اللفظ في الصحيحين ولا أحدهما ولكن عند أحمد ٣١٦/٥،٣٢١ عن عبادة بن الصامت ، وعند النسائي في الجهاد باب درجة المجاهد في سبيل الله عن أبي الدرداء ١٩/٦ بنحوه ، وابن ماجة في الزهد ٤٣٣١ ١٤٤٨/٢ عن معاذ بن جبل ، وصححه الألباني في الصحيحة ٩٢٢ وعزاه للترمذي والحاكم وأحمد .

(٢) رواه البخاري في الجهاد ٢٧٩٠ ١٤/٦ ، وفي التوحيد ٧٤٢٣ ٤١٥/١٣ بنحوه من حديث أبي هريرة .

من أحصاها دخل الجنة »[3] أي من جملة أسمائه هذا القدر فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد، والجنة مقببة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث الصحيح : « **إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة** »[4].

فإن قيل : فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها فإن الكرسي وَسِعَ السموات والأرض والعرش أكبر منه .

قيل : لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفاً له دون ما تحته من الجنات ، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً درجة فوق درجة كما « **يقال لقاريء القرآن اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها** »[5] وهذا يحتمل شيئين : أن تكون منزلته عند آخر حفظه ، وأن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه والله أعلم .

---

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة : رواه البخاري في الدعوات ٦٤١٠ ٢١٨/١١ بنحوه ، ومسلم في الذكر ٦،٥ ٢٠٦٣/٤ .

(٤) جزء من حديث رواه البخاري في الجهاد ٢٧٩٠ ١٤/٦ ، وفي التوحيد ٧٤٢٣ ٤١٥/١٣ .

(٥) رواه أحمد ١٩٢/٢ عن عبد الله بن عمرو ، ٤٧١/٢ عن أبي هريرة ، وأبو داود في الصلاة ١٤٦٤ ١٥٣/٢ من حديث عبد الله بن عمرو ، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩١٤ ١٦٣/٥ من حديث عبد الله بن عمرو، وابن ماجة في الأدب ٣٧٨٠ ١٢٤٢/٢ من حديث أبي سعيد الخدري. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٨١٢١،٨١٢٢

الباب السابع
(في مفتاح الجنة)

ذكر البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له : (أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان[1] فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح)[2].

وفي المسند من حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ألا أدلك على باب من أبواب الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله** »[3]. وقد جعل الله سبحانه لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **مفتاح الصلاة الطهور** »[4]، ومفتاح الحج الإحرام ، ومفتاح البر الصدق ، ومفتاح الجنة التوحيد ، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء ، ومفتاح النصر والظفر الصبر ، ومفتاح المزيد الشكر ، ومفتاح الولاية المحبة والذكر ، ومفتاح الفلاح التقوى ، ومفتاح التوفيق الرغبة

---

(١) المراد بأسنان المفتاح : التزام الطاعات والعمل بمقتضى الشهادتين .

(٢) ذكره البخاري في الجنائز ، باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ١٣١/٣ .

(٣) رواه أحمد ٢٤٢/٥، ٢٤٤ بلفظه و ٢٢٨/٥ بنحوه ، ورواه أيضاً ٢٤٢/٣ من حديث قيس بن سعد بن عبادة والترمذي في الدعوات ٣٥٨١ ٥٣٢/٥ من حديث قيس أيضاً . وصححه الألباني في الصحيحة ١٧٤٦ من حديث قيس بن سعد دون إشارة إلى حديث معاذ بنفس اللفظ وكذلك فعل في صحيح الجامع الصغير ٢٦١٠ .

(٤) رواه أحمد ١٢٣/١، ١٢٩ عن عليّ بلفظ : « **مفتاح الصلاة الوضوء** » وصححه الألباني في إرواء الغليل ٣٠١ . ورواه أيضاً أبو داود في الطهارة ٦١ ٤٩/١ والترمذي في الطهارة ٣ ٨/١ ، وابن ماجة في الطهارة ٢٧٥ ١٠١/١ كلهم عن عليّ أيضاً بهذا اللفظ هنا . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥٨٨٥ .

والرهبة ، ومفتاح الإجابة الدعاء ، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا ، ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه ، ومفتاح الدخول على الله إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك ، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب ، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده ، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى ، ومفتاح العز طاعة الله ورسوله ، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل ، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة ، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل .

وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحاً وباباً يدخل منه إليه كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث الله به رسوله ، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار ، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم ، وجعل الغَيّ[٥] مفتاح الزنا ، وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق ، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان ، وجعل المعاصي مفتاح الكفر ، وجعل الكذب مفتاح النفاق وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله ، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة .

وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جُعلت المفاتيح له والله من وراء توفيقه وعدله له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

---

(٥) الغي : الفساد .

الباب الثامن

(في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لأصحابها عند الموت وعند دخولها)

قال تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ، كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ [٨٣/١٨-٢١] فأخبر تعالى أن كتابهم كتابٌ مرقوم[١] تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقية وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين ، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويهاً بكتاب الأبرار وما وقع لهم به ، وإشهاراً له وإظهاراً بين خواص خلقه كما تكتب الملوك تواقيع[٢] من تعظمه بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويهاً باسم المكتوب له وإشادة بذكره ، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده .

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان وأبو عوانة الإسفراييني في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب قال : « **خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جنازة فجلس رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على القبر وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير[٣]، وهو يُلْحَد[٤] له ، فقال : أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ثم قال : إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا تنزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حَنُوط[٥] وكفن فجلسوا**

(١) مرقوم : مكتوب .

(٢) تواقيع : جمع توقيع وهو المرسوم أي الأمر الملكي .

(٣) كأن على رءوسنا الطير : المقصود ساكنون صامتون .

(٤) يُلحد له : يحفر له اللحد وهو القبر .

(٥) حَنوط : هو الطيب والعطر الذي يطيب به الميت .

منه مَدّ بصره ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيّ السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدت على وجه الأرض ، قال فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى يُنتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى . قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت . قال فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي فَأَفْرِشُوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة . قال فيأتيه من رَوْحِها وطيبها ويُفْسَح له في قبره مَدّ بصره . قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة ، رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي . قال وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المُسُوح[٦] فيجلسون منه مَدّ

---

(٦) المُسُوح : أكسية غليظة من الشعر .

البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السَفّود[٧] من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المُسُوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسَمَّى بها في الدنيا حتى ينتهي إلى سماء الدنيا فيُسْتَفتح له فلا يُفْتَح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[٨] [٧/٤٠] فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى وتُطْرَح روحه طرحاً ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [٢٢/٣١] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيُجْلِسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه !!! لا أدري . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري . فينادي منادٍ من السماء : أن كذب عبدي فَأَفْرِشُوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار . فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح ، فيقول له : أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد . فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر ؟ . فيقول : أنا عملك الخبيث

---

(٧) السَفّود : حديدة يشوى بها وهي مثل السيخ إلا أن لها شُعَب كثيرة مثنية معقوفة كهيئة الخطاطيف ولا شك أن مثل هذه الأداة إذا وضعت في صوف مبلول لم تخرج منه إلا بمشقة بالغة وبعد تقطيع أغلب هذا الصوف .

(٨) سم الخياط : ثقب الإبرة .

فيقول : رب لا تقم الساعة[9]»[10] ورواه أبو داود بطوله بنحوه .

---

(٩) لا تقم الساعة : أي يدعو بعدم قيام الآخرة لما رأى مقدمات العذاب الشديد .

(١٠) رواه أحمد بنحوه ٤/٢٨٧،٢٨٨،٢٩٥،٢٩٦ . وأبو داود في السنة ٤٧٥٣،٤٧٥٤ ٥/١١٤،١١٥،١١٦ وقال الألباني في أحكام الجنائز ص ١٥٦ : أخرجه أبو داود والحاكم والطيالسي وأحمد ، والنسائي وابن ماجة باقتصار ، وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي وهو كما قالا . [بتصرف واختصار يسير] .

الباب التاسع

(في توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد)

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم وأما طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى ولهذا يوحد سبحانه سبيله ، ويجمع سُبُل النار كقوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ [٦/١٥٣] وقال : ﴿ **وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ** ﴾ [١٦/٩] أي ومن السبيل جائر عن القصد وهي سبيل الغي وقال : ﴿ **هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ [١٥/٤١] .

وقال ابن مسعود : « **خطَّ لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خطاً وقال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره ، ثم قال : هذه سبل ، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ** ﴾[1] الآية [٦/١٥٣] .

فإن قيل : فقد قال الله تعالى : ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ** ﴾ [٥/١٥-١٦] .

قيل : هي سبل تجمع في سبيل واحد وهي بمنزلة الجواد[2] والطرق في الطريق الأعظم فهذه هي شعب الإيمان يجمعها الايمان وهو شعبة ، كما يجمع

---

(١) رواه أحمد ١/٤٣٥،٤٦٥ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٢٢ : رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف . اهـ ، وقال العلامة أحمد شاكر في المسند ٤١٤٢، ٤٤٣٧ : إسناده صحيح اهـ . وقال عنه الأرناؤوط في شرح السنة ٩٧ ١/١٩٦ : إسناده حسن اهـ .

(٢) جَوَادّ : جمع جادَّة وهي الطريق الواضحة البينة .

ساقُ الشجرة أغصانَها وشعبها . وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره ، وطريق الجنة هي إجابة الداعي إليها ليس إلا .

وقد روى البخاري في صحيحه عن جابر قال : « **جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً ، فقالوا : مثله مثل رجل بنى داراً وجعل فيها مَأْدَبَة[٣] وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المَأْدَبَة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة . فقالوا : أوِلُوها[٤] له يفقهها[٥] فقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، الدار الجنة والداعي محمد ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمدٌ فرق[٦] بين الناس** »[٧].

(٣) مأدبة : طعام الوليمة .

(٤) أولوها : فَسِّرُوها .

(٥) يفقهها : يفهمها ويدرك معناها .

(٦) محمد فرق بين الناس : أي أن الإيمان برسول الله وما جاء به يفرق بين المؤمن والكافر . والمعنى من الحديث بكامله أن من أطاع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دخل الجنة لأن خالق الجنة قد بعث الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليدل الناس ويدعوهم فمن صدقه واتبعه دخل الجنة ومن كَذَّبه و لم يتبعه فقد عصى الله ولن يدخل الجنة .

(٧) رواه البخاري في الاعتصام ٧٢٨١ ١٣/٢٦٣ .

الباب العاشر
(في درجات الجنة)

قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ ، وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً ، دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [٤/٩٥-٩٦] .

وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولا بدرجة ثم أوقعه ثانيا بدرجات ، فقيل: الأول بين القاعد المعذور والمجاهد، والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد.

وقال تعالى : ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَ اللهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ واللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [٣/١٦٢-١٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [٨/٢-٤] .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدُّرِّيّ[١] الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم . قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** »[٢].

---

(١) الدُّرِّيّ : المضيء .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٥٦ ٦/٣٦٨ ، ومسلم في صفة الجنة ١١ ٤/٢١٧٧ .

ولفظ البخاري : « **في الأفق** » وهو أبين ، والغابر هو الذاهب الماضي الذي قد تدلى للغروب ، وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت[٣] للرأس وهو أعلى فائدتان :

* إحداهما : بعده عن العيون .

* والثانية : أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض ، وإن لم تسامت[٤] العليا السفلى ، كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله والله أعلم .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة في الجنة كما ترون الكوكب في أفق السماء** »[٥].

وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه** »[٦] وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة .

وأما حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه**

---

(٣) المسامت : المتعامد والمسامتة هي التعامد والقصد .

(٤) تسامت : توازى وتتعامد .

(٥) متفق عليه . رواه البخاري في الرقاق ٦٥٥٥ ٤٢٤/١١ ولفظه « **ليتراءون الغرف** » . ومسلم في صفة الجنة ١٠ ٢١٧٧/٤ ولفظه « **ليتراءون الغرفة** » .

(٦) رواه أحمد ٤٧١/٢ مع الشك من الأعمش هل الراوي أبو هريرة أم أبي سعيد ، ورواه ابن ماجة في الأدب ٣٧٨٠ ١٢٤٢/٢ من حديث أبي سعيد . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٨١٢١ . راجع الباب السادس . ص ٥٧ برقم هامش ٥

الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة »[٧] فإما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج وإما أن تكون نهايتها هذه المائة وفي ضمن كل درجة درجة دونها[٨].

---

(٧) رواه البخاري في الجهاد ٢٧٩٠ ٦/١٤ ، وفي التوحيد ٧٤٢٣ ١٣/٤١٥ بنحوه .

(٨) يقصد ابن القيم رحمه الله أنه إما أن تكون هذه المائة درجة هي بعض درجات الجنة وإما أن تكون كل درجة تحتوي على درجتين : درجة عليا ودرجة دونها .

الباب الحادي عشر

(في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة)

روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي** »(1).

وفي الصحيحين من حديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة** »(2)، هكذا لفظ الحديث « **مقاماً** » بالتنكير ليوافق لفظ الآية ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخصه جرى مجرى المعرفة فوُصِفَ بما توصف به المعارف وهذا ألطف من جعل الذي وعدته بدلاً فتأمله .

---

(١) رواه مسلم في الصلاة ١١ ٢٨٨/١ .

(٢) رواه البخاري في الأذان ٦١٤ ١١٢/٢ بدون لفظ « **الدرجة الرفيعة** » ، ولم يروه مسلم ، وهو عند أحمد وأصحاب السنن الأربعة بدون هذه اللفظة « **الدرجة الرفيعة** » ، وقد قال العلامة أحمد شاكر في شرح الترمذي ٤١٤/١ : وقد نقل المباركفوري في شرح الترمذي (١٨٥/١) عن ملا علي القاري في المرقاة قال : (أما زيادة الدرجة الرفيعة المشهورة على الألسنة فقال البخاري : لم أره في شيء من الروايات) ، وكذلك قال الحافظ في التلخيص : (ليس في شيء من طرقه ذكر الدرجة الرفيعة) اهـ .

وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة ، فسلوا الله لي الوسيلة** »[3].

عن عائشة قالت : « **جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا رسول الله والله إنك لأحب إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من أهلي وأحب إلي من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذ ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفِعْت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً ﴾** [٤/٦٩] »[4]

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي : لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأساً .

وسميت درجة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الوسيلة لأنها أقرب

---

(٣) رواه أحمد ٣/٨٣ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٧١٥١ .

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ٨/١٢٥ .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٧ : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة . اهـ .

وعزاه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٣١٠،٣١١ لابن مردويه ، ثم قال عقبه : (وهكذا رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة من طريق الطبراني .. ثم قال : لا أرى بإسناده بأساً) اهـ وقد وردت شواهد كثيرة مرسلة لهذا الحديث عن مسروق وعكرمة وعامر الشعبي وقتادة وعن الربيع بن أنس – وهذا الأخير قال عنه ابن كثير في تفسيره ٢/٣١٠ : وهو من أحسنها سنداً اهـ . وهذه الشواهد في تفسير الطبري ٥/١٦٣،١٦٤ ، والواحدي في أسباب النزول ١١٥ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٣/٥٣٨،٥٣٩ ، وتفسير ابن كثير ٢/٣١٠،٣١١ ،والكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ٣٧٤ ص ٤٦ ، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ٢/١٨٢ .

الدرجات إلى عرش الرحمن وهي أقرب الدرجات إلى الله وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهي فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه . ومعنى الوسيلة من الوُصْلَة ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها ، وأعظمها نوراً .
وقال فضيل بن عياض : أتدرون لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفها .
وعن ابن عباس : (نور سقف مساكنكم نور عرشه) .

والقربى والزلفى واحد ، وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل ، وقال الكلبي : (اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة) . وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقوله : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيْلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ** ﴾ [١٧/٥٧] فقوله : ﴿ **أَيُّهُمْ أَقْرَب** ﴾ هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون في القرب منه .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله وهي أعلى درجة في الجنة وأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان . وأيضاً فإن الله سبحانه قدرها له بأسباب منها دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه .
وقوله : « **حلت عليه** »[٥] يروى « **عليه** » و « **له** » فمن رواه باللام فمعناه : حصلت له ومن رواه بعلى فمعناه : وقعت عليه شفاعتي والله أعلم .

(٥) جزء من حديث مسلم في أول هذا الباب .

الباب الثاني عشر

(في عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده وثمنها الذي طلبه منهم وعقد التبايع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم)

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ؟ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمِ [التائِبُونَ الْعَٰبِدُونَ الْحَامِدُونَ السائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ والْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ . وَبَشّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾][1] [٩/١١١-١١٢] فجعل سبحانه ها هنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد :

* أحدها : إخباره سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة إن .
* الثاني : الإخبار بذلك بصيغة الماضي الذي قد وقع وثبت واستقر .
* الثالث : إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع .
* الرابع : أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه .
* الخامس : أنه أتى بصيغة (على) التي للوجوب إعلاما لعباده بأن ذلك حق عليه أَحَقَّه هو على نفسه .
* السادس : أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه .
* السابع : أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء

---

(١) هذه الآية ليست من أصل الباب – ولكن رأيت إضافتها لأن الإمام ابن القيم يتناولها أيضاً بالشرح .

وهي التوراة والإنجيل والقرآن .

* الثامن : إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه .

* التاسع : أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه .

* العاشر : أنه أخبرهم إخبارا مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم والبيع ههنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة وقوله : ﴿ بَايَعْتُمْ بِه ﴾ أي عاوضتم وثامنتم به .

ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذي وقع العقد وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكره ، العابدون له بما يحب ، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون ، السائحون وفسرت السياحة بالصيام وفسرت بالسفر في طلب العلم وفسرت بالجهاد وفسرت بدوام الطاعة ، والتحقيق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال ، ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللاتي لو طلق أزواجه بَدَّلَه بهن بأنهن سائحات ، وليست سياحتهن جهاداً ولا سفراً في طلب علم ولا إدامة صيام ، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته والإنابة إليه وذكره .

وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين هذه تَرْك ما يكره وهذه فِعْل ما يُحِب ، والحمد والسياحة قرينين: هذا الثناء عليه بأوصاف كماله وسياحة اللسان في أفضل ذكره وهذه سياحة القلب في حبه وذكره وإجلاله ، كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين في صفة الأزواج فهذه عبادة البدن وهذه عبادة القلب .

وجعل الإسلام والإيمان قرينين فهذا علانية وهذا في القلب .

وجعل القنوت والتوبة قرينين هذا فعل ما يحب وهذا ترك ما يكره .

وجعل الثيوبة والبكارة قرينتين فهذه قد وُطِئَت وارتاضت وذُلِّلَت[1] صعوبتها . وهذه روضة أُنُفُ[2] لم يُرتع فيها بعد .

وجعل الركوع والسجود قرينين .

وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينين وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلاماً بأن أحدهما لا يكفي حتى يكون مع الآخر ، وجعل ذلك قريناً لحفظ حدوده فهذا حفظها في نفس الإنسان وذلك أمر غيره بحفظها .

وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها فإن السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو ؟ وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو ؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع ، فالسلعة النفس ، والله سبحانه المشتري لها ، والثمن لها جنات النعيم ؟ والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه .

قد هيأوك لأمر لو فطنت له فارْبَأ[3] بنفسك أن ترعى مع الهَمَلِ[4]

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة** »[5] قال : هذا حديث حسن غريب .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « **أن أعرابياً جاء إلى رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة . فقال : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي**

---

(١) ذُلِّلَت صعوبتُها : لانت ورُوِضت .

(٢) روضة أُنُف : بستان لم ينزل فيه أحد من قبل .

(٣) فاربأ : فاحذر وارتفع .

(٤) الهَمَل : الأشياء المهملة .

(٥) رواه الترمذي في صفة القيامة ٢٤٥٠ ، ٤/٥٤٦ ، وحسنه الأرناؤوط في تخريجه لرياض الصالحين ١٥/٤١٠ص ٢١٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٦٢٢٢ .

الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه ، فلما وَلَّى قال : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا »[6].

وفي صحيح مسلم عن جابر قال : « **أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال أدخل الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : نعم** »[7].

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة** »[8].

وفي سنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله دخل الجنة** »[9].

وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال فبشرني : أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق** »[10].

---

(٦) متفق عليه : رواه البخاري في الزكاة ١٣٩٧ ٣/٣٠٨ ، ومسلم في الإيمان ١٥ ١/٤٤ .

(٧) رواه مسلم في الإيمان ١٦ ١/٤٤ .

(٨) رواه مسلم في الإيمان ٤٣ ١/٥٥ .

(٩) رواه أبو داود في الجنائز ٣١١٦ ٣/٤٨٦ ، وحَسَّن الألباني إسناده في أحكام الجنائز ٣٤ وفي إرواء الغليل ٦٨٧ ، وصحح إسناده موافقة للحاكم والذهبي في تخريج المشكاة ١٦٢١ ، وصحح الحديث في صحيح الجامع الصغير ٦٤٧٩ .

(١٠) متفق عليه : رواه البخاري في التوحيد ٧٤٨٧ ١٣/٤٦٩ ، ومسلم في الإيمان ١٥٣ ١/٩٤ وكلاهما بلفظ « **أتاني جبريل** » .

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء** »(١١) وفي لفظ : « **أدخله الله الجنة على ما كان من عمل** » .

وفي صحيح مسلم : « **أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعطى أبا هريرة نعليه فقال : اذهب بنعليّ**(١٢) **هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة** »(١٣) .

فصل [دخول المؤمنين الجنة برحمة الله وفضله وعفوه عن ذنوبهم]

وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سبباً . ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله : ﴿ **بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون** ﴾ [٤٣/٧] ونفي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم دخولها بالأعمال بقوله : « **لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله** »(١٤) ولا تنافي بين الأمرين لوجهين :

---

(١١) متفق عليه : رواه البخاري في الأنبياء ٣٤٣٥ ٥٤٦/٦ بلفظ : «من شهد ...» ومسلم في الإيمان ٤٦ ٥٧/١ .

(١٢) قال النووي في شرح مسلم ٢٣٦/١ : وأما إعطاؤه النعلين فلتكون علامة ظاهرة معلومة عندهم يعرفون بها أنه لقي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويكون أوقع في نفوسهم لما يخبرهم به عنه .

(١٣) رواه مسلم في الإيمان ٥٢ ٥٩/١ .

(١٤) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق ٦٤٦٤،٦٤٦٧ ٣٠٠/١١ عن عائشة ، ورواه مسلم في صفات المنافقين ٧٨ عن عائشة ، و٧٧ عن جابر ٢١٧١/٤ .

* أحدهما ما ذكره سفيان وغيره قال : كانوا يقولون : النجاة من النار بعفو الله ، ودخول الجنة برحمته ، واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال .

* والثاني أن الباء التي نفت الدخول[١٥] هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر ، والباء التي أثبتت الدخول[١٦] هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بحصوله .

وقد جمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين الأمرين بقوله : **« سددوا وقاربوا وأبشروا ، واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »**[١٧].

ومن عرف الله تعالى وشهد مشهد حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به . والله سبحانه وتعالى المستعان .

---

(١٥) أي الباء التي في الحديث : « **لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله** ».

(١٦) أي الباء التي في الآية : ﴿ **ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ .

(١٧) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق ٦٤٦٤،٦٤٦٧ ١١/٣٠٠ بنحوه ، ومسلم في صفات المنافقين ٧٨ ٤/٢١٧١ واللفظ له .

الباب الثالث عشر

(في طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربهم عز وجل)

قال الله تعالى حكاية عن أولي الألباب من عباده قولهم : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ . رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ** ﴾ [٣/١٩٣-١٩٤] والمعنى وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة . وقالت طائفة :معناه وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك . وليس بسهل حذف الاسم والحرف معاً إلا أن يُقَدَّر (على تصديق رسلك وطاعة رسلك) وحينئذٍ فيتكافأ التقديران ، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا** ﴾ وهذا صريح في الإيمان بالرسول والمرسل ثم توسلوا إليه بإيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة الرسل فإنهم إنما سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل وذلك أيضاً يتضمن التصديق بهم وأنهم بلغوهم وعده فصدقوا به ، وسألوه أن يؤتيهم إياه ، وهذا هو الذي ذكره السلف والخلف في الآية . وقيل : المعنى آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على ألسنة الرسل والأول أعم وأكمل .

وتأمل كيف تضمن إيمانهم به : الإيمان بأمره ونهيه ورسله ووعده ووعيده وأسمائه وصفاته وأفعاله وصدق وعده والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره ، فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه .

والوعد معلق بشروط منها الرغبة إليه سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به ، وأن لا يلحقه ما يحبطه . فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التي ينجز لهم بها وعده فكان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية . وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين هو من الأسباب التي يوجب بها لهم المغفرة فهو سبحانه نَصَبَ[1] الأسباب التي يفعل بها ما يريده بأوليائه وأعدائه وجعلها أسباباً لإرادته كما جعلها أسباباً لوقوع مراده فمنه السبب والمُسَبَّب .

ونظير هذه الآية في سؤاله ما وعد به تعالى : ﴿ **قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَّسْئُولاً** ﴾ [٢٥/١٥-١٦] يسأله إياه عباده المؤمنون ويسأله إياه ملائكته لهم . فالجنة تسأل ربها أهلها ، وأهلها يسألونه إياها ، والملائكة تسألها لهم ، والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم ، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين ، وفي هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه ما سئل ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها ، فالرب تعالى جواد له الجود كله ، يحب أن يُسئل ويُطلب منه ويُرغب إليه ، فخلق مَن يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه فهو خالق السائل وسؤاله ومسئوله ؛ وذلك لمحبته سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه وهو يغضب إذا لم يسئل :

الله يغضبُ إن تركتَ سؤالَه   وبُنَيُّ آدم حين يُسئَل يغضبُ

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً ، وهو يحب الملحين في

---

(١) نَصَب : وضع وخلَق .

الدعاء وكلما ألح العبد عليه في السؤال أحبه وقربه وأعطاه .

وفي الحديث : « **من لم يسأل الله يغضب عليه** »[٢].

فلا إله إلا هو ! أي جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله !!! والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

قال أنس بن مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة . ومن استجار من النار بالله ثلاثاً قالت النار : اللهم أجره من النار** »[٣] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة .

وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنة ويقولون : حسبنا أن يجيرنا من النار فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم صلى ليلة إلى السَّحَر ثم رفع يديه وقال : **اللهم أجرني من النار ، أو مثلي يجترىء أن يسألك الجنة**[٤].

---

(٢) رواه الترمذي في الدعوات ٣٣٧٣ ٥/٤٢٦ ، وابن ماجة في الدعاء ٣٨٢٧ ٢/١٢٥٨ بنحوه وحسنه الأرناؤوط في جامع الأصول ٤/١٦٦ ، وكذلك حسن الألباني حديث ابن ماجة في صحيح ابن ماجة ٣٠٨٥ ٢/٣٢٤ .

(٣) رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٥٧٢ ٤/٦٠٣ ولفظه : « **من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة ..** » ، والنسائي في الاستعاذة باب الاستعاذة من حر النار ٨/٢٧٩ ، وابن ماجة في الزهد ٤٣٤٠ ٢/١٤٥٣ ولفظه : « **من سأل الجنة ثلاث مرات ..** » وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٠٧٩ ٢/٣١٩ وفي صحيح الجامع الصغير ٦٢٧٥ بلفظ : « **من سأل الله الجنة ..** » .

(٤) هذا من حياؤه رحمه الله عندما ينظر إلى تقصيره في حق الله وينظر إلى عظمة ربه . ولكن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر أصحابه الذين نقلوا علمهم لمن بعدهم أن يستعيذوا بالله من النار وأن يسألوا الله الفردوس الأعلى كما في الحديث في الباب السادس ص ٥٧ برقم هامش (٤) . ولا شك أن خير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وقد روى أبو داود في سننه من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال للفتى يعني الذي شكاه : **« كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت ؟ قال : أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار ، وإني لا أدري ما دَنْدَنَتُك[٥] ودَنْدَنة معاذ فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إني ومعاذاً حولها نُدَنْدِنُ[٦] »[٧] .**

---

(٥) الدندنة : الكلام الذي يُسمع نغمته ولا يدري معناه .

(٦) حولها ندندن : أي أن قراءتنا حولها وبسببها أي نطلبها . وفي هذا دليل على مشروعية طلب الجنة خلافاً لمن قال : لا أطلب أو لا أسألك الجنة ولا النجاة من النار ولكن أعبدك لحبك فقط أو ما شابه ، فهذا رسول الله يقر هذا الفتى على سؤاله الجنة وتعوذه من النار ثم يبين له أن قراءته وقراءة معاذ أيضاً في مثل هذا الطلب - وهذا الأمر لا ينفي المحبة فالكل مطلوب : محبة الله ، والطمع في جنته ، والخوف من ناره . قال تعالى واصفاً خير خلقه من الأنبياء ﴿ **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين** ﴾ فلا هدى أكمل من هديهم وهدي رسولنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٧) رواه أبو داود في الصلاة ٧٩٢ ١/٥٠١ عن أبي صالح عن بعض أصحاب النبي ، ورواه أيضاً من طريق جابر ٧٩٠ ١/٥٠٠ ولكن بدون سؤال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم الفتى .

وابن ماجة في إقامة الصلاة ٩١٠ ١/٢٩٥ عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٧٤٢ ١/١٥٠ .

وقصة الحديث وردت عند أحمد ٥/٧٤ وعند البيهقي - وصححه الألباني في صفة الصلاة ٥٨ - **« كان معاذ يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم العشاء ثم يرجع فيصلي بأصحابه ، فرجع ذات ليلة فصلى بهم ، وصلى فتى من قومه فلما طال على الفتى »** - وفي رواية أبي داود ٧٩٠ أن معاذاً قرأ بالبقرة - **« صلى في ناحية المسجد وخرج وأخذ بخطام بعيره وانطلق »** - ثم اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال الرسول عليه الصلاة والسلام لمعاذ : **« أفتان أنت يا معاذ ثم قال للفتى : كيف تصنع أنت يا ابن أخي إذا صليت »** فذكر الحديث . [باختصار]

الباب الرابع عشر
(في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها)

لها عدة أسماء باعتبار صفاتها :

الاسم الأول : الجنة .

وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين ، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن ، والجَانّ لاستتاره عن العيون ، والمِجَنّ[1] لستره ووقايته الوجه ، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه ، والجَان وهي الحية الصغيرة الرقيقة ، ومنه سُمِّيَ البستان جَنَّة لأنه يستر داخله بالأشجار ويغطيه ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع والجُنَّة بالضم ما يُستَجَنُّ به من تُرس أو غيره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **اتَّخَذُواْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً** ﴾ [١٦/٥٨] أي يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم ، ومنه الجِنَّة بالكسر : الجن كما قال تعالى : ﴿ **مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاس** ﴾ [٦/١١٤] .

الاسم الثاني : دار السلام .

وقد سماها الله بهذا الاسم في قوله : ﴿ **لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ** ﴾ [١٢٧/٦] وقوله : ﴿ **وَاللهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ** ﴾ [٢٥/١٠] وهي أحق بهذا الاسم فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه ، وهي دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام الذي سلمها وسلم أهلها ﴿ **وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ** ﴾ [١٠/١٠]

---

(١) المِجَنّ : التّرس .

﴿ وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُم ﴾ [١٣/٢٣-٢٤] والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ سَلَامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [٣٦/٥٧-٥٨] . وكلامهم كلهم فيها سلام أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل ، كما قال تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً ﴾ [١٩/٦٢] .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [٥٦/٩٠-٩١] فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وَرَدُوه ، وقالوا أقوالاً لا يخفى بعدها عن المقصود . وإنما معنى الآية والله أعلم : فسلامٌ لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين أي فسلامُهُ لك كائناً من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها ومن النار وعذابها ، فبُشِّرَ بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدومه على الله كما يبشر المَلَكُ رُوحَه عند أخذها بقوله : أبشري بِرَوْح وريحان وربٍ غير غضبان . وهذا أول البشرى التي للمؤمن في الآخرة .

الاسم الثالث : دار الخلد[٢] .

وسميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى : ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [١١/١٠٨] وقال : ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ [٣٨/٥٤] وقال : ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [١٣/٣٥] وقال : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [١٥/٤٨] .

الاسم الرابع : دار المقامة .

قال تعالى حكايةً عن أهلها : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾ [٣٥/٣٤-٣٥] قال مقاتل : أنزلنا دار الخلود ، أقاموا فيها أبداً،

---

(٢) وقد وصفها الله تعالى بأنها « جنة الخلد » في قوله تعالى : ﴿ **قل أذلك خير أم جنة الخلد** ﴾ .

لا يموتون ولا يتحولون منها أبداً . قال الفراء والزجاج : المقامة مثل الإقامة يقال : أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقاماً .

الاسم الخامس : جنة المأوى .

قال تعالى : ﴿ **عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ** ﴾ [١٥/٥٣] والمأوى مَفْعَل من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به .
وقال عطاء عن ابن عباس : هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة .
وقال مقاتل والكلبي : هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء .
وقال كعب : جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء .
وقالت عائشة رضي الله عنها وزر بن حبيش : هي جنة من الجنان .
والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾ [٧٩/٤٠-٤١] وقال في النار : ﴿ **فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** ﴾ [٧٩/٣٩] وقال : ﴿ **وَمَأْوَاكُمُ النَّار** ﴾ [٢٩/٢٥] .

الاسم السادس : جنات عدن .

والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن قال تعالى : ﴿ **جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ** ﴾ [١٩/٦١] وقال تعالى : ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير** ﴾ [٣٥/٣٣] وقال تعالى : ﴿ **وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْن** ﴾ [٦١/١٢] والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن فإنه من الإقامة والدوام ، يقال : عَدَن بالمكان إذا أقام به ، وعَدَنتُ البلد : توطنته ، وعَدَنَتْ الإبل بمكان كذا : لَزِمَته فلم تبرح منه . قال الجوهري : ومنه جنات عدن أي إقامة ومنه سمي المعدِن بكسر الدال لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء . ومركز كل شيء معدنه . والعادن الناقة المقيمة في المرعى .

الاسم السابع : دار الحيوان .

قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَان** ﴾ [٢٩/٦٤] ، والمراد الجنة عند أهل التفسير ، قالوا : ﴿ **وَإِنَّ الْآخِرَة** ﴾ يعني الجنة ﴿ **لَهِيَ الْحَيَوَان** ﴾ لهي دار الحياة التي لا موت فيها .

وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة وأما أبو زيد فخالفهم وقال : الحيوان ما فيه روح . والموتان والموات ما لا روح فيه .

والصواب أن الحيوان يقع على ضربين : أحدهما مصدر كما حكاه أبو عبيدة ، والثاني وصف كما حكاه أبو زيد .

فيحتمل قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَان** ﴾ [٢٩/٦٤] معنيين :

* أحدهما أن حياة الآخرة هي الحياة لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها أي لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار فيكون الحيوان مصدراً على هذا .

* الثاني أن يكون المعنى أنها الدار التي لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت .

الاسم الثامن : الفردوس .

قال تعالى : ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُون** ﴾ [٢٣/١٠-١١] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾ [١٨/١٠٧،١٠٨]

والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ويقال على أفضلها وأعلاها ، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات .

وأصل الفردوس : البستان ، والفراديس : البساتين .

قال كعب : هو البستان الذي فيه الأعناب .

وقال الليث : الفردوس جنة ذات كروم ، يقال : كَرْمٌ مُفَرْدَس أي مُعَرَّش .

وقال الضحاك : هي الجنة الملتفة بالأشجار وهو اختيار المُبرد . وقال : الفردوس فيما سمعت من كلام العرب : الشجر الملتف والأغلب عليه العنب ، وجمعه الفراديس ، قال : ولهذا سمي باب الفراديس[3] بالشام .

وقال مجاهد : هذا البستان بالرومية . واختاره الزجاج فقال : هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية ، قال : وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين .

الاسم التاسع : جنات النعيم .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ** ﴾ [٣١/٨] وهذا أيضاً اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن .

الاسم العاشر : المقام الأمين .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ** ﴾ [٤٤/٥١] والمقام موضع الإقامة ، والأمين الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص ، وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد ، والبلد الأمين الذي قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم .

وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ** ﴾ [٤٤/٥١] وفي قوله تعالى : ﴿ **يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينْ** ﴾ [٤٤/٥٥] ، فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك ، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتاً .

---

(٣) باب الفراديس : هو أحد أبواب مدينة دمشق .

الاسم الحادي عشر والثاني عشر : مقعد الصدق وقدم الصدق[٤] .

قال تعالى : « **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ** ﴾ [٥٤/٥٤-٥٥] فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها ، كما يقال : مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة ، وحلاوة صادقة وحملة صادقة ، ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه وموضع هذه اللفظة في كلامهم الصحة والكمال ، ومنه الصدق في الحديث والصدق في العمل ، والصِّدِّيق الذي يُصَدِّق قوله بالعمل ، والصَّدْق بالفتح : الصُّلْب من الرماح ، ويقال للرجل الشجاع : إنه لذو مَصْدَق أي صادق الحملة[٥] ، وهذا مصداق هذا أي ما يصدقه ومنه الصداقة لصفاء المودة والمخالة ، ومنه صَدَقَني القتال وصَدَقَني المودة ، ومنه قدم صدق ولسان صدق[٦] ، ومُدْخَل صدق ومُخْرَج صدق[٧] ، وذلك كله للحق الثابت المقصود الذي يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذي لا شيء تحته وهو لا يتضمن أمراً ثابتاً قط . وفسر قوم قدم صدق بالجنة ، وفُسِّر بالأعمال التي تُنال بها الجنة وفُسِّر بالسابقة التي سبقت لهم من الله وفُسِّر بالرسول الذي على يده وهدايته نالوا ذلك .

والتحقيق أن الجميع حق فإنهم سبقت لهم من الله الحسنى بتلك السابقة أي بالأسباب التي قدرها لهم على يد رسوله وادخر لهم جزاءها يوم القيامة . ولسان الصدق وهو لسان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق ، وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع وأنه ثناء بحق لا بباطل .

---

(٤) قال الله عز وجل : ﴿ **وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾ .

(٥) صادق الحملة : قوى الهجمة عند القتال .

(٦) قال الله عز وجل من دعاء إبراهيم : ﴿ **واجعل لي لسان صدق في الآخرين** ﴾ .

(٧) قال الله عز وجل : ﴿ **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ..** ﴾ .

ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامنا على الله وهو دخوله وخروجه بالله ولله ، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد فإنه لا يزال داخلاً في أمر وخارجاً من أمر ، فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك كان قد أُدخِل مُدخَل صدق وأُخرِج مُخرَج صدق والله المستعان .

الباب الخامس عشر

(في عدد الجنات وأنها نوعان جنتان من ذهب وجنتان من فضة)

الجنة اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور ، وهي جنات كثيرة جدا كما روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة « **أتت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة ؟ - وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غَرْب**[1]**- فإن كان في الجنة صبرتُ ، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء . قال : يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى** »[2].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما . وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن** »[3]وقد قال تعالى : ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَان** ﴾ [٥٥/٤٦] فذكرهما ثم قال : ﴿ **وَمِن دُونِهِما جَنَّتَان** ﴾ [٥٥/٦٢] فهذه أربع ، والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه :

* **أحدها** : قوله : ﴿ **ذَوَاتَا أَفْنَان** ﴾ [٥٥/٤٨] وفيه قولان : أحدهما : أنه

---

(١) سهم غَرْب : سهم لا يُدرَى من رَمَاه .

(٢) رواه البخاري في الجهاد ٢٨٠٩ ٦/٣١ وغيره .

(٣) متفق عليه ولكن بتقديم ذكر جنتي الفضة ، رواه البخاري في التوحيد ٧٤٤٤ ١٣/٤٣٣ ، ومسلم في الإيمان ٢٩٦ ١/١٦٣ .

جمع فَنَن وهو الغصن ، والثاني : أنه جمع فَنّ وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما .

* **الثاني** : قوله : ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَان** ﴾ [٥٥/٥٠] وفي الأخرين : ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَان** ﴾ [٥٥/٦٦] والنضاخة هي الفوارة ، والجارية : السارحة وهي أحسن من الفوارة فإنها تتضمن الفوران والجريان .

* **الثالث** : أنه قال : ﴿ **فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَان** ﴾ [٥٥/٥٢] وفي الأخرين : ﴿ **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان** ﴾ [٥٥/٦٨] ولا ريب أن وصف الأولين أكمل ، واختُلِف في هذين الزوجين ، والظاهر والله أعلم أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم .

* **الرابع** : أنه قال : ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَق** ﴾ [٥٥/٥٤] وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها ، وفي الأخرين قال : ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَان** ﴾[٤] [٥٥/٧٦] .

* **الخامس** : أنه قال : ﴿ **وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ** ﴾ [٥٥/٥٤] أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا ، ولم يذكر ذلك في الأخرين .

* **السادس** : أنه قال : ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْف** ﴾ [٥٥/٥٦] أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم ، وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن ، وقال في الأخرين : ﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَام** ﴾ [٥٥/٧٢] ومن قَصَرَت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قُصِرَت بغيرها .

---

(٤) أي أن الله عز وجل في وصف الجنتين الأولين وصف البطائن وهي ما واجه الأرض من الفُرُش بأنها من إستبرق بينما في الثانية وصف الظاهر . والمعلوم أن الظاهر يكون دائماً أفضل من الباطن فإن كان الباطن من إستبرق فما الظن بالظاهر ! .

* **السابع** : أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك في التي بعدها .

* **الثامن** : أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأوليين : ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾ [٥٥/٦٠] وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكانَ جزاؤهم بإحسان كامل .

* **التاسع** : أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزاءاً لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه ، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ، ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين .

* **العاشر** : أنه قال : ﴿ **وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ** ﴾ [٥٥/٦٢] والسياق يدل على أنه نقيض فوق . فإن قيل : فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه ؟ قيل : لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما .

الباب السادس عشر

(في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائر الجنان)

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان ، والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله ، كما اختار من الملائكة : جبريل ، ومن البشر : محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومن السموات : العليا ، ومن البلاد : مكة ، ومن الأشهر : المحرم ، ومن الليالي : ليلة القدر ، ومن الأيام : يوم الجمعة ، ومن الليل : وسطه ، ومن الأوقات : أوقات الصلاة ، إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى ﴿ **يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَار** ﴾ [٢٨/٦٨] .

قال عبد الله بن عمر : « **خلق الله أربعة أشياء بيده العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام ، ثم قال لسائر الخلق ، كُنْ ، فكان** »[١] .

وعن أنس عن كعب قال : « **لم يخلق الله بيده غير ثلاث ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده ، ثم قال لها : تكلمي . قالت : قد أفلح المؤمنون** »[٢] .

---

(١) قال محقق (صفة الجنة): عزاه – أي ابن القيم – للدارمي في (الرد على بشر المريسى) ص ٣٥ – وكذلك أخرجه الحاكم (٢/٣١٦) والبيهقي في (الأسماء والصفات) ص ٤٠٣ وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي وهو كما قالا .

(٢) هو من كلام كعب الأحبار وهو من اليهود الذين أسلموا ولم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكذلك نقل كثيراً من الأخبار والقصص عن بني إسرائيل . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **بلغوا عني ولو** =

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . **« إن الله أحاط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وغرس عرشها بيده ، وقال لها : تكلمي . فقالت : قد أفلح المؤمنون . فقال : طوبى لك منزل الملوك »**[٣].

= آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ٣٤٦١ ٥٧٢/٦ - وقال مالك : المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن ، أما ما علم كذبه فلا ، وقال الشافعي : من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يجيز التحدث بالكذب ، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم اهـ.وقد ورد حديث آخر عن أنس مرفوعا : **« خلق الله جنة عدن ، وغرس أشجارها بيده ، فقال لها : تكلمي ، فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ »** وهو حديث ضعيف ولكنه غير شديد الضعف فمن أراد التوسع فعليه بالضعيفة للألباني ١٢٨٣،١٢٨٥ ، صفة الجنة ١٦ ، ١٧ ٤٢/١،٤٣،٤٤ .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار مرفوعاً وموقوفاً والطبراني في الأوسط - بلفظ فيه اختلاف يسير - ورجال الموقوف رجال الصحيح وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقيف [اهـ بتصرف] . وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٤١٩٩ : ورواه البزار من رواية أبي سعيد بإسناد فيه مقال ورواه موقوفاً عليه بإسناد صحيح . اهـ (وللتوسع راجع كلام الزبيدي أيضاً) .

وكذلك حكم ابن القيم رحمه الله على الحديث الموقوف بالصحة فقال : والحديث صحيح موقوفاً . (الباب السادس والخمسون ص ٢٤٩) .

ملحوظة : حديث كلام الجنة وقولها قد أفلح المؤمنون قد ورد عن ابن عباس ، وأنس ، وأبي سعيد الخدري ، وعن بعض التابعين كقتادة وكعب الأحبار وغيرهم .

وقد قال المنذري في حديث ابن عباس : رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد (الترغيب والترهيب ٣٣ ٩٥٢/٤) اهـ . وكذلك قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٩٧/١٠ : رواه الطبراني في الأوسط والكبير وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد . اهـ . ولذلك قال محقق صفة الجنة ٤٣/١ : وخلاصة القول : إن الناظر في هذا الحديث يحكم بأن له أصلاً اهـ .

قلت : وشواهد هذا الحديث كثيرة فمن أراد التوسع فعليه بمراجعة : تفسير ابن كثير =

وقد روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **سأل موسى عليه السلام ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة فيقال له : ادخل الجنة . فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب . فيقول له : لك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب . [فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك . فيقول : رضيت رب][4] قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ، فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، ومصداقه من كتاب الله ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [٣٢/١٧]** »[5].

= ٤٥٥/٥ ، تفسير الطبري ١/١٨ ، مجمع الزوائد ٣٩٦/١٠،٣٩٧ ، صفة الجنة لأبي نعيم ١٦،١٧،١٨،١٩ ، تخريج الإحياء للعراقي والسبكي والزبيدي ٢٨٠٠، ٣٠٧١،٤٢٣٠ ، الدر المنثور ٢/٥ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من طبعتي المدني وبيروت ؛ والإكمال من صحيح مسلم .

(٥) رواه مسلم في الإيمان ٣١٢ ١/١٧٦ .

الباب السابع عشر
(في ذكر بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم ورئيسهم)

قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ، وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُم ﴾ [٧٣/٣٩] ، والخَزَنَة جَمْعُ خازن ، مثل حفظة وحافظ ، وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استُحْفِظَه .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح**[1]**فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بلى أُمِرتُ أن لا أفتح لأحد قبلك** »[2].

وقد تقدم حديث أبي هريرة المتفق عليه : « **من أنفق زوجين**[3]**في سبيل الله دعاه خزنة الجنة ، كل خزنة باب : أي فُلْ هَلُم** [4]**،قال أبو بكر : يا رسول الله ذاك الذي لا تَوى**[5]**عليه فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إني لأرجو أن تكون منهم** » وفي لفظ : « **هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نعم وأرجو أن تكون منهم** »[6].

---

(١) أستفتح : اطلب الفتح .

(٢) رواه مسلم في الإيمان ٣٣٣ ١٨٨/١ .

(٣) المراد بالزوجين : إنفاق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد .

(٤) فُلْ هَلُمّ : يا فلان تعال وأقبل .

(٥) لا تَوى : لا هلاك ولا خسارة .

(٦) متفق عليه : رواه البخاري في الصوم ١٨٩٧ ١٣٣/٤ بأتم من هذا ، ومسلم في الزكاة ٨٦ ٧١٢/٢ .

لما سَمَت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان ، وطمعت نفسه أن يُدْعى من تلك الأبواب كلها ، سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : هل يحصل ذلك لأحد من الناس ؟ ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك . فخَبَّره بحصوله وبَشَّره بأنه من أهله . وكأنه قال : هل تكمل لأحد هذه المراتب فيُدْعى يوم القيامة من أبوابها كلها ؟ .

فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس !! .

قد سَمَّى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة : رضوان ، وهو اسم مشتق من الرضا ، وسمى خازن النار : مالكاً ، وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه .

الباب الثامن عشر
(في ذكر أول من يقرع باب الجنة)

وقد تقدم حديث أنس وفيه قال : « **فيقوم الخازن فيقول : لا أفتح لأحد قبلك** »[1] وذلك أن قيامه إليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاصة إظهاراً لمزيته ورتبته .

وقد روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أن امرأة تبادرني فأقول لها : مالك ومن أنت ؟ فتقول : أنا امرأة قعدت**[2] **على يتامى** »[3].

في صحيح مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أنا أكثر الناس تبعاً**[4] **يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة** »[5].

---

(١) سبق تخريجه في الباب السابع عشر ص ٩٥ برقم هامش ٢ .

(٢) قعدت على يتامى : حبست نفسي عن الزواج لكي أربي أطفالي بعد وفاة زوجي .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦٢/٨ : رواه أبو يعلى وفيه عبد السلام بن عجلان وثقه أبو حاتم وابن حبان وقال : يخطىء ويخالف ، وبقية رجاله ثقات . اهـ وقد أخرجه أبو يعلى ٦٦٥١ ١٢/٧ وقال المحقق : إسناده جيد . عبد السلام بن عجلان فصلنا القول فيه عند الحديث ٦١٣٥ وبيّنا أنه جيد الإسناد وباقي رجاله ثقات وانظر حديث أنس .. وعائشة .. ، المطالب العالية ٢٥٣٦ ٣٨٦/٢ .

(٤) تبعاً : أتباعاً .

(٥) رواه مسلم في الإيمان ٣٣١ ١٨٨/١ .

الباب التاسع عشر
(في ذكر أول الأمم دخولا الجنة)

في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **نحن السابقون الأولون يوم القيامة ، بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم** »[1] أي لم يسبقونا إلا بهذا القدر فمعنى بَيْد معنى (سوى) و (غير) و (إلا) ونحوها .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **نحن الآخرون الأولون[2] يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا وأُوتيناه من بعدهم ، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه** »[3].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الجمعة ٨٧٦ ٢/٤١٢ من طريق الأعرج عن أبي هريرة بلفظ : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة** .. » ، وكذلك ٨٩٦ ٢/٤٤٤ من طريق طاوس عن أبي هريرة بلفظ : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة** ... » ، ومسلم في الجمعة ٢١ ٢/٥٨٦ من حديث همام بن منبه بلفظ : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة** .. » كذلك ، فلعل الإمام ابن القيم ساقه بالمعنى والله أعلم .

(٢) نحن الآخرون الأولون : المقصود أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة بأنهم أول من يحشر ويحاسب ويقضى بينهم ويدخلون الجنة . وقيل في معنى السبق أيضاً : السبق في اليوم الفاضل وهو الجمعة عند المسلمين ثم السبت عند اليهود ثم الأحد عند النصارى فيكون الفضل في اليوم الأول وهو الجمعة . والوجه الأول أقوى .

(٣) رواه مسلم في الجمعة ٢٠ ٢/٥٨٥،٥٨٦ بدون لفظ « بإذنه » وتمام الحديث : « **فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه . هدانا الله له (قال يوم الجمعة) فاليوم لنا ، وغداً لليهود ، وبعد غدٍ للنصارى** » .

فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض ، وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف ، وأسبقهم إلى ظل العرش ، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم ، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط ، وأسبقهم إلى دخول الجنة ، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته .

وأما أول الأمة دخولاً فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي ، فقال أبو بكر : يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي** »[4] وقوله : « **وددت أني كنت معك** » حرصاً منه على زيادة اليقين وأن يصير الخبر عياناً كما قال إبراهيم الخليل : ﴿ **رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ، قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾ [٢/٢٦٠] .

(٤) رواه أبو داود في السنة ٤٦٥٢ ٥/٤١ وضعفه الألباني في الضعيفة ١٧٤٥ ، ورواه أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة) ٢٥٨ ١/٢٢١،٢٢٢ وكذلك ٥٩٣ ١/٣٩٢ وصحح المحقق إسناده لغيره ، ولكن الحديث يحتمل التحسين فقط والله أعلم .

الباب العشرون
(في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم)

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أول زُمْرَةٍ[1] تَلِجُ[2] الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يصقون فيها ولا يتغوطون فيها ولا يتمخطون فيها ، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ، ومجامرهم[3] الألُوَّة[4] ، ورشحهم المسك[5] ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما[6] من وراء اللحم من الحسن[7] ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد[8] يسبحون الله بكرة وعشيا** »[9].

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون**

---

(١) زمرة : الفوج أو الجماعة .
(٢) تلج : تدخل .
(٣) مجامر : جمع مجمرة وهي المبخرة .
(٤) الألُوَّة : العود الذي يُتَبَخَّرُ به وهو طيب الريح .
(٥) رشحهم المسك : عرق أبدانهم له ريح المسك أو هو المسك نفسه .
(٦) مخ سوقهما : المخ هو ما بداخل العظم . السوق : جمع ساق .
(٧) المقصود وصفهما بالصفاء البالغ والرقة حتى أن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد .
(٨) على قلب رجل واحد : متفقون مطهرون من ذميم الأخلاق من الاختلاف والتباغض .
(٩) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٤٥ ٦/٣٦٧ ، ومسلم في الجنة ١٧ ٤/٢١٨٠ بنحوه .

ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألَّوَّة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خَلْق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء »[10].

وروى الإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمه واللفظ له من حديث عبد الله بن عمرو : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **« هل تدرون أول من يدخل الجنة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فقراء المهاجرين الذين تُتقى بهم المكَارِه**[11]**، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً ، تقول الملائكة : ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا . فيقول : عبادي لا يشركون بي شيئاً تتقى بهم المكاره ، يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاءً ، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »**[12].

ولما ذكر الله تعالى أصناف بني آدم سعيدهم وشقيهم ، قَسَّم سعيدهم إلى قسمين : سابقين ، وأصحاب يمين . فقال : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُون** ﴾ [10/56] واخْتُلِفَ في تقريرها على ثلاثة أقوال :

* أحدها : أنه من باب التوكيد اللفظي ، ويكون الخبر قوله : ﴿ **أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون** ﴾ [11/56] .

---

(10) متفق عليه : رواه البخاري في الأنبياء ٣٣٢٧ ٤١٧/٦ ، ومسلم في الجنة ١٥ ٢١٧٩/٤ .

(11) تُتَقى بهم المكاره : تدفع بواسطتهم الأشياء المكروهة ، والمقصود أنهم يكونون الفداء للإسلام .

(12) رواه أحمد ١٦٨/٢ ، وباختلاف يسير في ١٧٧/٢ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥٩/١٠ : رواه أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات اهـ.وصححه العلامة أحمد شاكر في المسند ٦٥٧٠ ٧٦/١٠، ٧٧ .

* والثاني : أن يكون ﴿ السَّابِقُون ﴾ الأول مبتدأ ، والثاني خَبَرٌ له ، على حد قولك : زيدٌ زيد ، أي زيد الذي سمعت به هو زيد . كما قال :

أنا أبو النجم وشعري شعري .

وكقول الآخر :

إذ الناس ناس والزمان زمان .

* والثالث : أن يكون المعنى : السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات ، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان وهذا أظهر والله أعلم[١٣].

فإن قيل : فما تقول في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه من حديث بريدة بن الحصيب قال : **« أصبح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فدعا بلالاً فقال : يا بلال بم سبقتني إلى الجنة ؟ فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك[١٤] أمامي ، ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامي ، فأتيت على قصر مُرَبَّع مُشَرَّف[١٥] من ذهب ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من أمة محمد ، قلت : أنا محمد لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب . فقال بلال : يا رسول الله ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين ، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله عليّ ركعتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: فبذلك »**[١٦].

---

(١٣) وقد يكون هذا الأسلوب للحث والحض وإثارة الهمم للدخول في زمرتهم .

(١٤) خشخشتك : صوت حركتك . والخشخشة : صوت السلاح أو احتكاك الأشياء اليابسة .

(١٥) مُشَرَّف : مُطَوَّل .

(١٦) رواه الترمذي في المناقب ٣٦٨٩ ٥/٥٧٩ وأحمد ٥/٣٦٠ وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٩٦ ١/٨٦،٨٧ . وحَسَّن الأرناؤوط إسناد الترمذي في جامع الأصول ٦٣٨٩ ٨/٥٧٧ .

قيل : نتلقاه بالقبول والتصديق ولا يدل على أن أحداً يسبق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الجنة ، وأما تقدم بلال بين يدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الجنة فلأن بلالاً كان يدعو إلى الله أولا بالأذان فيتقدم أذانه بين يدي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم فتقدمه بين يديه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كرامةً لرسوله ، وإظهاراً لشرفه وفضله ، ولا سبقاً من بلال له ، بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ودخول المسجد ونحوه . والله أعلم .

الباب الحادي والعشرون

(في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة)

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام** »[1] وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً** »[2].

والذي في الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً . فإما أن يكون هو المحفوظ[3]، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء[4]، فمنهم من يسبق بأربعين ، ومنهم من يسبق بخمسمائة ، كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب أحوالهم والله أعلم .

ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في

---

(١) رواه أحمد ٥/٥٠ ، والترمذي في الزهد ٢٣٥٤ ٤/٤٩٩ وابن ماجة في الزهد ٤١٢٢ ٢/١٣٨٠ وقال الحافظ ابن كثير في نهاية البداية والنهاية ٢/٣٩٨ : وإسناده على شرط مسلم اهـ . ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٨٠٧٦ .

(٢) رواه مسلم في الزهد ٣٧ ٤/٢٢٨٥ .

(٣) المحفوظ : هو الحديث الذي رواه الثقات مخالفين رواية ثقة واحد .

(٤) قال الحافظ ابن كثير في نهاية البداية والنهاية ٢/٣٩٩ : وإن كان الأول محفوظاً (يقصد أن يكون حديث الخمسمائة عام صحيحاً) فيكون باعتبار أول الفقراء وآخر الأغنياء .

الدخول ارتفاع منازلهم عليهم ، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول ، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفاً وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم ، والغني إذا حوسب على غناه فوُجِدَ قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف ، كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

فالمزية مزيتان : مزية سبق ومزية رِفْعَة ، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة ، ويعدمهما آخر ، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة ، ولآخر الرفعة دون السبق ، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه ، وبالله التوفيق .

الباب الثاني والعشرون

(في ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم)

قال تعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [٣/١٣٣-١٣٦] .

فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم ، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر والشدة والرخاء ، فإن من الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ولا يبذل في حال العسر والشدة ، ثم ذكر كَفَّ أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم وحبس الانتقام بالعفو ، ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الإصرار ، فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه .

قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوزُ الْعَظِيمُ ﴾ [٩/١٠٠] فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان فلا مطمع لمن خرج عن طريقتهم فيها .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [٨/٢-٤] فوصفهم بإقامة حقه باطناً وظاهراً وبأداء حق عباده .

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا : فلان شهيد وفلان شهيد وفلان شهيد ، حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : كلا إني رأيته في النار في بردة غلَّها[1] أو عباءة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يا ابن الخطاب اذهب فنادِ في الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، قال : فخرجت فناديت أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون »[2] وللبخاري معناه .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر بلالاً ينادي في الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة »[3] وفي بعض طرقه « مؤمنة » .

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال ذات يوم في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني من يومي هذا ، كل مال نحلته[4] عبداً

---

(١) غَلَّها : أخذها قبل تقسيم الغنائم . والغلول من الكبائر .

(٢) رواه مسلم في الإيمان ١٨٢ ١/١٠٧ عن عبد الله بن عباس لا عن عمر بن الخطاب ، وبمعناه عند البخاري في المغازي ٤٢٣٤ ٧/٥٥٧ ، وأما الجزء الثاني من الحديث (المناداة) فعند البخاري في المغازي ٤٢٠٣ ٧/٥٣٨ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في المغازي ٤٢٠٣ ٧/٥٣٨ ، ومسلم في الإيمان ١٧٨ ١/١٠٥ ولكن هناك خلاف في المنادي : فهو بلال عند البخاري ، وعمر عند مسلم ، وعبد الرحمن بن عوف عند البيهقي . وجمع الحافظ ابن حجر بينهم في الفتح ٧/٥٤٢ بأنهم نادوا جميعاً في جهات مختلفة .

(٤) نحلته : أعطيته .

حلالٌ [٥]،وإني خلقت عبادي حنفاء[٦] كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[٧]عن دينهم فحَرَّمَتْ عليهم ما أحللتُ لهم ، وأَمَرَتْهُمْ أن يُشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمَقَتَهُمْ[٨]عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك[٩]. وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء[١٠]تقرأه نائماً ويقظان ، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً فقلت : ربِّ إذاً يثلغوا[١١]رأسي فيدعوه خبزة ، قال : استخرجهم كما أخرجوك واغزهم نُغْنِك[١٢]، وأنفق فسينفق عليك وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله[١٣]، وقاتل بمن أطاعك من عصاك ، قال : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مُقْسِط[١٤]متصدق مُوَفَّق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال . وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زَبْر له[١٥]الذين هم فيكم تبعاً لا

---

(٥) حلال : مباح له . وفي هذا رد وإنكار على أهل الجاهلية الذين كانوا يحرمون على أنفسهم بعض الأنعام بغير تشريع من الله تعالى . فكل مالٍ ملكه العبد فهو حلال إلا لو تعلق به ظلم ، أو كسبه من حرام .

(٦) حنفاء . مائلين عن الشرك إلى الإسلام ، والمقصود : مسلمين .

(٧) اجتالتهم : حولتهم وحرفتهم عن دينهم وهو الإسلام .

(٨) مقتهم : أبغضهم أشد البغض . وهذا كان قبيل بعثة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٩) لأبتليك وأبتلي بك : أختبرك بالقيام بواجبات الرسالة والبلاغ والجهاد وأختبر الناس بالإيمان بك .

(١٠) لا يغسله الماء : محفوظ في الصدور لا في الكتب فقط فيمحى إذا غسل الكتاب بالماء .

(١١) يثلغوا رأسي : يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز أي يكسر .

(١٢) نغنك : نوسع عليك ، وفي صحيح مسلم : نغزك أي نعينك .

(١٣) خمسة مثله : أي من الملائكة .

(١٤) مقسط : عادل .

(١٥) لا زَبْر له : لا عقل له يمنعه ويحجزه عما لا يصح .

يبغون فيكم أهلاً ولا مالاً[16]، والخائن الذي لا يخفى[17] له طمع وإن دق[18] إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل أو الكذب، والشِنْظِير[19] الفحاش، وإن الله أوحى إليَّ: أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد»[20].

وفي الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال: سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف[21] لو أقسم على الله لأبَرَّه. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ[22] جَوَّاظٍ[23] متكبر**»[24].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إن أهل النار كل جعظريٍ[25] جواظٍ مستكبرٍ جماعٍ مناعٍ[26]، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون**»[27].

---

(١٦) أي لا يطلبون من كفرهم هذا مالاً ولا ولداً وإنما هم مع غالب الناس. وفي رواية مسلم: «**لا يتبعون**».

(١٧) لا يخفى: لا يظهر. يقال خفيت الشيء إذا أظهرته، وأخفيته إذا سترته وكتمته.

(١٨) دق: قَلَّ وصغر.

(١٩) الشِنْظِير: الفحاش سيء الخلق.

(٢٠) رواه مسلم في الجنة ٦٣ ٤/٢١٩٧.

(٢١) ضعيف متضعف: ضعيف النفس لتواضعه وقلة شهرته في الدنيا.

(٢٢) عُتُلّ: الشديد الخصومة الفظ الغليظ.

(٢٣) جَوَّاظ: الضخم المختال.

(٢٤) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير ٤٩١٨ ٨/٥٣٠، ومسلم في الجنة ٤٦ ٤/٢١٩٠.

(٢٥) جعظري: الفظ الغليظ.

(٢٦) جماع مناع: الحريص على جمع المال البخيل به.

(٢٧) رواه أحمد ٢/١٦٩،٢١٤ ٣/١٤٥ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ. وقال العلامة أحمد شاكر في المسند ٦٥٨٠،٧٠١٠: إسناده =

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **« ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة : النبي في الجنة ، والصِّدِّيق في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر[٢٨] لا يزوره إلا لله في الجنة . ونساؤكم من أهل الجنة : الودود الولود[٢٩] التي إذا غضب أو غضبت ، جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها ثم تقول لا أذوق غُمْضاً[٣٠] حتى ترضى »**[٣١].

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **« إن أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع ، وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع »**[٣٢].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : **« مُرَّ بجنازة فأثنى عليها خير فقال نبي الله : وجبت وجبت وجبت . ومُرَّ بجنازة فأُثنِيَ عليها شر فقال : وجبت وجبت وجبت . فقال عمر : فداك أبي وأمي ، مُرَّ بجنازة فأثنى عليها خير فقلت : وجبت وجبت وجبت ، ومُرَّ بجنازة فأُثنِيَ عليها شر فقلت : وجبت وجبت وجبت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار . وأنتم شهداء الله في الأرض »**[٣٣].

= صحيح ، وصححه الألباني في الصحيحة ١٧٤١ .

(٢٨) المصر : البلد .

(٢٩) الودود الولود : المُحِبَّة المَحْبُوبة الكثيرة الأولاد .

(٣٠) غُمْضاً : نوماً .

(٣١) رواه النسائي في كتاب عشرة النساء ٢٥٧ (ص ٢١٩) بسياق مشابه وزيادة طفيفة في بعض الألفاظ وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢٦٠٤ من طريق كعب ابن عجرة بنحوه .

(٣٢) رواه ابن ماجة في الزهد ٤٢٢٤ ١٤١٢/٢ وصححه الألباني في الصحيحة ١٧٤٠ ، وفي صحيح ابن ماجة ٣٤٠٣ ٤١٣/٢ .

(٣٣) متفق عليه : رواه البخاري في الجنائز ١٣٦٧ ٢٧٠/٣ بنحوه ، ومسلم في الجنائز =

وفي الحديث الآخر : « **يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار . قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن والثناء السيء** »[٣٤].

وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله : **﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً ﴾** [٦٩/٤]
فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنّه وكرمه .

= ٦٠ ٦٥٥/٢ واللفظ له . وزاد تكرار الجملة الأخيرة من الحديث ثلاثاً .

(٣٤) رواه ابن ماجة في الزهد ٤٢٢١ ١٤١١/٢ وحَسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجة ٣٤٠٠ ٤١٢/٢ .

الباب الثالث والعشرون

(في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد صلى الله عليه وعلى وآله وسلم)

في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ فكَبَّرنا ، ثم قال : أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ فكَبَّرنا ، ثم قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، وسأخبركم عن ذلك ، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرةٍ بيضاء في ثورٍ أسود أو كشعرةٍ سوداء في ثورٍ أبيض** »[1] هذا لفظ مسلم وعند البخاري : « **وكشعرةٍ سوداء في ثورٍ أبيض** »[2] بغير ألِف .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **كيف أنتم وربع الجنة لكم ، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : كيف أنتم وثلثها ؟ قالوا : ذاك أكثر ، قال : كيف أنتم والشطر لكم ، قالوا : ذاك أكثر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أهل الجنة عشرون ومائة صف ، لكم منها ثمانون صفاً** »[3] .

ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر لأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاد عليه سدساً آخر .

---

(١) رواه مسلم في الإيمان ٣٧٦ ١/٢٠٠ .

(٢) رواه البخاري في الرقاق ٦٥٢٨ ١١/٣٨٥ .

(٣) رواه أحمد ١/٤٥٣ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٤٠٣ : هو في الصحيح باختصار - رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الثلاثة ورجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة وقد وثق اهـ . وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر في المسند ٤٣٢٨ ٦/١٥٧ . وقد بحث طرق الحديث بحثاً طيباً ووافق حكم العلامة أحمد شاكر - محقق كتاب صفة الجنة لأبي نعيم ٢٣٩ ٢/٧٧،٧٨،٧٩ .

الباب الرابع والعشرون

(في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم في النار)

ثبت في الصحيحين من حديث محمد بن سيرين قال : « **إما تفاخروا وإما تذاكروا** [1]:**الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : ألم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضوإ كوكب دُرِّي في السماء ، لكل امريءٍ منهم زوجتان اثنتان**[2]**يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما في الجنة عَزَب**[3] »[4]فإن كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال ، وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثرَ .

والظاهر أنهن من الحور العين[5]لما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين ، على كل واحدة سبعون حُلَّة ، يرى مخ ساقها من وراء**

---

(١) شك راوي الحديث هل سبب قول أبي هريرة للحديث بسبب التفاخر بأكثرية الرجال في الجنة أو بسبب التذاكر .

(٢) يحتج أبو هريرة رضي الله عنه بقول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **زوجتان اثنتان** » فإذا كان لكل منهم زوجتان وما في الجنة عزب فكيف يكون الرجال أكثرية في الجنة ؟ .

(٣) عَزَب : أعزب وهو من لا زوجة له .

(٤) متفق عليه بنحوه : روى البخاري الحديث بدون القصة في بدء الخلق ٣٢٤٦ ٦/٣٦٧ بنحوه وفي أحاديث الأنبياء ٣٣٢٧ ٦/٤١٧ بلفظ : « **وأزواجهم الحور العين** » ، ومسلم في الجنة ١٤ ٤/٢١٧٨ مع ذكر القصة ولفظه : « **وأزواجهم الحور العين** » ، أما لفظ : « **وما في الجنة عزب** » فهو عند مسلم فقط

(٥) راجع روايات الحديث السابق تجد أنها تقرر هذا الوجه

الثياب »[٦].

فإن قيل : فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه : « **شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم العيد ، صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة ، ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذَكَّرهم ، ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال ، فذكرهن وأمرهن بالصدقة . قال فجعلت المرأة تلقي خاتمها وخُرْصَها**[٧]**والشيء كذلك**[٨]**، فأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلالاً فجمع ما هناك ، قال : إن منكن في الجنة ليسير ، فقالت امرأة : يا رسول الله لم ؟ قال : إنكن تكثرن اللعن ، وتَكْفُرْن العَشِير**[٩]**»**[١٠]. وفي الحديث الآخر : « **إن أقل ساكني الجنة النساء »**[١١].

قيل : هذا يدل على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين التي خُلِقْنَّ في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا ، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار .

---

(٦) رواه أحمد ٣٤٥/٢ وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٨٠/٧) : تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه ، وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن علية اهـ .
قلت : ولكن لا يوجد في رواية مسلم : « **زوجتان من الحور العين** » وهو المطلوب إثباته هنا . وصحح الأرناؤوط إسناد أحمد هذا في تعليقه على شرح السنة ٢١٢/١٥ .

(٧) خُرْصَها : الخُرْص أو الخِرْص : الحلقة من الذهب أو الفضة وهي غالباً : الأقراط (حلية الأذن) .

(٨) الشيء كذلك : ما شابه من الذهب والفضة .

(٩) تكفرن العشير : تجحدن إحسان الزوج ، والعشير أي المعاشر وهو الزوج هنا .

(١٠) متفق عليه بنحوه : رواه البخاري في العيدين ٩٦١ ٥٢٣/٢، ٩٧٨ ٥٤٠/٢ ومسلم في صلاة العيدين ٤ ٦٠٣/٢ .

(١١) يأتي تخريجه في هذا الباب ص١١٦ برقم هامش ١٧ من حديث عمران بن حصين .

أما كونهن أكثر أهل النار فلما روى البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء** »[١٢] وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء** »[١٣].

وفي الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار . فقالت امرأة منهن جَزْلة**[١٤]: **وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : تكثرن اللعن وتَكْفُرْن العَشِير ، ما رأيت من ناقصات عقلٍ ودينٍ أَغْلَبَ لذي لُبٍ**[١٥]**منكن . قالت : يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال : أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل بشهادة رجل ؛ فهذا نقصان العقل ، وتمكث الأيام لا تصلي وتفطر فهذا نقصان الدين** »[١٦].

وأما كونهن أقل أهل الجنة ففي أفراد مسلم عن مطرف بن عبد الله أنه قال : جئت من عند عمران بن حصين فحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١٢) رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٤١ ٣٦٦/٦ ، وفي النكاح ٥١٩٨ ٢٠٩/٩ ، وفي الرقاق ٦٤٤٩ ٢٧٨/١١ ولكن بتقديم جملة « **اطلعت في الجنة** ... » .

(١٣) رواه مسلم في الذكر ٩٤ ٢٠٩٦/٤ .

(١٤) جَزْلَة : ذات عقل ورأي .

(١٥) لُبّ : عقل .

(١٦) رواه مسلم في الإيمان ١٣٢ ٨٦/١ ، وللبخاري نحوه من حديث أبي سعيد الخدري مع اختلاف في السياق في الإيمان ٣٠٤ ٤٨٣/١ .

وعلى آله وسلم قال : « **إن أقل ساكني الجنة النساء** »[17].

وقد روى أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال : « **كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة في هودجها[18] قال : فمال فدخل الشِعب[19] فدخلنا معه فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في هذا المكان ، فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان** »[20].

والأعصم من الغربان الذي في جناحه ريشة بيضاء .

وفي النهاية : الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين وقيل الأبيض الرِجْل ، أراد قلة من يدخل الجنة من النساء لأن هذا الوصف في الغربان قليل عزيز .

---

(١٧) رواه مسلم في الذكر ٩٥ ٢٠٩٧/٤ .

(١٨) الهودج : ما يوضع للمرأة فوق البعير لكي تركبه .

(١٩) الشِعب : هو طريق بين جبلين .

(٢٠) رواه أحمد ١٩٧/٤، ٢٠٥ ، وقال العراقي في تخريج الإحياء ١٣٦٩ : وإسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي اهـ . وصححه الألباني في الصحيحة ١٨٥٠ وعزاه لأحمد وأبي يعلى وغيرهم .

الباب الخامس والعشرون
(فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم)

ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **يدخل الجنة من أمتي زُمْرة**[1] **هم سبعون ألفاً ، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر . فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نَمِرَة**[2] **عليه ، فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : اللهم اجعله منهم ، فقام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة** »[3].

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب أو سبعمائة ألف ، آخذٌ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر** »[4].

فهذه هي الزمرة الأولى وهم يدخلونها بغير حساب والدليل عليه ما ثبت في الصحيحين والسياق لمسلم :

عن سعيد بن جبير قال : « ... **حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه**

---

(١) زمرة : الفوج من الناس ، أو الجماعة في تفرقة .

(٢) نمرة : بردة من صوف تلبسها الأعراب .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في اللباس ٥٨١١ ، ٢٨٧/١٠ ، ومسلم في الإيمان ٣٦٩ ، ١٩٧/١ .

(٤) متفق عليه بنحوه : رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٤٧ ، ٣٦٧/٦ ، ومسلم في الإيمان ٣٧٣ ، ١٩٨/١ .

وعلى آله وسلم قال : عُرِضَت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط[٥]، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، ورُفِعَ إليَّ سواد[٦] عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم : لعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : ما الذي تخوضون فيه ؟ فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون[٧]، ولا يتطيرون[٨] وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : أنت منهم . ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : سبقك بها عكاشة »[٩] وليس عند البخارى

---

(٥) الرهط : ما دون العشرة رجال .

(٦) السواد من الناس : العدد العظيم .

(٧) لا يسترقون : لا يطلبون من أحد أن يرقيهم ، والرقية هي التعويذة ، وهي قد تكون شرعية بقراءة القرآن والأدعية الصحيحة مثل المعوذتين : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ وأدعية الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثل : « **أعوذ بكلمات الله التامات** ... » ومثل رقية جبريل التي رق بها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسدٍ ، الله يشفيك ، بسم الله أرقيك** » رواه مسلم في السلام ٤٠ ٤/١٧١٨، ١٧١٩ . وقد تكون الرقية غير شرعية إذا كان فيها الكلام غير العربي أو غير المفهوم أو ما فيها استرضاء للجن أو الشياطين . وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا شك أنه لا يمكن أن يأتي أحدٌ بخير مما جاء به سيد الأولين والآخرين محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٨) لا يتطيرون : لا يتشائمون .

(٩) متفق عليه: رواه البخاري بنحوه في الرقاق ٦٥٤١ ١١/٤١٣، ومسلم في الإيمان =

« **لا يرقون** » قال شيخنا : وهو الصواب وهذه اللفظة وقعت مقحمة في الحديث ، وهي غلط من بعض الرواة فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده ، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون . والطِّيَرَة نوعٌ من الشرك[10]، ويتوكلون على الله وحده لا على غيره . وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله كما في الحديث « **الطيرة شرك** »[11]قال ابن مسعود : « **وما منا إلا من تطير ، ولكن الله يذهبه بالتوكل** »[12]. فالتوكل ينافي التطير .

وأما رقية العين فهي إحسان من الراقي ، قد رقى رسولَ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جبريلُ ، وأَذِنَ في الرقى وقال : « **لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك** »[13]واستأذنوه فيها فقال : « **من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه** »[14]وهذا يدل على أنها نفع وإحسان وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله فالراقي محسن ، والمسترقي سائلٌ راجٍ نفع الغير والتوكل ينافي ذلك .

= ٣٧٤ ١/١٩٩ .

(١٠) الطيرة نوع من الشرك : لأنها تجعل الإنسان يعلق قدَره وما أصابه على ما يتطير ويتشاءم به فيقول مثلاً : إن ما أصابني هو بسبب رؤيتي لفلان أو لطائر مثل البومة أو لكذا وكذا ولا يرد الأمر لمشيئة الله وقدره بينما الحق أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وكل ذلك إنما هو بقدر الله تعالى . فهذا يشبه أن يكون قد خلع قدرة الله في تصريف الأمور على بعض خلقه .

(١١) رواه أحمد ١/٣٨٩،٤٣٨،٤٤٠ ، وأبو داود في الطب ٣٩١٠ ٤/٢٣٠ ، والترمذي في السير ١٦١٤ ٤/١٣٧،١٣٨ ، وابن ماجة في الطب ٣٥٣٨ ٢/١١٧٠ كلهم عن عبد الله بن مسعود . وصححه العلامة أحمد شاكر في المسند ٣٦٨٧ ٥/٢٥٣،٢٥٤ وكذلك صححه الألباني في الصحيحة ٤٢٩ وصحيح ابن ماجة ٢٨٥٠ ٢/٢٧٠ .

(١٢) هو بقية الحديث السابق .

(١٣) روى مسلم نحوه من حديث عوف بن مالك الأشجعي في السلام ٦٤ ٤/١٧٢٧ .

(١٤) رواه مسلم في السلام ٦١،٦٢،٦٣ ٤/١٧٢٦،١٧٢٧ .

فإن قيل : فعائشة قد رقت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجبريل قد رقاه .

قيل : أجل ولكن هو لم يسترق ، وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يقل (ولا يرقيهم راق) وإنما قال : (لا يطلبون من أحد أن يرقيهم) ، وفي امتناعه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يدعو للرجل الثاني سَدٌّ لباب الطلب ، فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه مَن ليس مِن أهله والله أعلم .

وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب . قيل : ومن هم ؟ قال : هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون** »[15].

وفي صحيحه أيضاً من حديث جابر ابن عبد الله قال : « **سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يذكر حديثاً طويلاً وفيه : فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم في السماء ، ثم كذلك** »[16] وذكر تمام الحديث .

---

(١٥) رواه مسلم في الإيمان ٣٧١ ١/١٩٨ بدون لفظ « **ولا عذاب** » ، وإن كان هذا اللفظ قد ورد في رواية ابن عباس السابقة في نفس هذا الباب .

(١٦) رواه مسلم في الإيمان ٣١٦ ١/١٧٧ .

الباب السادس والعشرون

(في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة)

عن محمد بن زياد قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ، مع كل ألفٍ سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حثيات[1]من حثيات ربي** »[2].

وعن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ، قال يزيد بن الأخنس : والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصفر في الذباب[3]، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن الله وعدني سبعين ألفاً ، مع كل ألفٍ سبعون ألفاً ، وزادني ثلاث حثيات** »[4].

وعن عتبة بن عبد السلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً**

---

(١) حثيات : جمع حَثْيَة وهي الغَرْفَة باليد .

(٢) رواه أحمد ٢٦٨/٥ ، والترمذي في صفة القيامة ٢٤٣٧ ٥٤٠/٤ ، وابن ماجة في الزهد ٤٢٨٦ ١٤٣٣/٢ ، وابن أبي عاصم في كتاب « السنة » ٥٨٩ ٢٦١/٢ وصحح الألباني إسناده عند ابن أبي عاصم ، وصححه في صحيح الجامع الصغير ٧١١١ وعزاه لأحمد والترمذي وابن حبان .

(٣) الذباب الأصفر في الذباب : الذباب الأصفر نوع نادر من أنواع الذباب .

(٤) رواه أحمد ٢٥٠/٥ ، وابن أبي عاصم في السنة ٥٨٨ ٢٦٠/٢ وصححه الألباني هناك .

بغير حساب ، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً ، ثم يحثي ربي تبارك وتعالى بكفيه ثلاث حثيات ، فكَبَّرَ عُمَر وقال : إن السبعين الأولى يُشَفِّعُهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم ، وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر »[٥].

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد : لا أعلم لهذا الإسناد علة[٦].

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي الجنة مائة ألف . فقال أبو بكر : يا رسول الله زدنا . قال : وهكذا وأشار بيده ، قال : يا رسول الله زدنا**[٧]. **فقال عمر : إن الله قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : صدق عمر** »[٨].

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف ، قال أبو بكر : زدنا يا رسول الله ، قال : وهكذا ، وجمع بين يديه . قال : زدنا يا رسول الله ،**

---

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٣/١٠ : رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له وفي الكبير وأحمد باختصار عنهما وفيه عامر بن زيد البكالي وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات اهـ . وقال الحافظ في الفتح ٤١٨/١١ : وفي صحيح ابن حبان أيضاً والطبراني بسند جيد من حديث عتبة بن عبد – ثم ساق الحديث .

(٦) تعقبه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٤١٨/١١،٤١٩ وبَيَّن علة الإسناد من ناحية الاختلاف في الصحابي هل هو عتبة بن عبد أم أبي سعيد الأنماري وكذلك الراوي عنهما .

(٧) وعند أحمد ١٩٣/٣ : « **فقال : وهكذا وأشار بيده ، قال : يا نبي الله زدنا ، فقال : وهكذا** » .

(٨) عزاه ابن القيم لأبي نعيم في الحلية (قلت وهو فيها ٣٤٤/٢) – وروى أحمد نحوه من حديث أنس ١٩٣/٣ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٠٤/١٠ : رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن اهـ .

قال : وهكذا ، فقال عمر : حسبك يا أبا بكر ، فقال أبو بكر : دعني وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا ! فقال عمر : إن شاء الله أدْخَلَ خَلْقَه الجنة بكفٍ واحدة ، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : صدق عمر »[9].

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً ، قالوا : زدنا يا رسول الله [قال : لكل رجل سبعون ألفاً ، قالوا : زدنا يا رسول الله]**[10]**فقال : وهكذا ، وحثى بيده . قالوا : يا نبي الله أبعد الله من دخل النار بعد هذا »**[11].

(٩) رواه أحمد ١٦٥/٣ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٠٤/١٠ : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ورجالهما رجال الصحيح اهـ . وقال فيه الأرناؤوط في شرح السنة ٤٣٣٥ : إسناده صحيح اهـ . وقال الحافظ في فتح الباري ٤١٩/١١ : وسنده جيد لكن اختلف على قتادة في سنده اختلافاً كثيراً اهـ .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من الأصل - والإكمال من مسند أبي يعلى .

(١١) رواه أبو يعلى في مسنده ٣٧٨٣ ٤١٧/٦ . وقال المحقق هناك : أورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٤٠٩/٤ وعزاه إلى أبي يعلى . وقال البوصيري : ورجاله ثقات اهـ . ويشهد له حديث أبي أمامة عند أحمد ٢٥٠/٥ وصححه ابن حبان ٢٦٤٢ (موارد) ، وحديث أبي هريرة عند أحمد ٣٥٩/٢ وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٠٤/١٠ : ورجاله رجال الصحيح اهـ ، وحديث عتبة بن عبد السلمي عند ابن حبان ٢٦٤٣ (موارد) . [بتصرف واختصار] .

الباب السابع والعشرون

(في ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها)

قال الإمام أحمد ... حدثنا أبو مُدَلَّه مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول : **« قلنا : يا رسول الله إذا رأيناك رَقَّت قلوبنا وكُنَّا من أهل الآخرة ، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا[1] النساء والأولاد ، قال : لو تكونون على كل حالٍ على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم[2] ، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر الله لهم . قال قلنا : يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : لبنة[3] ذهب ولبنة فضة ، وملاطها[4] المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا ييأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى[5] ثيابه ، ولا يفنى شبابه . ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تُحْمَل على الغمام وتُفْتَح لها أبواب السموات ويقول الرب : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين »**[6] .

هكذا جاء أن ترابها الزعفران .

---

(١) شممنا : دنونا واقتربنا من .

(٢) المقصود أنكم إذا دمتم على ذلك أصبحتم كالملائكة فلا حاجة للملائكة أن تستتر منكم .

(٣) لبنة : اللبنة هي القالب المستعمل في البناء وقد يكون من طين أو حجر أو غيره .

(٤) الملاط : الطين أو الطلاء أو ما يسد به ما بين اللبنات .

(٥) تبلى : ترث وتقدم .

(٦) رواه أحمد ٣٠٤/٢، ٣٠٥ ، وبنحوه عند الترمذي في صفة الجنة ٢٥٢٦ ٥٨٠/٤ وصححه الألباني في الصحيحة ٩٦٩ (٦٩٣/٢) وفي صحيح الترمذي ٢٠٥٠ ٣١٠/٢ .

وكذلك رَوَى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وترابها الزعفران ، وطينها المسك** »[٧].

وفي الصحيحين من حديث الزهرى عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **أُدْخِلْتُ الجنة ، فإذا فيها جنابذ[٨] اللؤلؤ وإذا ترابها المسك** »[٩]. وهو قطعة من حديث المعراج .

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري « **أن ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن تربة الجنة فقال : دَرْمَكَةٌ[١٠] بيضاءُ ، مسك خالص** »[١١].

وعن جابر بن عبد الله قال : « **جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا محمد قد غُلِب أصحابُك اليوم . قال : وبأي شيء غُلِبُوا ؟ قال : سألهم اليهود : كم عدد خزنة النار ؟ فقالوا : لا ندري حتى نسأل نبينا . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أيُغْلَبُ قوم سُئِلوا عما لا يعلمون فقالوا : حتى نسأل نبينا ؟! ولكن هم أعداء الله**

---

(٧) رواه أحمد بعضه من حديث أبي المدله كما في الحديث السابق ولكن بلفظ « **ملاطها المسك** » بدلاً من « **طينها المسك** » في ٢/٣٠٤،٣٠٥،٤٤٥ من طريق أبي المدله عن أبي هريرة ، وكذلك رواه أحمد باختصار في ٢/٣٦٢ من طريق العلاء بن زياد عن أبي هريرة ، وعزاه الزبيدي في تخريج الإحياء ٤١٩٩ للبيهقي في البعث ، والبزار من طريق العلاء بن زياد عن أبي هريرة ، قلت : ويشهد له الحديث الذي قبله .

(٨) جنابذ : جمع جُنْبُذَة وهي القبة أو كل شيء مرتفع مستدير .

(٩) متفق عليه : رواه البخاري في الصلاة ٣٤٩ ١/٥٤٧ والأنبياء ٣٣٤٢ ٦/٤٣١ ومسلم في الإيمان ٢٦٣ ١/١٤٨ .

(١٠) الدَرْمَك : الخبز الصافي الذي يميل لونه إلى الصفرة وهو لين ناعم .

(١١) رواه مسلم في الفتن ٩٣ ٤/٢٢٤٣ .

سألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة ، عَلَيَّ بأعداء الله فإني سائلهم عن تربة الجنة وإنها درمكة ، فلما أن جاءوه قالوا : يا أبا القاسم كم عدة خزنة النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بيديه كلتيهما : هكذا وهكذا وقبض واحدة أي تسعة عشر ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ما تربة الجنة ؟ فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: خبزة ياأبا القاسم، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: الخبزة من الدرمكة»[١٢].**

فهذه ثلاث صفات في تربتها[١٣]لا تعارض بينها فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران . قال معتب بن سمي : الجنة ترابها المسك والزعفران . ويحتمل معنيين آخرين :

* أحدهما : أن يكون التراب من زعفران فإذا عجن بالماء صار مسكاً والطين يسمى تراباً ، ويدل على هذا قوله في اللفظ الآخر : « **مِلاطها المسك** » والمِلاط الطين ويدل عليه حديث « **ترابها الزعفران وطينها المسك** »[١٤]فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكاً .

* والمعنى الثاني أن يكون زعفراناً باعتبار اللون ، مسكاً باعتبار الرائحة ، وهذا من أحسن شيء يكون : البهجة والإشراق لون الزعفران ، والرائحة رائحة المسك .

وكذلك تشبيهها بالدَّرْمَك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها .

---

(١٢) رواه أحمد باختصار ٣٦١/٣ ، والترمذي في التفسير ٣٣٢٧ ٤٠٠/٥ ، وصححه الألباني في الصحيحة ١٤٣٨ بلفظه هنا .

(١٣) الأولى : الزعفران، الثانية : المسك، الثالثة : الدرمكة البيضاء ، وكلها من الأحاديث السابقة .

(١٤) هو جزء من حديث أبي هريرة الذي مَرَّ آنفاً .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **« إن الله بنى جنات عدن بيده ، وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وجعل ملاطها المسك الأذفر ، وترابها الزعفران وحصباءها اللؤلؤ ، ثم قال لها : تكلمي ، فقالت : قد أفلح المؤمنون ، فقالت الملائكة : طوبى لك منزل الملوك »**(١٥).

(١٥) سبق تخريجه في الباب السادس عشر ص ٩٣ برقم هامش ٣ .

الباب الثامن والعشرون

(في ذكر نورها وبياضها)

عن الزميل بن السماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة بعد ما كُفَّ بَصَرُه فقال : « **يا ابن عباس ما أرض الجنة ؟ قال : مرمرةٌ بيضاء من فضة كأنها مرآة . قلت : فما نورها ؟ قال : ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير**[1] »[2] وذكر الحديث وسيأتي إن شاء الله تعالى .

وفي حديث لقيط بن عامر الطويل الذي رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذكر الحديث وقال : « **وتحتبس الشمس والقمر فلا يرون منهما واحداً ، قال قلت : يا رسول الله فبم نبصر ؟ قال : مثل بصرك في ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال** »[3] .

---

(١) الزمهرير : شدة البرد .

(٢) قال المنذري في الترغيب والترهيب ٤٦ ٤/٩٦٢،٩٦٣ رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً بإسناد حسن .

(٣) سيأتي حديث لقيط بن عامر بطوله في الباب التاسع والأربعين ويأتي تخريجه هناك ص ٢٢٩ برقم هامش ٣١ .

الباب التاسع والعشرون
(في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها)

قال الله تعالى : ﴿ **لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ** ﴾ [٢٠/٣٩] فأخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناءاً حقيقياً لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء ، بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض حتى كأنها ينظر إليها عياناً ، ﴿ **مَّبْنِيَّةٌ** ﴾ صفة للغرف الأولى والثانية ، أي لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها .

وقال تعالى : ﴿ **أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا** ﴾ [٧٥/٢٥] . والغرفة جنس كالجنة . وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة لله الغرفة والتحية والسلام في مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم[1] فبُدِّلُوا بذلك سلام الله وملائكته عليهم .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ** ﴾ [٣٧/٣٤] .

وقال تعالى : ﴿ **يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ** ﴾ [١٢/٦١] .

وقال تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت : ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّة** ﴾ [١١/٦٦] .

---

(١) في قول الله تعالى : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ..** ﴾ .

وروى الترمذي في جامعه من حديث علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن في الجنة لَغُرَفاً يُرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها ، فقام أعرابي فقال : يا رسول الله لمن هي ؟ قال : لمن طَيَّبَ الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام** »[2].

وقد تقدم حديث أبي سعيد المتفق على صحته : « **إن أهل الجنة لَيَتَرَاءَوْن أهل الغرف كما تَرَاءَوْن الكوكب الغابر من الأفق** »[3].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجَوَّفَةٍ طولها ستون ميلاً ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً** »[4].

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث الصحيح : « **من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة** »[5].

وقوله في حديث أبي موسى : « **يقول الله عز وجل لمن حَمَدَ واسترجع عند موت ولده : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسَمُّوه بيت الحمد** »[6].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة : « **أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : هذه خديجة ، أقرئها السلام من ربها . وأمره أن يبشرها ببيتٍ في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا**

---

(٢) رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٥٢٧ ٤/٥٨١ ، وأحمد بنحوه ١/١٥٦ وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ٢٠٥١ ٢/٣١١ .

(٣) سبق تخريجه في الباب العاشر ص ٦٦برقم هامش ٢

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٤٣ ٦/٣٦٦ بنحوه ، وفي التفسير ٤٨٧٩ ٨/٤٩١ ، ومسلم في الجنة ٢٣ ٤/٢١٨٢ واللفظ له .

(٥) سبق تخريجه في الباب الأول ص ٤٤برقم هامش ٣٢

(٦) سبق تخريجه في الباب الأول ص ٤٤برقم هامش ٣٣

نصب »[٧]. والقصب ههنا قصب اللؤلؤ المجوف .

وفي الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **أُدخِلتُ الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لشاب من قريش ، فظننت أني أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب** »[٨]وهو فيهما من حديث جابر ولفظه : « **فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب** »[٩].

---

(٧) متفق عليه : رواه البخاري في مناقب الأنصار ٣٨٢٠ ١٦٦/٧ عن أبي هريرة وأما عن غيره فبمعناه ، ومسلم في فضائل الصحابة ٧١ ١٨٨٧/٤ من حديث أبي هريرة ، وأما الآخرين فبمعناه أيضاً .

(٨) هذا الحديث من رواية أنس ليس في الصحيحين ، وإنما رواه أحمد ١٠٧/٣، ١٧٩ من رواية حميد عن أنس وصححه الألباني في الصحيحة ١٤٢٣ وقال : على شرط الشيخين اهـ . وأما رواية الصحيحين فهي عن جابر : رواه البخاري في التعبير ٧٠٢٤ ٤٣٣/١٢ بنحوه ، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٠ ١٨٦٢/٤ ولهما رواية قريبة عن أبي هريرة : رواه البخاري في فضائل الصحابة ٣٦٨٠ ٥٠/٧ بنحوه ، ومسلم في فضائل الصحابة ٢١ ١٨٦٣/٤ بنحوه .

(٩) هذا اللفظ ليس في الصحيحين ، وإنما هو عند أحمد ٣٦٠/٥ من حديث بريدة وكذلك عزاه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٧٨٩٤ إلى أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم – وصححه أيضاً في صحيح الترغيب والترهيب ١٩٦ – قلت : وكذلك رواه ابن أبي عاصم في السنة ١٢٦٩ ٥٨٥/٢ وجميعهم عن بريدة لا جابر .

الباب الثلاثون

(في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك)

قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾ [٤٧/٤-٦] .

قال مجاهد : يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون[(١)] عليها أحداً .

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح : (هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم) .

وقال محمد بن كعب : (يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة) .

وهذا قول جمهور المفسرين ، وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة : عَرَّفَها لهم أي بَيَّنَهَا لهم حتى عرفوها من غير استدلال .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أن نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إذا خلص المؤمنون من النار[(٢)]، حُبِسوا على قنطرةٍ بين الجنة والنار يتقاصُّون[(٣)] مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا[(٤)] أُذِن لهم بدخول الجنة ، والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة أَدَلُّ[(٥)] منه بمسكنه كان في الدنيا** »[(٦)].

---

(١) لا يستدلون عليها أحداً : لا يطلبون من أحد أن يدلهم عليها .

(٢) أي بعد مرورهم على الصراط وهو بين ظهراني جهنم .

(٣) يَتَقَاصُّون: يتخلصون من المظالم التي كانت بينهم في الدنيا بالقصاص .

(٤) هُذِّبوا ونُقُّوا : أكملوا القصاص وتخلصوا من المظالم .

(٥) أَدَلُّ : أهدى وأعرف .

(٦) رواه البخاري في المظالم ٢٤٤٠ ٥/١١٥ بلفظ : « **أَدَلُّ** » وفي الرقاق ٦٥٣٥ ١١/٤٠٣ بلفظ « **أهدى** » .

الباب الحادى والثلاثون
(في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها)

قد تقدم قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَواْ رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [٧٣/٣٩] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾ [٨٥/١٩] .

عن علي قال : « يُسَاق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان ، فعمدوا إلى إحداهما كأنما أُمِرُوا بها فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى وقذى[١] وبأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فَجَرَت عليهم نضرة[٢] النعيم فلن تغير أبشارهم[٣] أو تغير بعدها أبداً ولن تشعث أشعارهم كأنما دُهِنوا بالدهان ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ، قال ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم[٤] يقدم من غيبته ، فيقولون : أبشر بما أعد الله لك من الكرامة ، كذا قال ، ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : قد جاء فلان باسمه الذي يدعى به في الدنيا فتقول : أنت رأيته ، فيقول : أنا رأيته وهو ذا بأثري ، فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أُسْكُفَّة[٥] بابها فإذا انتهى إلى

---

(١) قذى : هو ما يقع في العين من التراب ونحوه فيهيجها . والمراد كل ما يؤذي ويؤلم .

(٢) نضرة : حُسْن ونعمة .

(٣) أبشارهم : جمع بَشَرَة وهي جلد الإنسان .

(٤) الحميم : القريب .

(٥) أُسْكُفَّة بابها : عتبة بابها .

منزله نظر إلى أساس بنائه فإذا جَنْدَل[6] اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر ومن كل لون ، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ، فلولا أن الله قدره له لألَمَّ أن يذهب ببصره ، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه وأكوابٍ موضوعةٍ ونمارق[7] مصفوفةٍ وزَرَابيّ[8] مبثوثة ، فنظروا إلى تلك النعمة ثم اتكئوا وقالوا : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ثم ينادي منادٍ : تحيون فلا تموتون أبداً ، وتقيمون فلا تظعنون أبداً ، وتصحون فلا تمرضون أبداً »[9] .

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألفٍ متماسكون آخذٌ بعضهم ببعض ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر** »[10] .

---

(٦) جندل : الصخرة العظيمة .

(٧) نَمَارِق : جمع نُمْرُقَة وهي الوسادة .

(٨) زَرَابِيّ : جمع زِرْبِيّ وهي كل ما يبسط ويتكيء عليه .

(٩) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره – كما ذكر ابن كثير في تفسيره ٧/١١٤ ، وعزاه ابن كثير للبغوي من طريق ابن الجعد (في نهاية البداية والنهاية ٢/١٢٦،١٢٧) وعزاه محقق (صفة الجنة) للطبري ٢٤/٣٥،٣٦ وإسحق بن راهويه وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن مردويه وعبد الرزاق وأبو يعلى ، والبيهقي في البعث ، والمروزي في زوائد الزهد وغيرهم ونقل قول الحافظ ابن حجر في (المطالب العالية) ٤/٤٠٠ (هذا حديث صحيح وحكمه حكم المرفوع إذ لا مجال للرأي في مثل هذا ..) وأقره السيوطي . ثم تعقب المحقق حكم الحافظ ابن حجر (صفة الجنة ٢٨٠،٢٨١ ٢/١٢٨،١٢٩،١٣٠،١٣١) .

(١٠) سبق تخريجه في الباب الخامس والعشرين ص ١١٧ برقم هامش ٤ .

الباب الثاني والثلاثون

(في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال له : اذهب فسلم على أولئك النفر – وهم نفر من الملائكة جلوس – فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، قال فذهب فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه : ورحمة الله ، قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً فلم يزل ينقص الخلْق بعده حتى الآن** »[1] متفق على صحته .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يدخل أهل الجنة الجنة جُرْداً[2] مُرْداً[3] بيضاً جِعَاداً[4] مُكَحَّلِين أبناء ثلاث وثلاثين ، وهم على خلْق آدم : ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع** »[5] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ٣٣٢٦ ٤١٧/٦ وفي الاستئذان ٦٢٢٧ ٥/١١ ومسلم في الجنة ٢٨ ٢١٨٣/٤ ، وكذلك أحمد وغيره .

(٢) جُرْداً : ليس على أبدانهم شعر .

(٣) مُرْداً : جمع أمرد وهو الذي نبت شاربه ولم تنبت لحيته بعد .

(٤) جِعَاداً : جمع جعد . وتحتمل معنيين : الرجل المجتمع الخلْق ، الشديد غير المسترخي ؛ والمعنى الثاني : الذي شعره غير ناعم أو قصير الشعر ، والوجه الجعد : المستدير قليل اللحم .

(٥) رواه أحمد ٢٩٥/٢ وقال العلامة أحمد شاكر في المسند ٧٩٢٠ ٧٤/١٥ : إسناده صحيح . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٩٩/١٠ وقال :(رواه الطبراني في الصغير والأوسط وإسناده حسن) فقَصَّر إذ لم ينسبه إلى المسند اهـ .

وعن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين** »[6].

وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب في السماء إضاءة[7].

وأما الأخلاق فقد قال تعالى : ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾ [١٥/٤٧] فأخبر عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم .

وفي الصحيحين : « **أخلاقهم على خلْق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء** »[8] والرواية على خَلْق بفتح الخاء وسكون اللام والأَخلَاق كما تكون جمعاً للخُلُق بالضم فهي جمع للخَلْق بالفتح ، والمراد تساويهم في الطول والعرض والسن وإن تفاوتوا في الحسن والجمال ولهذا فسره بقوله : « **على صورة أبيهم آدم عليه السلام : ستون ذراعاً في السماء** » .

وأما أخلاقهم وقلوبهم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة : « **أول زمرة تلج الجنة** »[9] الحديث وقد تقدم وفيه : « **لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشية** » .

وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نساءهم بأنهن أتراب أي في سن واحدة ليس فيهن العجائز والشوَابّ وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات لأنه أكمل سن

---

(٦) رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٥٤٥ ٤/٥٨٩ ، وحسنه الألباني في تخريج المشكاة ٥٦٣٩ وفي صحيح الترمذي ٢٠٦٤ ٢/٣١٤ .

(٧) كما سبق في الباب العشرين من حديث أبي هريرة ص ١٠٠ برقم هامش ١٠ .

(٨) سبق في الباب العشرين من حديث أبي هريرة ص ١٠١ برقم هامش ١٠ .

(٩) سبق في الباب العشرين من حديث أبي هريرة ص ١٠٠ برقم هامش ٩ .

القوة مع عظم آلات اللذة وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء كما سيأتي إن شاء الله تعالى . ولا يخفى التناسب الذي بين هذا الطول والعرض[10]، فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخلقة ، يصير طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر ، كلاهما غير مناسب والله أعلم .

(١٠) المقصود بالطول هو الستون ذراعاً،والمقصود بالعرض : السبعة أذرع ، كما في حديث أبي هريرة ص ١٣٥ برقم هامش ٥ .

الباب الثالث والثلاثون

(في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم أعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه)

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ [٢/٢٥٣] .

قال مجاهد وغيره : منهم من كلم الله : موسى ، ورفع بعضهم درجات : هو محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وفي حديث الإسراء المتفق على صحته : « **أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما جاوز موسى قال : رب لم أظن أن ترفع عليّ أحداً ، ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاوز سدرة المنتهى** »[1] .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عَلَيَّ فإنه من صلى عَلَيَّ صلاة واحدة ، صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة** »[2] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري بلفظه في التوحيد ٧٥١٧ ١٣/٤٨٦، ولفظ البخاري « .. حتى جاء سدرة المنتهى.. » ، ومسلم في الإيمان ٢٦٤ ١/١٤٩ ولكن لفظ موسى عليه السلام هناك « **رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي** .. » .

(٢) رواه مسلم في الصلاة ١١ ١/٢٨٨ .

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أن موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة فيقول : رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب . فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة : رضيت رب ، [فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك . فيقول : رضيت رب]**[*]. **قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر** »[3].

[وعن أنس بن مالك يرفعه « **إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم** »[4].

وعن أبي هريرة قال : « **إن أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دنيء ، لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم مع كل خادم طُرْفَة[5] ليست مع صاحبه** »[6]][7].

---

* مابين القوسين ساقط من الأصل والإكمال من صحيح مسلم .

(٣) رواه مسلم في الإيمان ٣١٢ ١٧٦/١ .

(٤) يأتي تخريجه في الباب السادس والخمسين ص ٢٤٨ برقم هامش ٣ .

(٥) طُرْفَة : هدية جديدة حسنة .

(٦) يأتي تخريجه في الباب السادس والخمسين ص ٢٤٨ برقم هامش ٦ .

(٧) ما بين القوسين ليس من أصل الباب ، وإنما ذكره ابن القيم في باب (في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها) وهو الباب السادس والخمسون هنا ، وقد أوردته هنا لمناسبته لهذا الباب أيضاً .

الباب الرابع والثلاثون
(في تحفة[1] أهل الجنة إذا دخلوها)

روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال : « كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فجاء حَبْر[2] من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دَفعةً كاد يُصْرَعُ منها . فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول يا رسول الله ، فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن اسمي محمداً الذي سماني به أهلي . فقال اليهودي : جئت أسألك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أينفعك شيء إن حدثتك ؟ فقال : أسمع بأذني ، فنكت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعودٍ معه فقال : سَلْ . فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : في الظلمة دون الجسر ، قال : فمن أول الناس إجازةً[3] يوم القيامة ؟ قال : فقراء المهاجرين ، قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد النون[4] قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : يُنْحَر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها ، قال : فما شرابهم ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسبيلاً ، قال : صدقت ، قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه

---

(١) التحفة : هي كل ما يقدم من البر واللطف - أو الطريف من الفاكهة والرياحين .
(٢) حبر : عَالِم .
(٣) إجازة : عبوراً ومروراً .
(٤) زيادة كبد الحوت : هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد وهي أطيب وأفضل أجزاء الكبد ، والنون هو الحوت أي السمك وقيل الحوت هو ما عَظُمَ من السمك .

أحد من أهل الأرض إلا نبيّ أو رجلٌ أو رجلان ، قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمعك[٥] بأذني ، قال : جئت أسألك عن الولد ؟ قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعَلَا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله تعالى ، وإن عَلَا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله تعالى . قال اليهودي : لقد صدقت وإنك لنبي ، ثم انصرف . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علمٍ بشيءٍ منه حتى أتاني الله عز وجل به »[٦].

وفي صحيح البخاري عن أنس قال : « سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة وهو في أرض يخترف[٧] فأتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : فما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع[٨] الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال : أخبرني بهن جبريل آنفاً ، قال : جبريل ؟ قال : نعم ، قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ [٢/٩٧] أما أول أشراط الساعة فَنَارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت . قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، يا رسول الله إن اليهود قوم بُهْت[٩] وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن

---

(٥) في مسلم « أسمع »

(٦) رواه مسلم في الحيض ٣٤ ١/٢٥٢ .

(٧) يخترف : يجني التمر من بستان النخل .

(٨) ينزع : يشابه .

(٩) بهت : باطل شديد .

تسألهم يبهتوني[10]. فجاءت اليهود فقال : أي رجل عبد الله فيكم ؟ قالوا : خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا ، قال : أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ فقالوا : أعاذه الله من ذلك ، فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقالوا : شرنا وابن شرنا وانتقصوه ، فقال : هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله »[11].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **تكون الأرض يوم القيامة خبزةً واحدة يتكفؤها[12] الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر[13] لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنُزُل[14] أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال : تكون الأرض خبزةً واحدة ، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه[15] ثم قال : ألا أخبركم بإدامهم[16]؟ قال : بلى ، قال : إدامهم بالام[17] والنون ، قال : وما هذا ؟ قال : ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً** »[18].

---

(١٠) يبهتوني : يقولون عليّ ما ليس فيّ .

(١١) رواه البخاري في التفسير ٤٤٨٠ ١٥/٨ ، وفي أحاديث الأنبياء ٣٣٢٩ ٤١٧/٦ بنحوه .

(١٢) يتكفؤها : يُقَلِّبُها .

(١٣) كان العرب في السفر يحفرون حفرة ويضعون فيها الجمر ثم يضعون عليها العجين ويقلبونها حتى تنضج .

(١٤) نُزُل : المنزل الذي يهيء للضيف أو الطعام والرزق الذي يقدم له ، وهنا بمعنى الطعام.

(١٥) نواجذه : أضراسه .

(١٦) إدام : ما يؤكل به الخبز « الغُمُوس » .

(١٧) بالام : كلمة عبرانية معناها ثور .

(١٨) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق ٦٥٢٠ ٣٧٩/١١ ، ومسلم في صفات المنافقين ٣٠ ٢١٥١/٤ . وعندهما بلفظ « ... **في السفر نزلاً لأهل الجنة** ... » .

الباب الخامس والثلاثون
(في ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم يُنْشَق)

[عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **من قتل نفساً معاهداً لم يَرَحْ[1] رائحة الجنة وإن ريحها]**[2]**ليوجد من مسيرة أربعين عاماً** »[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر[4] بذمة ، الله فلا يراح رائحة الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفاً[5]** »[6].

وعن أبي بكرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام** »[7].

---

(١) يَرَحْ : يجد ريح ، يشم .

(٢) ما بين القوسين ذكره ابن القيم ضمن رواية عند الطبراني وزاد عليها رواية البخاري - والإكمال من صحيح البخاري .

(٣) رواه البخاري في الديات ٦٩١٤ ١٢/٢٧٠ ، وفي الجزية والموادعة ٣١٦٦ ٦/٣١١ بنحوه .

(٤) أَخْفَر : نقض العهد وغَدَرَ .

(٥) سبعين خريفاً : أي سبعين سنة .

(٦) رواه الترمذي في الديات ١٤٠٣ ٤/١٣ ، وقال الحافظ المقدسي : وإسناده عندي على شرط الصحيح ، كما نقله ابن القيم ص ١٥٧ . وصححه الألباني في صحيح الترمذي ١١٣٢ ٢/٥٨ .

(٧) رواه أحمد ٥/٤٦،٥١ عن أبي بكرة ، والبغوي في شرح السنة ٢٥٢٢ ١٠/١٥١،١٥٢ بهذا اللفظ وعزاه محقق (صفة الجنة) لعبد الرزاق والبيهقي =

وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه .

وفي الصحيحين من حديث أنس قال : « **لم يشهد عمي مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بدراً ، قال فشق عليه قال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم غبت عنه فإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع ، قال فهاب أن يقول غيرها ، قال فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم أحد ، قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له : أين ؟ فقال : واهاً لريح الجنة أجده دون أحد . قال فقاتلهم حتى قُتِلَ ، قال فوُجِدَ في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية . فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر : فما عرفت أخي إلا ببَنَانِه**[8]**ونزلت هذه الآية : ﴿ مِنَ الْمُؤمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ الله عَلَيْه ﴾** [٢٣/٣٣] **قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه** »[9].

= والطبراني وأحمد والبغوي والحاكم وقد جمع المحقق جزاه الله خيراً بعض طرقه (صفة الجنة ١٩٣ ٢/٤١،٤٢) ، وصحح إسناده عند عبد الرزاق وأحمد والنسائي وابن حبان ولكن لفظه : « **من قتل نفساً معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها** » . ويشهد له في تحديد الزمن بمائة عام حديث عبد الله بن عمرو بن العاص « **من ادعى إلى غير أبيه لم يجد رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام** » (راجع صفة الجنة ١٩٨ ٢/٤٥،٤٦) وحديث أبي هريرة : « **من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة . وإن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام** » (رواه الطبراني وسكت عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢٧١/١٢ – وانظر مجمع الزوائد ٢٩٤/٦) ورواية عبد الله بن عمرو عند الطبراني : « **من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام** » .

(٨) بَنَانه : أصابعه ، وتطلق أيضاً على أطراف الأصابع . ومفردها : بَنَانَة .

(٩) متفق عليه : رواه البخاري في الجهاد ٢٨٠٥ ٢٦/٦ ، ومسلم في الإمارة ١٤٨ ١٥١٢/٣ .

وريح الجنة نوعان :

* ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا تدركه العباد .

* وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها ، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله ، وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم وأن يكون من الأول والله أعلم .

وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار آثاراً من آثار الجنة وأنموذجاً منها ، من الرائحة الطيبة واللذات المشتهاة والمناظر البهية والفاكهة الحسنة والنعيم والسرور وقرة العين . كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرةً بنار الآخرة قال تعالى في هذه النار : ﴿ **نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَة** ﴾ [٧٣/٥٦] وأخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم[١٠] فلابد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها. والله المستعان .

---

(١٠) إشارة لحديث أبي هريرة : « **قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : اشتكت النار إلى ربها ، فقالت : رب أكل بعضي بعضاً ، فأذن لها بنَفَسَين : نَفَس في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير** » . رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٦٠ ٣٨٠/٦ .

الباب السادس والثلاثون
(في الأذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها)

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **ينادي منادٍ : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تَشِبُوا[(١)] فلا تَهْرَمُوا[(٢)] أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا[(٣)] أبداً ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** [٧/٤٣] »[(٤)].

وفي صحيح مسلم من حديث صهيب أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، نادى منادٍ : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً . فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله ، فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم من النظر إليه** »[(٥)].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون :**

---

(١) تَشِبُوا : تكونوا في شباب دائم .
(٢) لا تَهْرَموا : لا يصيبكم الهَرَم وهو أقصى الكبر .
(٣) لا تبأسوا : لا يصيبكم البأس وهو العذاب والشدة والمصائب .
(٤) رواه مسلم في الجنة ٢٢ ٤/٢١٨٢ .
(٥) رواه مسلم في الإيمان ٢٩٧ ١/١٦٣ بنحوه .

وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك . فيقول : ألا[٦]أعطيكم أفضل من ذلك ؛ قالوا : ربنا وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال : أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً »[٧].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه** »[٨].

وهذا الأذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار . ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل إليهم ملكاً فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون إلى الزيارة كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها وذلك في مقدار يوم الجمعة كما سيأتي مُبَيَّناً في باب زيارتهم الرب عز وجل والله أعلم .

---

(٦) في الأصل (أنا) والتصحيح من البخاري ومسلم – والظاهر أنها خطأ من الناسخ والله أعلم .

(٧) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق ٦٥٤٩ ٤٢٣/١١ ، وفي التوحيد ٧٥١٨ ٤٩٦/١٣ ، ومسلم في الجنة ٩ ٢١٧٦/٤ .

(٨) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق ٦٥٤٤ ٤١٤/١١ بنحوه ، ومسلم في الجنة ٤٢ ٢١٨٩/٤ .

الباب السابع والثلاثون

(في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها)

قال تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [٥٦/٢٧-٣٣] .

وقال تعالى : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ [٥٥/٤٨] وهو جمع فان وهو الغصن .

وقال : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [٥٥/٦٨] .

والمخضود : الذي قد خُضِّدَ شوكُه أي نُزِع وقُطِع فلا شوك فيه ، هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة ، واحتج هؤلاء بحجتين :

* إحداهما : أن الخضد في اللغة القطع وكل رطب قضبته فقد خضدته ، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود ، ومنه الخَضَد على مثال الثمر وهو كل ما قُطِع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب ، والخضاد شجر رخو لا شوك فيه .

* الحجة الثانية : عن عتبة بن عبد السلمي قال : « **كنت جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرةً أكثر شوكاً منها – يعني الطلح – فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن الله جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس[1] الملبود[2] فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لونٌ آخر** »[3].

---

(١) التيس : ذكر الظباء والوعول والماعز .

(٢) الملبود : المكتنز اللحم الذي لزم بعضه بعضاً فتلبد .

(٣) رواه ابن أبي داود في (البعث والنشور ٦٩ ص ٩٧) ورواه أيضاً أبو نعيم في =

الملبود : الذي قد اجتمع شعره بعضه على بعض .

وعن سليم بن عامر قال : « **كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم . أقبل أعرابي يوماً فقال : يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها . قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : وما هي ؟ قال : السدر**[4]**فإن له شوكاً مؤذياً ، قال : أليس الله يقول : ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُود ﴾** [٥٦/٢٨] **خضّد الله شوكه فجعل مكان كل شوكةٍ ثمرة** »[5].

وقالت طائفة : المخضود هو الموقر حملاً ، وأربابه ذهبوا إلى أن الله سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أوقرت بالحمل . والحديثان المذكوران يجمعان القولين .

وكذلك قول من قال : (المخضود لا يعقر[6]اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه) فسره بلازم المعنى .

= (صفة الجنة ٣٤٧ ٣/١٩٣،١٩٤) ؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٤١٤ : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح اهـ . وقد صححه الحويني في تحقيقه للبعث والنشور لابن أبي داود ، كما صححه أيضاً محقق صفة الجنة لأبي نعيم .

(٤) السِّدْر : شجر النبق .

(٥) رواه نعيم بن حماد في زياداته على (الزهد) لابن المبارك ٢٦٣ ص ٧٤ – وقال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٧٧ ٤/٩٧٨،٩٧٩ : رواه ابن أبي الدنيا وإسناده حسن اهـ . وعزاه الزبيدي في تخريج الإحياء (٤٢٠٣) إلى الحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في البعث .

(٦) يَعْقِر : يجرح .

فصل [في معنى قوله تعالى : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضود ﴾]

وأما الطلح فأكثر المفسرين قالوا : إنه شجرة الموز .
قال مجاهد : أعجبهم طلح وَجّ[7] وحُسْنه فقيل لهم : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُود ﴾ [٢٩/٥٦] وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري .

وقالت طائفة أخرى : بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب . ولهذا الشجر نَوْر[8] ورائحة وظل ظليل وقد نُضِّد بالحمل والثمر مكان الشوك . وقال ابن قتيبة : هو الذي نُضِّد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز[9] . وقال مسروق : ورق الجنة نضيد[10] من أسفلها إلى أعلاها وأنهارها تجري من غير أخدود .

وقال الليث : الطلح شجر أم غَيْلان[11] لها[12] شوك أحجن ، من أعظم العِضَاة[13] شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً . قال أبو إسحاق : يجوز أن يعني به شجر أم غيلان لأن له نَوْراً طيب الرائحة جداً ، فوُعِدُوا بما يحبون مثله ، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما

---

(٧) وَجّ : وادٍ بقرب الطائف وكان به شجر كثيف .
(٨) نَوْر : زهر أبيض .
(٩) بارز : ظاهر ، والمقصود أن ساق هذا الشجر قد تغطت تماماً بالورق والثمر .
(١٠) نضيد : بعضه فوق بعض .
(١١) أم غَيْلان : هي شجرة السَّمُر وهي من أطول الأشجار وأكثرها ورقاً وأعظمها خضرة ولها ظل عظيم ومن أفضل الشجر صمغاً ولا تنبت إلا بأرض خصبة .
(١٢) في الأصل [ليس له] وما أثبته هنا من لسان العرب نقلاً عن الليث (لسان العرب ٢٦٨٦/٤) وبه يستقيم السياق .
(١٣) العِضَاه : شجر الشوك وقيل ما عظم منه .

في الدنيا فإنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسامي .

والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده وإلا فالطلح في اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادي والله أعلم .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، فاقرأوا إن شئتم ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُود ﴾** [٥٦/٣٠] »[١٤] .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها** » قال أبو حازم : فحدثنا به النعمان ابن أبي عياش الزرقي فقال : حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المُضَمَّر**[١٥] **السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها** »[١٦] .

وعن ابن عباس قال : « **الظل الممدود شجرة في الجنة على ساقٍ قدر ما يسير الراكب المُجِد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة : أهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها ، قال فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهوٍ كان في الدنيا** »[١٧] .

---

(١٤) متفق عليه : رواه البخاري في التفسير ٤٨٨١ ٨/٤٩٥ واللفظ له ، ومسلم في الجنة ٧ ٤/٢١٧٥ بنحوه .

(١٥) الجواد المُضَمَّر : الفرس الفائق السابق الذي قُلِّل علفه تدريجياً ليشتد جريه .

(١٦) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق ٦٥٥٢،٦٥٥٣ ١١/٤٢٣،٤٢٤ ، ومسلم في الجنة ٨ ٤/٢١٧٦ .

(١٧) قال المنذري في الترغيب والترهيب ٥٤ ٤/٩٦٦ : رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً من طريق زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام وقد صححها ابن خزيمة والحاكم وحسنها الترمذي اهـ . وعزاه ابن كثير في تفسيره (٨/٦) لابن أبي حاتم ثم قال : هذا أثر غريب . وإسناده جيد قوي حسن اهـ . وعزاه الزبيدي في تخريج الإحياء ٤٢٠٢ لابن أبي حاتم وابن مردويه .

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما في الجنة شجرةٌ إلا وساقها من ذهب** »[18] قال : هذا حديث حسن .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يقول الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، اقرأوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُون ﴾**[17/32][19] . **وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، اقرأوا إن شئتم ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُود ﴾** [56/30] . **وموضع سوط**[20] **من الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرأوا إن شئتم ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَاز ﴾** [3/185] »[21] .

وعن أبي سعيد الخدري « **أن رجلاً قال : يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال : طوبي لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ، فقال رجل : يا رسول الله وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**[22] »[23] .

---

(18) رواه الترمذى فى صفة الجنة 2525 4/579 ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير 5647 وفى صحيح الترمذى 2049 2/310 .

(19) هذا الجزء من الحديث متفق عليه : رواه البخارى فى بدء الخلق 3244 6/366 ، ومسلم فى الجنة 2 ، 3 ، 4 4/2174 .

(20) موضع سوط : قدر سوط : أى الموضع الذى يسع السوط من الجنة .

(21) رواه الترمذى فى التفسير 3292 5/373 بتمامه ، وحَسَّن الألباني إسناده فى الصحيحة 1978 .

(22) أكمامها : أغلافها وهى التى تغطى زهورها ، وبراعمها .

(23) رواه أحمد 3/71، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد 10/67 : رواه أحمد وأبويعلى اهـ . وعزاه ابن القيم في (الحادي ص 199) لابن أبي الدنيا وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير 3918 .

وعن ابن عباس قال : « **نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر ، وكَرَبُها[٢٤] ذهب أحمر وسَعَفها[٢٥] كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم[٢٦] وحللهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء[٢٧] ، أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ، ليس فيها عَجَم[٢٨]** »[٢٩] .

وعن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول : « **جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي : فيها فاكهة ؟ قال : نعم ، وفيها شجرة تدعى طوبى ، فذكر شيئاً لا أدري ما هو ، فقال أي شجر أرضنا تشبهه ؟ قال ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك ، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أتيت الشام ؟ قال : لا . قال : تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحدة وينفرش أعلاها . قال : ما عظم أصلها ؟ قال : لو ارتحلت جذعة[٣٠] من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر**

---

(٢٤) كَرَبُها : الكَرَب هو أصول سعف النخل الغلاظ العراض .

(٢٥) سَعَفها : هو جريد النخل وورقة إذا يبس وجَفَّ .

(٢٦) مُقَطَّعَاتهم : جمع مُقَطَّعَة وهي الثوب القصير ، أو برود عليها وشي .

(٢٧) الدلاء : جمع دلو .

(٢٨) عَجَم : نوى .

(٢٩) رواه المروزي في زياداته على الزهد لابن المبارك ١٤٨٨ ص ٥٢٣ عن سعيد بن جبير مقطوعاً ، وقال المحقق – حبيب الرحمن الأعظمي – في الهامش : وفي (ك) عن ابن عباس اهـ . وعزاه ابن كثير في تفسيره (٤٨٢/٧) لابن أبي حاتم عن ابن عباس بسياق أنقص من هذا ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٦٣ ٩٧١/٤ ، ٩٧٢ ثم قال : رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً بإسناد جيد ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم اهـ . وقال الأرناؤوط في تعليقه على شرح السنة للبغوي -٤٣٨٤ ٢٢١/١٥ : إسناده قوي . وكذلك وافق محقق (صفة الجنة) حكم الحاكم والذهبي بأنه على شرط مسلم . (صفة الجنة ٤٠٦ ٢٤٦/٣) .

(٣٠) جذعة : الناقة التي بلغت أربعة أعوام .

ترقوتها هرماً[٣١] . قال : فيها عنب ؟ قال : نعم . قال : فما عظم العنقود ؟ قال : مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا يفتر . قال : فما عظم الحبة ؟ قال : هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً ؟ قال : نعم ، قال : فسلخ إهابه[٣٢] فأعطاه أمك وقال لها : اتخذي لنا منه دلواً ؟ قال : نعم ، قال الأعرابي : فإن تلك الحبة لتشبعني أنا وأهل بيتي ، قال : نعم وعامة عشيرتك »[٣٣] .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : « **سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وذكر سدرة المنتهى فقال : يسير في ظل الفَنَن[٣٤] منها الراكب مائة سنة ، أو قال : يستظل في الفنن منها مائة راكب ، فيها فَرَاش الذهب كأن ثمرها القلال »[٣٥] .**

وعن مجاهد قال : (أرض الجنة من وَرِق[٣٦]، وترابها مسك ، وأصول أشجارها ذهب ووَرِق ، وأفنانها[٣٧] لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، والوَرَق والثمر

---

(٣١) تنكسر تَرْقُوَتها هرماً: المقصود تبلغ أقصى عمرها عند إحاطتها بأصل الشجرة .

(٣٢) إهابه : جلده .

(٣٣) رواه أحمد ١٨٣/٤ ، ١٨٤ ، وابن حبان ٢٦٢٦ ، ٢٦٢٧ (موارد الظمآن) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤١٣/١٠) بعد أن ساق لفظاً مطولاً : رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له ، وفي الكبير وأحمد باختصار عنهما وفيه عامر بن زيد البكالي وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه . وبقية رجاله ثقات . اهـ .
وانظر صفة الجنة لأبي نعيم ٣٤٦ ١٩٢/٣ ، ١٩٣ ونقل المحقق تصحيح القرطبي له في التذكرة .

(٣٤) الفَنَن : الغُصْن .

(٣٥) رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٥٤١ ٥٨٧/٤ وقال : هذا حديث حسن غريب اهـ .
وعزاه ابن القيم لأبي يعلى في مسنده . وقال الأرناؤوط في جامع الأصول ٥٠٢/١٠ وهو حديث حسن . اهـ

(٣٦) وَرِق : فضة .

(٣٧) أفنانها : أغصانها .

تحت ذلك ، فمن أكل قائماً لم يؤذه ، ومن أكل جالساً لم يؤذه ، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ [١٤/٧٦]) .

وعن جرير بن عبد الله قال : « **نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه ، قال فقلت للغلام : انطلق بهذا النِّطْع[٣٨] فأظِلَّه . قال : فانطلق فأظَلَّه ، فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه ، فقال : يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله رفعه الله يوم القيامة . يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة ؟ قلت : لا أدري ، قال : ظلم الناس بينهم ثم أخذ عويداً[٣٩] لا أكاد أراه بين أصبعيه فقال : يا جرير إذا طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده ، قلت : يا عبد الله فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر** »[٤٠] .

* * *

(٣٨) النِّطْع : بفتح النون أو كسرها : بساط من الجلد .

(٣٩) عُوَيْداً : تصغير عود .

(٤٠) قال المنذري في الترغيب والترهيب ٦٠ ٤/٩٧٠ رواه البيهقي بإسناد حسن اهـ .

الباب الثامن والثلاثون

(في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها)

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [٢/٢٥] ، وقولهم : ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي شبيه ونظيره لا عينه .

وهل المراد : هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار ، أو هذا نظير الذي رزقناه قبل في الجنة ؟

قيل فيه قولان :

* عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالوا : ﴿ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أنهم أُتوا بالثمرة في الجنة ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا الذي رُزِقْنا من قبل في الدنيا .

* وقال آخرون : هذا الذي رُزِقْنا من قبل من ثمار الجنة ، من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم واحتج أصحاب هذا القول بحجج :

○ إحداها : أن المشابهة التي بين ثمار الجنة بعضها لبعض أعظم من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا ، ولشدة المشابهة قالوا : هذا هو .

○ الحجة الثانية : أن ثمار الجنة كلما نُزِع منها شيء عاد مكانه آخر مثله، عن أبي عبيدة وذكر ثمر الجنة وقال :(كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى)[1].

---

(١) رواه الطبري ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٧ ١/٣٨٤ ، ٣٨٦ (طبعة دار المعارف بتحقيق أحمد شاكر) وعزاه محقق (صفة الجنة لأبي نعيم) إلى ابن أبي شيبة وابن قتيبة في (غريب الحديث) والزهد لابن المبارك والطبري ، وصحح إسناده عند =

○ الحجة الثالثة : قوله : ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم[2] هذا الذي رزقنا من قبل .

○ الحجة الرابعة : أن من المعلوم أنه ليس كل ما في الجنة من الثمار قد رزقوه في الدنيا ، وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها .

وأما قوله عز وجل : ﴿ وأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ قال الحسن : خيار[3] كله لا رذل[4] ، ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه وأن ذلك ليس فيه رذل ، وعلى هذا فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل .

وقالت طائفة أخرى منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : متشابهاً في اللون والمرأى وليس يشبه الطعم . قال مجاهد : متشابهاً لونه مختلفاً طعمه .

وقالت طائفة وناس : معنى الآية أن يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب . قال عبد الرحمن بن زيد : يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح والرمان بالرمان، قالوا في الجنة : هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً يعرفونه وليس هو مثله في الطعم .

وقال : ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَاب ﴾ [٣٨/٥٠] .

وقال تعالى : ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِين ﴾ [٤٤/٥٥] وهذا يدل على

= أبي نعيم ٣١٥ ١٦٧/٣ . ولفظه (أنهار الجنة تجري في غير أخدود ، وثمرها كالقلال ، كلما أُخِذَتْ ثمرة عادت مكانها أخرى ، والعنقود اثنا عشر ذراعاً) ولكنه عن أبي عبيدة عن مسروق وهو تابعي جليل .

(٢) أي أن الله سبحانه وتعالى ذكر مجيء الثمار إليهم في الجنة متشابهة وأنه هو سبب قولهم هذا .

(٣) خيار : منتقى وطيب .

(٤) رذل : رديء .

أمنهم من انقطاعها ومضرتها .

وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَة ﴾ [٤٣/ ٧٢- ٧٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَة ﴾ [٥٦/٣٢-٣٣] أي لا تكون في وقت دون وقت ولا تُمْنَع ممن أرادها .

وقال : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَة ﴾ [٦٩/٢١-٢٣] والقُطُوف : جمع قِطْف وهو ما يُقْطَف ، والقَطْف بالفتح : الفعل . أي ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء ، قال البراء ابن عازب : يتناول الثمرة وهو نائم[٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ [٧٦/١٤] قال ابن عباس : إذا هَمَّ أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد . وقال غيره : قريبٌ إليهم مذللة كيف شاءوا ،فهم يتناولونها قياماً وقعوداً ومضطجعين . فيكون كقوله : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَة ﴾ [٦٩/٢٣] ومعنى تذليل القطف تسهيل تناوله .

وقال تعالى : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَان ﴾ [٥٥/٥٢] وفي الجنتين الأخريين ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان ﴾ [٥٥/٦٨] وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما ، كما نص على حدائق النخل والأعناب في سورة النبأ ، إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِم ﴾ [٤٧/١٥] .

---

(٥) سيأتي تخريجه في هذا الباب ص ١٥٩ برقم هامش ٩ .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة وعَلَّمَه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة ، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تَغَيَّر وتلك لا تَغَيَّر** »[6].

وقد تقدم أن سدرة المنتهى نَبْقُها مثل القِلَال .

وفي صحيح مسلم من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **عُرِضَت علي الجنة حتى لو تناولت منها قطفاً أخذته** » وفي لفظ : « **فتناولت منها قطفاً فقصرت عنه يدي** »[7].

وعن ابن عباس قال : « **ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء ، أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيه عَجَم** »[8].

وعن البراء بن عازب قال : « **إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين على أي حال شاءوا** »[9] .

وفي حديث لقيط بن صبرة الذي رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه وغيره « **قلت : يا رسول الله على ما يطلع أهل الجنة ؟ قال : على أنهارٍ**

---

(٦) رواه الطبراني في تفسيره ٥٣٩ ١/٣٩٣ بمثله موقوفاً . وقال العلامة أحمد شاكر عن إسناد الطبري : هذا إسناد صحيح وهو إن كان موقوفاً لفظاً فإنه مرفوع حكماً لأنه إخبار عن غيب لا يعلم بالرأى ولا بالقياس . وذكره ابن القيم في حادي الأرواح من رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل مرفوعاً صراحةً . وكذلك ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٧/٨ عن أبي موسى رفعه وقال : رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات اهـ [بتصرف واختصار يسير] .

(٧) رواه مسلم فى الكسوف ٩ ٦٢٢/٢ . والحديث فيه اللفظان .

(٨) سبق تخريجه في الباب السابع والثلاثين ص١٥٣ برقم هامش ٢٩ .

(٩) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٦١ ٩٧١/٤ ثم قال : رواه البيهقي وغيره موقوفاً بإسناد حسن اهـ . وحَسَّن محقق (صفة الجنة لأبي نعيم) إسناده عند هَنَّاد فى الزهد (صفة الجنة ٣٥١ ١٩٧/٣)

من عسلٍ مُصَفًّى ، وأنهارٍ من كأسٍ ما بها من صداع ولا ندامة ، وأنهارٍ من لبنٍ لم يتغير طعمه ، وماءٍ غير آسن وبفاكهةٍ لعمر إلهك مما يعلمون وخير من مثله معه »[١٠].

وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة .

* * *

(١٠) سيأتي حديث لقيط بطوله في الباب التاسع والأربعين ويأتي تخريجه هناك ص٢٢٩ برقم ٣١ .

الباب التاسع والثلاثون
(في زرع الجنة)

قال تعالى : ﴿ **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُن** ﴾ [٤٣/٧١] .

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يحدث يوماً وعنده رجل من أهل البادية « **أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع فقال له : أو لست فيما اشتهيت ؟ فقال : بلى ولكني أحب أن أزرع ، فأسرع وبَذَرَ فبادر الطرف نباتُه**[١] **واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال . فيقول الله عز وجل : دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء ، فقال الأعرابي : يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرعٍ فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم** »[٢] رواه البخاري في كتاب التوحيد في باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة ، وخرجه في غيره أيضاً .

وهذا يدل على أن في الجنة زرعاً وذلك البَذْر[٣] منه وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع فإن قيل : فكيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع فأخبره أنه في غُنْيَة[٤] عنه ؟ قيل : لعله استأذنه في زرع يباشره ويزرعه بيده وقد كان في غنية عنه ، وقد كُفِيَ مئونته ، ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث والله أعلم .

---

(١) فبادر الطرف نباته ... : أي تم نبته واستواؤه وحصاده في لمح البصر .

(٢) رواه البخاري في الحرث والمزارعة ٢٣٤٨ ٥/٣٣ وفي التوحيد ٧٥١٨ ١٣/٤٩٦ .

(٣) البَذْر : حبوب الزراعة (التقاوي) .

(٤) غُنْيَة : استغناء .

الباب الأربعون

(في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليه)

وقد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله تعالى : ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَار ﴾ [٢/٢٥] .

وفي موضع ﴿ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهَار ﴾ [٩/١٠٠] .

وفي موضع ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَار ﴾ [١٨/٣١] .

وهذا يدل على أمور :

* أحدها وجود الأنهار فيها حقيقة .

* الثاني : أنها جارية لا واقفة .

* الثالث : أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في أنهار الدنيا ، فإن أنهار الجنة وإن جرت في غير أخدود[١] فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها . وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تحت الناس في الدنيا فقال : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِم ﴾ [٦/٦] فهذا على ما هو المعهود المتعارف وكذلك ما حكاه من قول فرعون : ﴿ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ [٤٣/٥١] .

وقال تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَان﴾[٥٥/٦٦] عن سعيد قال: نضاختان[٢]

---

(١) أخدود : حفرة مستطيلة فى الأرض . والمقصود هنا مجرى النهر .

(٢) نضاختان : فوارتان .

بالماء والفواكه ، وعن أنس قال : نضاختان بالمسك والعنبر ينضخان على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا ، وعن البراء قال : اللتان تجريان أفضل من النضاختين .

وقال تعالى : ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِم** ﴾ [١٥/٤٧] فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا :

فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه .

وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصاً .

وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها .

وآفة العسل عدم تصفيته .

وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها ويجريها في غير أخدود ، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها ، كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغَوْل[٣] واللغو والإنزاف[٤] وعدم اللذة .

فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا : تغتال العقل ، ويكثر اللغو على شربها ، بل لا يطيب لشُرَّابها ذلك إلا باللغو ، وتنزف في نفسها وتنزف المال ، وتصدع الرأس وهي كريهة المذاق ، وهي رجس من عمل الشيطان توقع العداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم وتذهب

---

(٣) الغَوْل : الصُّدَاع والسُكْر ، وفسره البخاري بأنه وجع البطن .

(٤) الإنْزَاف : ذهاب العقل أو السُكْر

الغيرة وتورث الخزي والندامة والفضيحة ، وتُلْحِق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين ، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات ، وتسهل قتل النفس وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو إهلاكه ، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياماً له ولم يلزمه مؤنته ، وتهتك الأستار وتظهر الأسرار ، وتدل على العورات ، وتهون ارتكاب القبائح والمآثم وتخرج من القلب تعظيم المحارم ، ومدمنها كعابد وثن[٥] ، وكم أهاجت من حرب وأفقرت من غنى ، وأذلت من عزيز ، ووضعت من شريف ، وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة ، وفسخت مودة ، ونسجت عداوة ، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلُبِه ، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عَبْرة ، وكم أغلقت في وجه شاربها باباً من الخير وفتحت له باباً من الشر ، وكم أوقعت في بليةٍ وعجلت من منية ، وكم أورثت من خزية وجرت على شاربها من محنة وجرت عليه من سفلة . فهي جماع الإثم ومفتاح الشر وسَلَّابة النعم وجالبة النقم . اهـ .

ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبدٍ كما ثبت عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة** »[٦] لكفى .

---

(٥) إشارة لحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **مدمن الخمر كعابد وثن** » رواه ابن ماجة في الأشربة ٣٣٧٥ ٢/١١٢٠ من حديث أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥٨٦١ ، وحَسَّنه في صحيح ابن ماجة ٢٧٢٠ ٢/٢٤١ - وروى أحمد عن ابن عباس ١/٢٧٢ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن** » وقال عنه الألباني في الصحيحة ٦٧٧ : فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح والله أعلم اهـ .

(٦) رواه ابن ماجة ٣٣٧٤ ٢/١١٢٠ وصححه الألباني في الصحيحة ٣٨٤ وفي صحيح ابن ماجة ٢٧١٩ ٢/٢٤١ والحديث عند مسلم ٢٠٠٣ ٣/١٥٨٨ ولكن بزيادة « **إلا أن يتوب** » .

وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرناه وكلها منتفية عن خمر الجنة .

فإن قيل : فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجاري لا يَأْسَن[7] فما فائدة قوله : ﴿ **غَيْرِ آسِنٍ** ﴾ .

قيل الماء الجاري وإن كان لا يأسن فإنه إذا أخذ منه شيءٌ وطال مكثه أسن ، وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال .

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس فهذا لشربهم وطهورهم ، وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا للذتهم وسرورهم ، وهذا لشفائهم ومنفعتهم . والله أعلم .

فصل [أنهار الجنة ومنبعها وعجائبها]

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة** »[8] .

وروى الترمذي نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ، ولفظ حديث عبادة : « **الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام ، والفردوس أعلاها درجة ، ومنها الأنهار الأربعة والعرش فوقها ، فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى** »[9] .

---

(٧) يأسن : يتغير .

(٨) سبق تخريجه في الباب العاشر ص ٦٨ برقم هامش ٧ .

(٩) رواه الترمذي من حديث عبادة في صفة الجنة ٢٥٣١ ٤/٥٨٣ ولفظه :« **في الجنة مائة درجة** .... »وصححه الألباني في الصحيحة ٩٢٢ وفي صحيح الترمذي ٢٠٥٦ ٢/٣١٢ .

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: « **رُفِعَتْ إلَيَّ سِدْرَةُ المنتهى في السماء السابعة ، نبقها مثل قِلال هجر**[10]**، وورقها مثل آذان الفيلة ، يخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : يا جبريل . ما هذا ؟ قال : أما النهران الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات**[11] »[12].

وفي صحيحه أيضاً من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **بينا أنا أسير في الجنة ، إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، قال فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أَذْفَر**[13] »[14].

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل** »[15].

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

---

(١٠) قِلال هَجَر : قِلال جمع قُلَّة وهى الجرة العظيمة ، وهَجَر هنا هى قرية قريبة من المدينة بها صناعة القِلال ، وهى غير هَجَر البحرين .

(١١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢٥٥/٧ (قال النووي : فى هذا الحديث أن أصل النيل والفرات من الجنة ، وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى ثم يسيران حيث شاء الله، ثم ينزلان إلى الأرض ثم يسيران فيها، ثم يخرجان منها، وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد) ثم قال الحافظ أيضاً (والحاصل أن أصلها [يقصد سدرة المنتهى] في الجنة وهما يخرجان أولاً من أصلها ثم يسيران إلى أن يستقرا في الأرض ثم ينبعان . واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة) .

(١٢) رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٠٧ ٣٤٨/٦ ، ٣٤٩ ، وفي مناقب الأنصار ٣٨٨٧ ٢٤١/٧ ،٢٤٢ .

(١٣) أَذْفَر : طيب وجيد للغاية .

(١٤) رواه البخاري في الرقاق ٦٥٨١ ٤٧٢/١١ بنحوه .

(١٥) رواه مسلم في الجنة ٥٣ ٣٠٠/١ بنحوه .

« **دخلت الجنة فإذا بنهرٍ يجري ، حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت يدي إلى ما يجري فيه من الماء فإذا أنا بمسك أَذْفَر ، فقلت : لمن هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل** »(١٦) .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج** »(١٧) .

وفي جامع الترمذي من حديث حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار بعد** »(١٨) قال هذا حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر في الآخرة فليتركه في الدنيا ، ومن سره أن يكسيه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا ، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ، ولوكان أدنى أهل الجنة حليةً عُدِلَتْ بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً** »(١٩) .

---

(١٦) رواه البخاري في الرقاق ٦٥٨١ ٤٧٢/١١ بنحوه من طريق قتادة عن أنس ، ورواه أحمد ١٠٣/٣ ، ١١٥ من طريق حميد عن أنس بلفظه هنا .

(١٧) رواه الترمذي في تفسير القرآن ٣٣٦١ ٤١٩/٥ ، وابن ماجة في الزهد ٤٣٣٤ ١٤٥٠/٢ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٣٤٩٨ ٤٣٦/٢ .

(١٨) رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٥٧١ ٦٠٣/٤ ، وأحمد ٥/٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢١٢٢ وفي صحيح الترمذي ٢٠٧٨ ٣١٩/٢ .

(١٩) عزاه ابن القيم للحاكم ، وكذلك عزاه ابن كثير للبيهقي والحاكم (نهاية البداية =

وعن عبد الله قال : « **إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك** »[٢٠] وهذا موقوف صحيح .

وعن مسروق في قوله تعالى : ﴿ **وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ** ﴾ [٥٦/٣١] قال : أنهار تجري في غير أخدود[٢١] .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **سَيْحَانُ[٢٢] وجَيْحَانُ[٢٣] والفرات والنيل كلٌّ من أنهار الجنة** »[٢٤] .

= والنهاية ٢/٢٩٠-٢٩٩) وعزاه بهذا اللفظ أيضاً الزبيدى فى تخرج الإحياء ١٠/٤٢ إلى البيهقي في البعث والنشور وابن عساكر في التاريخ وبنحوه عند الحاكم . وقد قَسَّمَ الحافظ العراقي الحديث إلى ثلاثة أجزاء : « **من سره .... الدنيا** » وقال عنه : رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن والنسائي بإسناد صحيح . « **أنهار الجنة ..... المسك** » وقال عنه : رواه العقيلي في الضعفاء من حديث أبي هريرة ، وقال الزبيدي في هذا الجزء ، رواه ابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني والحاكم وابن مردوية والبيهقي في البعث من حديث أبي هريرة ، وروواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن حبان في التفسير والبيهقي في البعث وصححه عن ابن مسعود اهـ . قلت : قال البيهقي في (البعث والنشور) ٢٦٧ : هذا موقوف صحيح . وكذلك قال ابن القيم ، وكذلك قال ابن كثير فى نهاية البداية والنهاية ٢/٢٩١ : وهذا بالموقوف أصح اهـ . والجزء الثالث من الحديث « **لو كان أدنى أهل الجنة حلية .... جميعاً** » فقال عنه الحافظ العراقي : رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد حسن . اهـ وقد تعقب الزبيدي الحافظ العراقي في تجزئة الحديث . [بتصرف] .

فائدة : قال محقق(صفة الجنة لأبي نعيم)عن إسناد العقيلي في حدث أبي هريرة : « **أنهار الجنة تفجر من تلال أو من تحت جبال مسك** » : وهذا إسناد حسن اهـ . وكذلك جَوَّد إسناد أبي نعيم . ٣١٣ ٢/١٦٥ وهما مرفوعان لا موقوفان .

(٢٠) سبق تخريجه في الحديث السابق .

(٢١) سبق تخريجه في الباب الثامن والثلاثون ص ١٥٦ برقم هامش ١ .

(٢٢) سَيْحَان : نهر بأضنة وهى في تركيا حالياً .

(٢٣) جَيْحَان : نهر بالمصيصة وهى في تركيا حالياً .

(٢٤) رواه مسلم في الجنة ٢٦ ٤/٢١٨٣ .

وعن ابن عباس قال : « **إن في الجنة نهراً يقال له البَيْذَخ عليه قبابٌ من ياقوتٍ تحته جَوَارٍ ، يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى البَيْذَخ فيتصفحون تلك الجواري ، فإذا أعجب رجلاً منهم جارية مس معصمها فتبعه** »[٢٥] .

فصل [عيون الجنة وطيب نكهتها ومذاقها]

وأما العيون فقد قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون** ﴾ [١٥/٤٥].

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾ [٧٦/٥ - ٦] .

وقد اختلف في قوله : ﴿ **يَشْرَبُ بِهَا** ﴾ .

* فقال الكوفيون الباء بمعنى مِن ، أي يشرب مِنها .

* وقال آخرون : بل معنى يشرب بها أي يروي بها فلما ضَمَّنَه[٢٦] معناه عداه تعديته وهذا أصح وألطف وأبلغ .

* وقالت طائفة : الباء للظرفية والعين اسم للمكان كما تقول كنا بمكان كذا وكذا . ونظير هذا التضمين قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ** ﴾ [٢٢/٢٥] ضُمِّنَ معنى يَهِمَّ فَعُدِّيَ تعديته .

وقال تعالى : ﴿ **وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ، عَيْناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً** ﴾ [٧٦/١٧] . فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً أن شراب الأبرار يمزج منها لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم ، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ**

---

(٢٥) عزاه الزبيدي في تخريج الإحياء ٤٢١٦ لابن أبي الدنيا في « صفة الجنة » . وكذلك رواه أبو نعيم في صفة الجنة ٣٢٤ ٢/١٧٣ وقال المحقق . إسناده موقوف جيد . اهـ والبيدخ في اللغة تعني العظيم أو البادن السمين .

(٢٦) ضَمَّنَه : جعله متضمناً . والمقصود أن الفعل ﴿ يشرب ﴾ لما اشتمل على معنى الرَّوَى تعدى بالباء كما يتعدى فعل روى بالباء فيقال روى باللبن أو الماء .

نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ، وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُون ﴾ [٨٣/٢٢-٢٨] فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين بالكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها ، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة ، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ، ما يُحْدِثُ لهم باجتماع الشرابين ومجيىء أحدهما على إثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر . وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها فإن شرابهم مزج أولا بالكافور وفيه من البرد ما يجيىء الزنجبيل بعده فيعدله .

والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنهما نوعان لذيذان من الشراب :

* أحدهما : مُزِجَ بالكافور .
* والثانى : مُزِجَ بزنجبيل .

وأيضاً فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والإيثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعفها وهو ما أوجبوه على أنفسهم بالنذر ، على الوفاء بأعلاها وهو ما أوجبه الله عليهم ، ولهذا قال : ﴿ **وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً** ﴾ [٧٦/١٢] فإن في الصبر من الخشونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة . وجمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذا حال بواطنهم كما جَمَّلُوا فى الدنيا ظواهرهم بشرائع الإسلام وبواطنهم بحقائق الإيمان.

ونظيره قوله في آخر السورة: ﴿ **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ** ﴾ [٧٦/٢١] فهذه زينة الظاهر ، ثم قال : ﴿ **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً** ﴾ [٧٦/٢١] فهذه زينة الباطن المطهر لهم من كل أذى ونقص .

ونظيره قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام : ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ** ﴾[27] [٢٠/١١٨ - ١١٩] فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ولا ذل الظاهر بالعرى وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ولا حر الظاهر بالضّحى .

ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباساً يوارى سوآتهم ويزين ظواهرهم ، ولباساً آخر يزين بواطنهم وقلوبهم ، وهو لباس التقوى وأخبر أنه خير اللباسين[28] .

وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة .

وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن وهو التقوى .

وقريب منه قول امرأة العزيز عن يوسف ﴿ **فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ** ﴾ [١٢/٣٢] فأرتهن حسنه وجماله ثم قالت : ﴿ **وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ** ﴾ [١٢/٣٢] فأخبرتهن بجمال باطنه وزينته بالعفة وهذا كثير في القرآن لمتأمله .

* * *

(٢٧) لا تضحى : لا يصيبك الضّحى وهو حر الشمس .

(٢٨) إشارة لقوله تعالى : ﴿ **يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءٰتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير** ﴾ .

الباب الحادى والأربعون

(في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه)

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ، وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ، كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون ﴾ [٤١/٧٧ - ٤٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُواْ كِتَابِيَهْ ، إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ، كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَة ﴾ [١٩/٦٩-٢٤].

وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون ، لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُون ﴾ [٧٢/٤٣ - ٧٣] .

وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي من تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [٣٥/١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ، يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيم ﴾ [٢٢/٥٢ - ٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُون ﴾ [٢٥/٨٣ - ٢٦] .

وفي صحيح مسلم من حديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ، طعامهم ذلك جشاء[1] كريح المسك ، يُلْهَمون التسبيح والتكبير كما تُلْهَمون النَفَس** »[2] .

---

(١) جشاء : تنفس المعدة بإخراج الهواء منها .

(٢) رواه مسلم فى الجنة ٢٠ ٢١٨١/٤ من رواية أبى الزبير عن جابر .

ورواه أيضاً عن جابر وفيه « **قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد** »[٣] .

وعن زيد بن أرقم قال : « **جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليُعْطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة ، قال : فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى ، قال : تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه** »[٤] .

وقد تقدم حديث أنس في قصة عبد الله بن سلام في أول طعام يأكله أهل الجنة وشرابهم على إثره[٥] ، وحديث أبي سعيد الخدري « **تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده نُزُلاً لأهل الجنة** »[٦] .

وعن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن في الجنة طيراً أمثال البَخَاتِيّ**[٧] **، فقال أبو بكر : إنها لناعمة**[٨] **يا رسول الله . قال : أنعم منها من يأكلها ، وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر** »[٩] .

---

(٣) رواه مسلم فى الجنة ١٨ ٤/٢١٨١ من رواية أبي سفيان عن جابر .

(٤) رواه أحمد ٤/٣٦٧ بنحوه . وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٤٢١٠ : رواه النسائي في الكبرى بإسناد صحيح اهـ . وكذلك حكم عليه ابن القيم فقال : بإسناد صحيح على شرط الصحيح .

(٥) سبق في الباب الرابع والثلاثين ص ١٤٢ برقم هامش ١١ .

(٦) سبق في الباب الرابع والثلاثين ص ١٤٢ برقم هامش ١٨ .

(٧) البخاتي : نوع من الإبل طوال الأعناق .

(٨) ناعمة : أى تتنعم فى الجنة .

(٩) عزاه ابن القيم للحاكم ولم أجده ، وكذلك عزاه الزبيدي في تخريج الإحياء ٤٢١٢ للبيهقي في البعث والنشور . وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٤٢١٢ : =

وعن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى : ﴿ **يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ** ﴾ [٤٣/٧١] . قال : (يطاف عليهم بسبعين صحفة[١٠] من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس في الأخرى) .

وعن عبد الله بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول في الكوثر : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **هو نهر أعطانيه ربي أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، فيه طيور أعناقها كأعناق الجُزُر**[١١]**، فقال عمر بن الخطاب : إنها يا رسول الله لناعمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : آكلها أنعم منها** »[١٢] .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ** ﴾ [٥٦/١٨] يقول : الخمر لا فيها غول ، يقول : ليس فيها صداع ، وفي قوله تعالى : ﴿ **وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ** ﴾ [٣٧/٤٧] يقول : لا تذهب عقولهم ، وقوله تعالى : ﴿ **وَكَأْساً دِهَاقاً** ﴾ [٧٨/٣٤] يقول : ممتلئة . وقوله : ﴿ **رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ** ﴾ [٨٣/٢٥] يقول الخمر خُتِمَ بِالمِسْكِ .

وعن ابن مسعود : ﴿ **خِتَامُهُ مِسْكٌ** ﴾ [٨٣/٢٦] قال : خلطه وليس بخاتم ثم يختم . قلت : يريد والله أعلم أن آخره مسكٌ يخالطه فهو من الخاتمة وليس من الخاتم .

= غريب من حديث حذيفة – ثم قال – ولأحمد من حديث أنس بإسناد صحيح بنحوه اهـ [بتصرف] ، قلت : حديث أنس رواه أحمد ٣/٢٢١ وقال المنذري فى الترغيب والترهيب ٧٢ ٤/٩٧٦ : رواه أحمد بإسناد جيد . اهـ .

(١٠) صَحْفَة : قصعة كبيرة أى طبق عظيم وهو يشبع الخمسة رجال .

(١١) الجُزُر : جمع جَزُور وهو البعير أو الناقة المهيأة للذبح .

(١٢) رواه الترمذى فى صفة الجنة ٢٥٤٢ ٤/٥٨٧ بنحوه ، ورواه أحمد ٣/٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ بنحوه أيضاً عن أنس ، ولكن السائل عُمَر . وحسنه الألبانى فى تخريج المشكاة ٥٦٤١ وقال فى صحيح الترمذى ٢٠٦٣ ٢/٣١٤ : حسن صحيح .

وقال زيد بن معاوية سألت علقمة عن قوله تعالى : ﴿ **خِتَامُهُ مِسْكٌ** ﴾ فقرأتها ﴿ **خاتَمُهُ مِسْكٌ** ﴾ فقال لي : ليست ﴿ **خاتِمه** ﴾ ولكن اقرأه ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ** ﴾ قال علقمة : ﴿ **خِتَامُه** ﴾ خلطه ، ألم تر أن المرأة من نسائكم تقول للطِّيب أن خلطه من مسك لكذا وكذا .

وعن مسروق : الرَّحِيق: الخمر ، المختوم : يجدون عاقبتها طعم المسك .

وعن عبد الله في قوله تعالى : ﴿ **ومِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ** ﴾ [٨٣/٢٧] قال : تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً ، وكذلك قال ابن عباس : يشرب منها المقربون صرفاً وتمزج لمن دونهم .

وعن أبي الدرداء في قوله: ﴿ **خِتَامُهُ مِسْكٌ** ﴾ قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم ، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها .

وعن عطاء قال : التسنيم اسم العين التي يمزج بها الخمر .

وعن ابن عباس في قوله : ﴿ **وَكَأْساً دِهَاقاً** ﴾ قال : هي المتتابعة الممتلئة ، قال : وربما سمعت العباس يقول : اسقنا وادهق لنا .

وقد تقدم الكلام على قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً** ﴾
[٧٦/٥ - ٦]

وعلى قوله : ﴿ **وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً عَيناً فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلاً** ﴾ [٧٦/١٧ - ١٨] .

والسلسبيل كلمة مفردة وهي اسم للعين نفسها باعتبار صفتها ولقد شفي قتادة ومجاهد في اشتقاق اللفظة فقال قتادة : سلسة فهم يصرفونها حيث شاءوا . وهذا من الاشتقاق الأكبر ، قال مجاهد : سلسة السيل[١٣] حديدة

(١٣) السَّلَسْ : السهولة واللين والانقياد ، والسيل بمعنى الجريان .

الجرية[١٤] .

فإن قيل : فأين يُشوى اللحم وليس في الجنة نار ؟
الصواب أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه ، كما قدر هناك أسباباً لإنضاج الثمر والطعام[١٥] .

على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئاً . وقد صح عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **مجامرهم الألوة** »[١٦] والمجامر : جمع مجمر وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه ، والألوة : العود المطرى فأخبر أنهم يتجمرون به أي يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم رائحته .

وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالاً والظلال لابد أن تفيء مما يقابلها فقال : ﴿ **هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُون** ﴾ [٥٦/٣٦] وقال : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُون** ﴾ [٤١/٧٧] وقال : ﴿ **وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلاً** ﴾ [٧٥/٤] .

فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعي أسبابا تتم بها والله سبحانه خالق السبب والمسبب وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو ، وكذلك جعل لهم سبحانه أسباباً تصرف الطعام من الجشاء والعرق الذي يفيض من جلودهم ، فهذا سبب إخراجه وذاك سبب إنضاجه ، وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئه لخروجه رشحاً وجشاءً ، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة

(١٤) حَدِيدَة الجرية : قوية التدفق .
(١٥) يقصد ابن القيم رحمه الله أنه كما قَدَّر الله عز وجل إنضاج الثمر في الدنيا بالدفء والشمس ، والطعام بالنار فإنه سبحانه يُقَدِّر في الجنة أسباباً أخرى . فقدرة الله غير محدودة ولا يصح أن نقيس أمور الآخرة على معرفتنا الضئيلة في الدنيا .
(١٦) جزء من حديث سبق تخريجه في الباب العشرين ص١٠١برقم هامش ١٠ .

ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالها . فرَبُّ الدنيا والآخرة واحد ، وهو الخالق للأسباب والحكم ما يخلقه في الدنيا والآخرة ، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته ولكنها تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر وذلك محض الجهل والظلم ، وإلا فليس قدرته سبحانه وتعالى مقصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشئها منها كما لا تقصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته وليس هذا بأهون عليه من ذلك .

ولعل النشأة الأولي التي أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب .

ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها .

ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث[١٧] ودم ، ومن قيء ذباب[١٨] أعجب من إجرائها أنهاراً في الجنة بأسباب أُخر .

ولعل إخراج جوهري الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر .

ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء ، أعجب من إخراجه من أكمام تنشق عنه شجر

---

(١٧) فَرْث : ما فى الكرش – أى معدة الحيوان – وقال ابن قتيبة رحمه الله : لأن اللبن كان طعاماً فخلص من ذلك الطعام دم ، وبقي منه فرث في الكرش ، وخلص من الدم لبن (تفسير غريب القرآن ص ٢٤٥) .

(١٨) ذباب : نحل ، ولفظ الذباب يطلق على النحل فى لغة العرب أحياناً .

هناك قد أُودِع فيها وأُنشِيء منها .

ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود .

وبالجملة فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها، وجعلها آياتٍ دالةٍ على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه وعلى توحده بالربوبية والإلهية ، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار تجد هذه أدل شيء على تلك شاهدة لها ، وتجدهما من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد ومالك واحد . فبُعْداً لقوم لا يؤمنون .

* * *

الباب الثانى والأربعون

(في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها)

قال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيهِم بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَاب ﴾ [٧١/٤٣] فالصحاف جمع صحفة . قال الكلبي : بقصاع من ذهب ، وقال الليث : الصحفة قصعة مسلنطحة[1] عريضة .

وأما الأكواب فجمع كوب ، قال الفراء : الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له ، وقال أبو عبيد : الأكواب الأباريق التي لا خراطيم[2] لها ، قال أبو إسحاق : واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة[3]له .

وقال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [٥٦/ ١٧ - ١٨] الأباريق هي الأكواب التي لها خراطيم فإن لم يكن لها خراطيم ولا عُرَى فهي أكواب .

وإبريق إفعيل من البريق وهو الصفاء ، فهو الذي يبرق لونه من صفائه ثم سمى كل ما كان على شكله إبريقاً وإن لم يكن صافياً ، وإباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير يُرَى من ظاهرها ما في باطنها ، والعرب تسمى السيف إبريقاً لبريق لونه .

قال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ [٧٦/١٥ - ١٦] .

---

(١) مسلنطحة : مُتَّسِعَة .

(٢) خراطيم : جمع خرطوم وهو طرف الإبريق الذى يُصَب منه الماء أو الشراب .

(٣) عروة : مقبض أو أذن الإناء .

فالقوارير هي الزجاج فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة وأنها بصفاء الزجاج وشفافته ، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها ،وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال : ﴿ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّة ﴾ . قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي : قوارير الجنة من الفضة ، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير .

قال ابن قتيبة : كل ما في الجنة من الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما في الدنيا من صنعة العباد كما قال ابن عباس : (ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء) والأكواب في الدنيا قد تكون من فضة ، وتكون من قوارير ، فأعلمنا الله أن هناك أكواباً لها بياض الفضة وصفاء القوارير .

وقوله : ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾ التقدير جعل الشيء بقدرٍ مخصوص ، فَقَدَّرَت الصُنَّاع هذه الآنية على قدر رِيِّهِمْ[٤] لا يزيد عليه ولا ينقص منه، وهذا أبلغ في لذة الشارب فلو نقص عن رِيِّهِ لنقص التذاذه ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقي ، هذا قول جماعة من المفسرين ، قال الفراء : قدروا الكأس على قدر رِيِّ أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن رِيِّهِ وهو ألذ الشراب .

وقال الزجاج : جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه . وقال أبو عبيد : يكون التقدير ، الذين يَسقون يقدرونها ثم يَسقون . يعني أن الضمير في قَدَّرُوا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الرِّيّ فلا يزيد عليه فيُثْقِل الكَفَّ ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة كما تقدم .

وأما الكأس فقال أبو عبيدة هو الإناء بما فيه ، وقال أبو إسحاق : الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه . والمفسرون فسروا الكأس بالخمر وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل . حتى قال الضحاك : كل

---

(٤) رِيُّهم : ما يكفيهم للارتواء .

كأس في القرآن فإنما عُنِيَ به الخمر ، وهذا نظرٌ منهم إلى المعنى والمقصود فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء نفسه .

وأيضاً فإن من الأسماء ما يكون اسماً للحالّ والمَحِلّ مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس ، فإن النهر اسم للماء ولمحله معاً ولكل منهما على انفراده ، وكذلك الكأس والقرية ، ولهذا يجيء لفظ القرية مراداً به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معاً .

وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن** »[(٥)] .

وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين يلونهم على أشد كوكبٍ دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يتفلون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خَلْق رجلٍ واحد ، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء** »[(٦)] .

وفي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا فى صحافهما ، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة** »[(٧)] .

---

(٥) سبق تخريجه في الباب الخامس عشر ص ٨٩ برقم هامش ٣ .

(٦) سبق تخريجه في الباب العشرين ص ١٠١ برقم هامش ١٠ .

(٧) متفق عليه : رواه البخاري في الأطعمة ٥٤٢٥ ٤٦٥/٩ وغيره ، ومسلم في اللباس ٤ ١٦٣٧/٣ بنحوه .

وقال أنس : « كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعجبه الرؤيا ، فربما رأى الرجلُ الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه ، فإذا أُثْنِيَ عليه معروف كان أعجبَ لرؤياه إليه ، فأتته امرأة فقالت : يا رسول الله رأيت كأني أُتِيتُ فأُخْرِجتُ من المدينة فأُدخِلتُ الجنة فسمعت وجبة[٨] انفتحت لها الجنة ، فنظرت فإذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فَسَمَّتْ اثني عشر رجلاً ، كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد بعث سرية قبل ذلك ، فجيء بهم عليهم ثيابٌ طُلْس[٩] تَشْخَبُ[١٠] أوداجهم[١١] فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدح فغُمِسوا فيه ، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأُتُوا بصَحْفةٍ من ذهبٍ فيها بُسْر[١٢] فأكلوا من ذلك البسر ما شاءوا ، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم ، فجاء البشير من تلك السرية فقال : أصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلاً ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المرأة فقال : قُصّي رؤياك ، فقصتها وجعلت تقول : جيء بفلان وفلان كما قال »[١٣] .

* * *

(٨) وجبة : صوت السقوط .
(٩) طُلْس : وَسِخَة ، خَلِقَة .
(١٠) تَشْخَب : تسيل .
(١١) أوداجهم : أوداج جمع وَدَج وهو عِرْق [شريان] في العنق .
(١٢) بُسْر : البسر هو التمر قبل أن يُرطِب .
(١٣) رواه أحمد ١٣٥/٣ ، ٢٥٧ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : (١٧٥/٧) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . اهـ . ورواه أبو يعلى ٣٢٨٩ ٤٤/٦ وقال المحقق : إسناده صحيح وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١٨٠٣ (موارد) من طريق أبي يعلى اهـ. وقال ابن القيم عن رواية أحمد : وإسناده على شرط مسلم اهـ .

الباب الثالث والأربعون

(في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم)

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِين** ﴾ [٤٤/٥١-٥٣] وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ، أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ، وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِك** ﴾ [١٨/٣٠-٣١].

قال جماعة من المفسرين : السُنْدُس ما رَقَّ من الديباج ، والإِسْتَبْرَق ما غلظ منه ، وقالت طائفة : ليس المراد به الغليظ ولكن المراد به الصفيق[1] .
وقال الزَجَّاج : هما نوعان من الحرير . وأحسن الألوان الأخضر وألين اللباس الحرير ، فَجَمَعَ لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به ..وقال تعالى : ﴿ **وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير** ﴾ [٢٢/٢٣] .

وههنا مسألة وهذا موضع ذكرها وهي أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير وصح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة** »[2] متفق على صحته من

---

(١) الصفيق : الكثيف جيد النسج .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في اللباس ٥٨٣٢ ١٠/٢٩٦ ، ومسلم في اللباس ٢١ ٣/١٦٤٥ . كلاهما عن أنس .
ورواه البخاري في اللباس ٥٨٣٤ ١٠/٢٩٦ وبمعناه عند مسلم في اللباس ١١ ٣/١٦٤١ . كلاهما عن عمر .

حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك . وقد اختُلِف في المراد بهذا الحديث :
* فقالت طائفة من السلف والخلف : أنه لا يلبس الحرير في الجنة ويلبس غيره من الملابس ، قالوا : وأما قوله تعالى : ﴿ **وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير** ﴾ فمن العام المخصوص[٣] .

* وقال الجمهور : هذا من الوعيد الذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التي تدل على أن الفعل[٤] مقتضٍ لهذا الحكم وقد يتخلف عنه لمانع ، وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لُحوق الوعيد ويمنع من لُحوقه أيضاً الحسنات الماحية[٥] والمصائب المُكَفِّرَة[٦] ودعاء المسلمين وشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة فيه وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه ، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر « **مَنْ شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة** »[٧] .

وقال تعالى : ﴿ **وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً** ﴾ [١٢/٧٦] .
وقال : ﴿ **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَق** ﴾ [٢١/٧٦] .

وتأمل ما دلت عليه لفظة ﴿ **عَالِيَهُمْ** ﴾ من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن ، بل الذي يُلبس فوق الثياب للزينة والجمال .
وقد اختلف القراء السبعة في نصب ﴿ **عَالِيَهُمْ** ﴾ ورفعه على قراءتين .

---

(٣) المقصود أن هذا النص عام يشمل جميع أهل الجنة ، إلا من لبس الحرير في الدنيا .
(٤) الفعل : لبس الحرير .
(٥) أي التي تمحو السيئات كما قال تعالى : ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ .
(٦) أي التي تكفر السيئات كما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما من مسلم يصيبه أذى : شوكة فما فوقها ، إلا حَطَّ الله له به سيئاته كما تَحُطُّ الشجرة ورقها** » رواه البخاري في المرضى ٥٦٤٨ ١١٦/١٠ .
(٧) سبق تخريجه في الباب الأربعين ص١٦٤ برقم هامش ٦.

واختلف النُحَاة في وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال ؟
الصواب أنه منصوب على الظرف فإن عالياً لما كان بمعنى فَوْق أُجرِيَ مجراه ، قال أبو علي : وهذا الوجه أَبْيَن وهو أن عالياً صفة فجُعِل ظرفاً كما كان قوله : « وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُم ﴾ [٤٢/٨] كذلك ، وكما قالوا : هو ناحيةً من الدار .

وأما من رفع ﴿ عَالِيَهُم ﴾ فعلى الابتداء ، وثياب سندس خبره ، ولا يمنع من هذا إفراد عالٍ[٨] وجمع الثياب لأن فاعلاً[٩] قد يراد به الكثرة . قال تعالى : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُون ﴾ [٦٧/٢٣] .

ومن رفع خُضْراً أجراه صفة للثياب وهو الأقيس من وجوه :

* أحدها : المطابقة بينهما في الجمع .
* الثاني : موافقته لقوله تعالى : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً ﴾ [٣١/١٨] .
* الثالث : تخلصه من وصف المفرد بالجمع .

ومن جَرَّ أجراه صفة للسندس على إرادة الجنس كما يقال : (أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض) .

وتترجح القراءة الأولى بوجه رابع أيضاً وهو أن العرب تجيء بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيُجْرُونَه مجرى الواحد كقوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً ﴾ [٨٠/٣٦] وكقوله : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ ﴾ [٢٠/٥٤] فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فإفراد صفة الواحد وإن كان في معنى الجمع أولى .

وفي ﴿ إِسْتَبْرَق ﴾ قراءتان : الرفع عطفاً على ﴿ ثِيَابٌ ﴾ ، والجر عطفاً على ﴿ سُندُسٍ ﴾ . وتأمل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلى ،كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريباً ، فجمل البواطن

---

(٨) إفراد عالٍ : أى عدم جمع كلمة عالٍ .
(٩) وزن كلمة (عالياً)

بالشراب الطهور ، والسواعد بالأساور ، والأبدان بثياب الحرير .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير** ﴾ [٢٢/٢٣] . واختلفوا في جر ﴿ **لُؤْلُؤْ** ﴾ ونصبه ، فمن نَصَبَه ففيه وجهان :

* أحدهما : أنه عطف على موضع قوله : ﴿ **مِنْ أَسَاوِر** ﴾ .
* والثاني : أنه منصوب بفعل محذوف أي ويُحَلَّون لؤلؤا .

ومن جره فهو عطف على الذهب ، ثم يحتمل أمرين :

* أحدهما : أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ .
* ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً الذهب المرصع باللؤلؤ ، والله أعلم بما أراد .

وعن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم** »[١٠] .

وقد أخرجا في الصحيحين والسياق لمسلم عن أبي حازم قال : « **كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى يبلغ إبطه فقلت : يا أبا هريرة ما هذا الوضوء ؟ فقال : يا بني فَرُّوخ[١١] أنتم ههنا ؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء ، سمعت خليلي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء** »[١٢] .

---

(١٠) رواه أحمد ١٦٩/١ ، ١٧١ والترمذى فى صفة الجنة ٢٥٣٨ ٥٨٥/٤ وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى ٢٠٦١ ٣١٣/٢ وفى صحيح الجامع الصغير ٥٢٥١ .

(١١) فَرُّوخ : من آباء العجم الذين فى وسط البلاد ، ويقال ، إنه ابن لإبراهيم عليه السلام .

(١٢) متفق عليه بنحوه . رواه البخاري فى الوضوء ١٣٦ ٢٨٣/١ بسياق مختصر ، ومسلم في الطهارة ٤٠ ٢١٩/١ .

وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته ، والصحيح أنه لا يستحب ، وهو قول أهل المدينة وعن أحمد روايتان . والحديث لا يدل على الإطالة فإن الحلية إنما تكون زينة في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف .

وأما قوله : « **فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل** » فهذه الزيادة مُدْرَجة[١٣] في الحديث من كلام أبي هريرة لا من كلام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بَيَّنَ ذلك غيرُ واحدٍ من الحفاظ .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس[١٤] ، ولا تبلى[١٥] ثيابه ولا يفنى شبابه ، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** »[١٦] .

وقوله : « **تبلى ثيابه** » الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلى ، ويحتمل أن يراد به الجنس بل لا يزال عليه الثياب الجدد كما أنها لا ينقطع أُكُلُها في جنسه بل كل مأكول يخلفه آخر والله أعلم .

---

(١٣) مُدْرَجَة : مزيدة فى الحديث ليست من كلام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(١٤) يبأس : يصيبه البأس وهو الشدة والمشقة .

(١٥) تبلى : يصيبها البَلَى وهو التمزق والقدَم والرثاثة .

(١٦) رواه مسلم فى الجنة ٢١ ٢١٨١/٤ إلى قوله : « **ولا يفنى شبابه** » فقط . أما هذا السياق فرواه أحمد ٣٦٩/٢ ، ٣٧٠ ، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٤٢٠٤ : رواه مسلم دون قوله : « **فى الجنة ما لا عين رأت** .....إلخ » واتفق عليه الشيخان في حديث آخر لأبي هريرة : « **قال الله تعالى أعددت لعبادي ما لا عين رأت .... الحديث** » اهـ . وروى الحديث بلفظه هنا أبو يعلى في مسنده ٦٤٢٨ ٣١٣/١١ . وصحح المحقق إسناده هناك .

وعن عبد الله بن عمرو[17] قال : « **جاء أعرابي [علوى جرىء][18] فقال : يا رسول الله أخبرنا عن الهجرة : إليك إينما كنت ، أم لقوم خاصة ، أم إلى أرض معلومة إذا مت انقطعت ؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسيراً ثم قال : أين السائل ؟ فقال : ها هو ذا يا رسول الله . قال : الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر . فقام آخر فقال : يا رسول الله أخبرني عن ثياب أهل الجنة أتُخْلَق خلقاً أم تُنسَجُ نَسْجاً ؟ قال : فضحك بعض القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : تضحكون من جاهل يسأل عالماً ! فأسكت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ساعة ثم قال : أين السائل عن ثياب أهل الجنة ؟ فقال : ها هو ذا يا رسول الله . قال : لا ، بل يشقق عنها ثمر الجنة ، ثلاث مرات** »[19] .

وعن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكبٍ دُرِّي في السماء ، لكل واحدٍ منهم زوجتان من الحور العين ، على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهما من وراء لحومهما وحللهما ، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء** »[20] وهذا الإسناد

---

(١٧) في النسخة المطبوعة (عمر) والتصحيح من مسند أحمد ٧٠٩٥ ١٢/٤٥ .

(١٨) في النسخة المطبوعة « حرمي » والتصحيح من مسند أحمد ٧٠٩٥ ١٢/٤٥ .

(١٩) رواه أحمد ٢/٢٢٤ ؛ ٢٢٥ ، وصحح العلامة أحمد شاكر إسناده في مسند أحمد ٧٠٩٥ ١٢/٤٥ ، ٤٦ وكذلك بنحوه في ٦٨٩٠ ١١/١١٤ ، وحَسَّن محقق (صفة الجنة) الحديث لغيره ف ٣٥٥ ٣/٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ . قلت : ورواه أبو يعلى ٢٠٤٦ ٤/٤٠ . وكذلك البيهقي في البعث والنشور ٢٩٥ .

(٢٠) قال المنذري في الترغيب والترهيب ٨٠ ٤/٩٨٠ : رواه الطبراني بإسناد صحيح ، والبيهقي بإسناد حسن اهـ . =

على شرط الصحيح .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **« لَقَيْد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ، قال قلت : يا رسول الله وما النصيف ؟ قال : الخمار »**(٢١) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **« إن الرجل ليتكيء في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبيه ، فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ، فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها : من أنت ؟ فتقول : أنا المزيد**(٢٢)**. وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً**

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤١١/١٠ ، ٤١٢) عن أبي سعيد وعبد الله بن مسعود – رواه الطبراني في الأوسط وإسناد ابن مسعود صحيح اهـ . وقال ابن كثير في نهاية البداية والنهاية ٣٢٥/٢ : قال الحافظ الضياء : هذا عندي على شرط الصحيح اهـ . وانظر شواهده في الصحيحة ١٧٣٦ ، وحسَّنه الأرناؤوط في شرح السنة ٤٣٧٤ ٢١١/١٥ ، ٢١٢ .

(٢١) رواه أحمد ٤٨٣/٢ ، وقال الألباني عن هذا الإسناد في الصحيحة ١٩٧٨ ، وهذا إسناد لا بأس به في المتابعات . اهـ . ورواه أبو نعيم في (صفة الجنة) مختصراً عن أبي هريرة ، وحسَّن المحقق إسناده هناك ٥٩ ٨٧/١ . قلت : وروى البخاري من حديث أنس ما يشهد لهذا الحديث **« لروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم من الجنة ، أو موضع قيد – يعني سوطه – خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها »** . رواه البخاري في الجهاد والسير ٢٧٩٦ ١٩/٢ ، وبنحوه في الرقاق ٦٥٦٨ ٤٢٥/١١ .

(٢٢) إشارة لقوله تعالى عن الجنة : **﴿ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾** .

أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها التيجان ، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب »[٢٣] .

وعن خالد الزميل أنه سمع أباه قال : « **قلت لابن عباس : ما حلل الجنة ؟ قال : فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان ، فإذا أراد وَلِيُّ الله كسوة انحدرت إليه غصنها فانفلقت عن سبعين حلة ، ألواناً بعد ألوان ، ثم تنطبق ترجع كما كانت** »[٢٤] .

وعن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **أن رجلاً قال له يا رسول الله : طوبى لمن رآك وآمن بك ، فقال : طوبى لمن رآني وآمن بي ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني . فقال له رجل : وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها** »[٢٥] .

---

(٢٣) رواه أحمد ٧٥/٣ ، وعزاه ابن كثير في تفسيره ٣٦٩/٦ لابن أبي حاتم ، ورواه الطبرى فى تفسيره ١٧٥/٢٦ ، ١٧٦ ، ورواه ابن حبان في صحيحه (٢٦٣١ موارد) ، وعزاه الحافظ ابن حجر في الفتح لأحمد وابن حبان وسكت عنه ، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٤٢١٥ : (رواه أبو يعلى من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد بإسناد حسن ، ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة ....) وقال الزبيدي أيضاً في ٤٢١٥ : رواه ابن حبان والحاكم وصححه و البيهقي في البعث ، وفي رواية لأحمد وأبي يعلى وابن جرير بسند حسن عن أبي سعيد رفعه (وذكر الحديث) اهـ . وسكت عنه المنذري ف الترغيب والترهيب ٨٢ ٤ /٩٨٢ بعد عزوه لأحمد وابن حبان . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٩/١٠ : رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن . اهـ .

(٢٤) عزاه ابن القيم لابن أبي الدنيا ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٤٦ ٤/٩٦٢ ، ٩٦٣ : رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً بإسناد حسن اهـ .

(٢٥) سبق تخريجه في الباب السابع والثلاثين ص١٥٢برقم هامش ٢٣

وعن بشير بن كعب أو غيره قال : (ذُكِر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هي أرق من شِفِّكم[٢٦] هذا ، يرى مخ ساقها من وراء اللحم)[٢٧] .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « **أهدى أكيدر دومة[٢٨] إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جُبَّة من سندس ، فتعجب الناس من حسنها ، فقال : لَمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا** »[٢٩] .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث البراء قال : « **أُهْدِيَ لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثوب حرير ، فجعلوا يعجبون من لينه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : تعجبون من هذا ؟ لمناديل سعد ابن معاذ في الجنة أحسن من هذا** »[٣٠] .

ولا يخفي ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا ، فإنه كان في الأنصار بمنزلة الصِدِّيق في المهاجرين ، واهتز لموته العرش وكان لا يأخذه فى الله لومة لائم ، وختم الله له بالشهادة ، وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه ، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سمواته ، ونعاه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم موته ، فحق له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك .

---

(٢٦) فى الأصل (شقيقكم) والإصلاح من الزهد لابن المبارك ، الشِفّ : الستر الرفيع .
(٢٧) رواه نعيم بن حماد في زياداته على (الزهد) لابن المبارك ٢٥٤ ص ٧٢ .
(٢٨) أكيدر دومة : دومة هي البلدة المعروفة باسم (دومة الجندل) في شمال الجزيرة العربية وأكيدر اسم ملكها في ذلك الوقت .
(٢٩) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٤٨ ٦/٣٦٧ بنحوه ، ومسلم في فضائل الصحابة ١٢٧ ٤/١٩١٦ .
(٣٠) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٤٩ ٦/٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ومسلم في فضائل الصحابة ١٢٦ ٤/١٩١٦ .

فصل : (ومن ملابسهم التيجان على رءوسهم)

[روى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يجيء القرآن يوم القيامة فيقول : يارب حَلِّه[٣١] ، فَيَلْبَس تاج الكرامة ، ثم يقول : يارب زده ، فَيَلْبَس حُلَّة الكرامة ، ثم يقول : يارب ارْضَ عنه ، فيرضى عنه . فيقال له : اقرأ وارق وتُزَاد بكل آية حسنة** »[٣٢] . ثم قال : هذا حديث حسن صحيح .

وروى أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث المقدام بن معدي كرب عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **للشهيد عند الله ست خصال : يُغْفَر له فى أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ، ويُحَلَّى حُلَّة الإيمان ، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويُجَار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويشفع فى سبعين إنساناً من أهل بيته** »[٣٣] .

---

(٣١) حَلِّه : اجعل له حلية ، وهذا لمن تعلم القرآن فعمل به وأَحَلَّ حلاله وحَرَّمَ حرامه

(٣٢) رواه الترمذي في فضائل القرآن ٢٩١٥ ١٦٣/٥ . وحسنه الألباني فى صحيح الجامع الصغير ٨٠٣٠ وعزاه للحاكم أيضاً .

(٣٣) رواه أحمد ١٣١/٤ ، ٢٠٠ والترمذى في فضائل الجهاد ١٦٦٣ ١٦١/٤ ، وابن ماجة فى الجهاد ٢٧٩٩ ٩٣٥/٢ وصححه الألبانى في أحكام الجنائز ٣٥ ٣٦ ، وفي صحيح الترمذي ١٣٥٨ ١٣٢/٢ ، وفي صحيح ابن ماجة ٢٢٥٧ ١٢٩/٢ وفي صحيح الجامع الصغير ٥١٨٢ والللفظ هنا لفظ الجامع الصغير مع تصحيح كلمة « سبع خصال » لأنها ليست عند أحمد أو الترمذى أو ابن ماجة ، بل عندهم جميعاً لفظ « ست خصال » أما لفظ « سبع خصال » فهو عند الطبراني فقط . وهناك بعض الاختلافات اليسيرة في ألفاظ الحديث ومعانيه عندهم .

وروى الطبراني من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ، ولأضاءت ما بينهما ، ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها** »[٣٤]][٣٥] .

وذكر الإمام أحمد في المسند من حديث ابن بريدة عن أبيه يرفعه : « **تعلموا سورة البقرة فإن أَخْذها بركة وتَرْكها حسرة ولا تستطيعها البَطَلَة ، ثم سكت ساعة ثم قال : تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان ، وأنهما يُظِلَّان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فِرْقَان[٣٦] من طيرٍ صَوَافّ[٣٧] ، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له : هل تعرفني ؟ فيقول له : ما أعرفك ، فيقول له القرآن : أنا الذي أظمأتك في الهواجر[٣٨] وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة ، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا ، فيقولان : بم كُسِينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، ثم يقال له : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو**

---

(٣٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٨/١٠ : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد. اهـ.

(٣٥) ما بين القوسين [ ] ليس من الأصل ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله موضعه حديثاً ضعيفاً عند البيهقي فى شعب الإيمان ١٨٣٦ ٥٥٤/٤ وفيه ذكر التيجان لإثبات أنها من ملابس أهل الجنة ، فحذفته ووضعت بعض الأحاديث القوية التى تفيد هذا المعنى (التيجان) ..

(٣٦) فِرْقَان : الفِرْق هو القطيع العظيم من الأنعام .

(٣٧) صَوَافّ : مصفوفة .

(٣٨) الهواجر : جمع هاجرة وهي نصف النهار عند الظهر وشدة الحر .

في صعود ما دام يقرأ هذّاً[٣٩] كان أو ترتيلاً »[٤٠].

« **البطلة** » : السحرة ، « **الغياية** » ما أظل الإنسان فوقه .

* * *

(٣٩) هَذّاً : سرعة القراءة .

(٤٠) رواه أحمد ٣٤٨/٥ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٩/٧ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ .
وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥٣/١) : وهذا إسناد حسن على شرط مسلم – ثم حكى الأقوال في بشير بن المهاجر ثم قال – ولكن لبعضه شواهد فمن ذلك حديث أبي أمامة الباهلي عند أحمد ، وقد رواه مسلم في الصلاة ، ومن ذلك حديث النواس بن سمعان الكلابي عند أحمد ومسلم [ا هـ بتصرف واختصار] . قلت : حديث بشير بن المهاجر عند ابن ماجة ٣٧٨١ ١٢٤٢/٢ وقال عنه الألباني في ضعيف ابن ماجة ٨٢٦ ، الطحاوية ٥٩ : ضعيف يحتمل التحسين . وأما حديث أبي أمامة فقد رواه مسلم في صلاة المسافرين ٢٥٢ ٥٥٣/١ ، وحديث النواس بن سمعان الكلابي فهو عند مسلم في صلاة المسافرين ٢٥٣ ٥٥٤/١ .

فصل [فُرُش أهل الجنة وجمالها وحليتها]

وأما الفرش ، فقد قال تعالى : ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَق** ﴾ [٥٤/٥٥] وقال تعالى : ﴿ **وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَة** ﴾[٣٤/٥٦] فوصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق وهذا يدل على أمرين :

* أحدهما : أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة ، عن عبد الله في قوله : ﴿ **بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَق** ﴾ قال : هذه البطائن قد خُبِّرتُم بها فكيف بالظهائر ؟ .

* الثاني : يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة .

فصل [أبسطة ووسائد أهل الجنة]

وأما البُسُط والزَّرَابِّى ، فقد قال تعالى : ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ** ﴾ [٧٦/٥٥] .

وقال تعالى : ﴿ **فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَة** ﴾ (١٣/٨٨ - ١٦] .

عن سعيد بن جبير قال : الرفرف رياض الجنة والعبقري عِتَاق[٤١]الزرابّي.

وعن الحسن في قوله تعالى : ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ** ﴾ قال : هي البسط ، قال : وأهل المدينة يقولون هي البسط .

وأما النمارق ، فقال الواحدي : هي الوسائد في قول الجميع ، واحدها نُمْرُقَةبضم النون ، وحكى الفراء نِمْرقة بكسرها .

قال الكلبي : وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض . وقال مقاتل : هو الوسائد

---

(٤١) عِتَاق : جمع عَتِيق وهو كل شيء جميل رقيق كريم .

مصفوفة على الطنافس .

وزرابي بمعنى البسط والطنافس واحدها زَرْبِيَّة في قول جميع أهل اللغة والتعبير ، ومبثوثة : مبسوطة منشورة .

فصل [تنعم أهل الجنة على الرفرف]

وأما الرفرف :

* فقال الليث ضرب من الثياب خضر تُبسَط ، الواحد رفرفة .
* وقال أبو عبيد : الرفارف البُسُط .
* وقال أبو إسحاق : قالوا الرفرف ههنا رياض الجنة .
* وقالوا : الرفارف الوسائد .
* وقالوا : الرفرف المحابس[٤٢] .
* وقالوا : فضول المحابس للفرش .
* وقال المبرد : هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره . قال الواحدي : وكان الأقرب هذا لأن العرب تسمي كسر الخباء والخرقة التي تخاط في أسفل الخباء رفرفاً ، ومنه الحديث في وفاة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة**[٤٣] »[٤٤] .
* قال ابن الأعرابي : الرفرف ههنا طرف البساط ، فشَبَّه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسُمّيَ رفرفاً .

---

(٤٢) المَحَابِس : جمع مِحْبَس وهو الستر أو الفرش الذي يبسط فوق الفراش (الملاءة) .

(٤٣) ورقة : أي كلون الورق في جمال الوجه وحسن البشرة .

(٤٤) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، وأما معنى الحديث وكشف الستر عن وجه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **فكأن وجهه ورقة** » فهو متفق عليه : رواه البخاري في الأذان ٦٨٠ ٢/١٩٣ ، ومسلم في الصلاة ٩٨ ١/٣١٥ .

قلت : أصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب ، فمنه الرفرف في الحائط ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها ، الوَاحدة رفرفة ، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه ، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس ، والواحدة رفرفة ، وكل ما فضل من شيء فَثُنِيَ وعُطف فهو رفرف . وفي حديث ابن مسعود ، في قوله عز وجل : ﴿ **لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ** ﴾ [١٨/٥٣] قال : « **رأى رفرفاً أخضر سد الأفق** »[٤٥] وهو في الصحيحين .

فصل [جمال بُسُط وفُرُش الجنة]

وأما العبقري :

قال الليث : عبقر موضع بالبادية كثير الجن ، يقال : كأنهم جن عبقر .

قال أبو عبيدة في حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين ذكر عمر : « **فلم أر عبقرياً يفرِى فَرِيَّه**[٤٦] »[٤٧] وإنما أصل هذا فيما يقال إنه نَسَبٌ إلى (عبقر) وهي أرض يسكنها الجن ، فصار مثلاً منسوب إلى شيء رفيع .

قال أبو الحسن الواحدي : وهذا القول هو الصحيح في العبقري ، وذلك أن العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ، وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كان (عبقر) معروفاً بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك

---

(٤٥) رواه البخاري في التفسير ٤٨٥٨ ٤٧٧/٨ وغيره ، ولم أجد عند مسلم هذا اللفظ .

(٤٦) يَفْرِي فَرِيَّه : يعمل العَجَب في عمله ، أي يجتهد ويحسن العمل كما لا يستطيع أحد .

(٤٧) متفق عليه : رواه البخاري في التعبير ٧٠١٩ ٤٢٩/٢ وغيره ، ومسلم في فضائل الصحابة ٢٣٩٢ ١٨٦٠/٤ ، ١٨٦١ .

أنه من عملهم وصنعهم ، هذا هو الأصل ، ثم صار العبقري اسما ونعتا لكل ما بولغ في صفته ، ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى (عبقر) غير البسط والثياب كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في صفة عمر : « **عبقرياً** » ، وروى سلمة عن الفراء قال : العبقري السيد من الرجال وهو الفاخر من الحيوان والجوهر . فلو كانت (عبقر) مخصوصة بالوَشْي[٤٨] لما نسب إليها غير الموشى ، وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا ، كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه .

قال ابن عباس : ﴿ **وَعَبْقَرِيّ** ﴾ يريد البسط والطنافس .

وقال الكلبي : هي الطنافس المُجَمَّلة .

وقال قتادة : هي عتاق الزرابي .

وقال مجاهد : الديباج الغليظ .

وعبقري جمعٌ واحدُه عبقرية ولهذا وصف بالجمع .

فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة والزرابي بأنها مبثوثة والنمارق بأنها مصفوفة ، فرفع الفرش دال على سمكها ولينها ، وبث الزرابي دال على كثرتها وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه ، وَصَفُّ المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائما ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت . والله أعلم .

* * *

(٤٨) الوَشْي : نقش الثوب – التطريز .

الباب الرابع والأربعون
(في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم)

قال تعالى : ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [٥٥/٧٢] .

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ طولها ستون ميلاً ، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً** »[1] .

وفي لفظ لهما « **في الجنة خيمةٌ من لؤلؤةٍ مجوفةٍ عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن** »[2] .

وفي لفظ آخر لهما أيضاً « **الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون** »[3] .

وهذه الخيم غير الغرف والقصور بل هي خيام في البساتين وعلى شواطيء الأنهار . عن أحمد بن أبي الحواري قال : سمعت أبا سليمان قال : (ينشأ خلق الحور العين إنشاءً ، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهن الملائكة الخيام) .

وقال بعضهم : (لما كُنَّ أبكاراً ، وعادة البكر أن تكون مقصورة في خدرها حتى يأخذها بَعْلُها ،[4] أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن في خدور الخيام حتى

---

(١) سبق تخريجه في الباب التاسع والعشرين ص١٣٠ برقم هامش ٤ .

(٢) رواه مسلم في الجنة ٢٤ ٤/٢١٨٢ .

(٣) رواه مسلم في الجنة ٢٥ ٤/٢١٨٢ .

(٤) بَعْلُها : زوجها .

يجمع بينهن وبين أوليائه في الجنة) .

وأما السرر :

فقال تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [٥٢/٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾ [٥٦/١٣ - ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ [٨٨/١٣] .

فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ، ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض ، وأخبر أنها موضونة والوَضْن في اللغة : النضيد والنسج المضاعف ، يقال : وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض فهو موضون ، وقال الليث : الوضن نسج السرير وأشباهه، ويقال درع موضونة : مقاربة النسج .

قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة ﴿ مَّوْضُونَةٍ ﴾ : منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما تُوضَن حلق الدرع ، قالوا : موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد .

وعن ابن عباس قال : مرمولة[٥] بالذهب . وقال مجاهد : موصولة بالذهب . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ مَّوْضُونَةٍ ﴾ : مصفوفة .

وعن ابن عباس قال : سرر من ذهب مُكَلَّلة[٦] بالزبرجد والدُّرّ والياقوت والسرير مثل ما بين مكة وَأَيْلَة[٧] .

---

(٥) مرمولة : رقيقة النسيج مُزيَّنة .

(٦) مُكَلَّلَة : محفوفة .

(٧) أَيْلَة : جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع .

فصل

[تنعم المؤمنين في الجنة بالاتكاء على الأرائك]

وأما الأرائك فهي جمع أريكة .

عن ابن عباس ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ [١٨/٣١] قال : لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحَجَلَة ،[٨] فإذا كان سريراً بغير حجلة لا يكون أريكة ، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ، ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة فإذا اجتمعا كانت أريكة .

وقال أبو إسحاق : ﴿ الْأَرَائِكِ ﴾ الفرش في الحجال .

قلت : ها هنا ثلاثة أشياء :

* أحدها : السرير .

* والثاني : الحجلة وهي البشخانة[٩] التي تعلق فوقه .

* والثالث : الفراش الذي على السرير ولا يسمى السرير أريكة حتى يجمع ذلك كله .

وفي الصحاح : الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة ، والجمع الأرائك .

وفي الحديث : « **أن خاتم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان مثل زِرّ الحجلة** »[١٠] وهو الزِرّ الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها والله أعلم .

---

(٨) الحَجَلَة : هي قبة تزين بالستور والثياب (تشبه الناموسية) وتستعمل في الأعراس .

(٩) البشخانة : أظنها كلمة كانت مستعملة في زمن ابن القيم رحمه الله بمعنى الحَجَلَة .

(١٠) متفق عليه : رواه البخاري في الوضوء ١٩٠ ١/٣٥٥ ، ومسلم في الفضائل ١١١ ١٨٢٣/٤ .

الباب الخامس والأربعون
(في ذكر خدمهم وغلمانهم)

قال تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [٥٦/١٧ - ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إذا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً ﴾ [٧٦/١٩] .

قال أبو عبيدة والفراء : ﴿ مُخَلَّدُونَ ﴾ لا يهرمون ولا يتغيرون ، قال : والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يَشْمَط[1]: إنه لمخلد ، وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل : هو مخلد .

وقال آخرون : ﴿ مُخَلَّدُون ﴾ مُقَرَّطُون مسورون أي في آذانهم القِرَطَة[2] وفي أيديهم الأساور ، وهذا اختيار ابن الأعرابي قال : ﴿ مُخَلَّدُون ﴾ مقرطون بالخَلَدَة وجمعها خلد وهي القرطة .

وكذلك قال سعيد بن جبير : مقرطون . واحتج هؤلاء بحجتين :

* إحداهما : أن الخلود عام لكل من دخل الجنة فلابد أن تكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم ، وذلك هو القِرَطَة .

* الحجة الثانية : قول الشاعر :

ومُخَلَّدَات باللُّجَيْن[3] ... .

وقال الأولون : الخلد هو البقاء . قال ابن عباس : غلمان لا يموتون . وقول

---

(١) يَشْمَط : يشيب بعض شعره .

(٢) القِرَطَة : حلية الأذن (الحلق) .

(٣) اللُّجَيْن : الفضة . ومعنى الجملة : متزينات مقرطات بالفضة .

ترجمان القرآن في هذا كاف ، وهو قول مجاهد والكلبي ومقاتل قالوا : لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون .

وجمعت طائفة بين القولين ، وقالوا : هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم وفي آذانهم القرطة ، فمن قال مقرطون أراد هذا المعنى أن كونهم ولدان أمر لازم لهم .

وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور ، لما فيه من البياض وحسن الخلقة وفي كونه منثوراً فائدتان :

* إحداهما : الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم .

* الثانية : أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ولاسيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعاً في مكان واحد .

والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقون من الجنة كالحور العين خدماً لهم وغلماناً ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُون ﴾ [٥٢/٢٤] وهؤلاء غير أولادهم ، فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعل أولادهم مخدومين معهم[٤] ولا يجعلهم غلماناً لهم . والمكنون : المستور المصون الذي لم تبتذله الأيادي .

وإذا تأملت لفظة : ﴿ الْوِلْدَان ﴾ ولفظة ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِم ﴾ واعتبرتها بقوله : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُم ﴾ علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى في الجنة خدماً لأهلها . والله أعلم .

---

(٤) كما في قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتاهم من عملهم من شيء ﴾ .

الباب السادس والأربعون

(في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه)

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُون ﴾ [٢/٢٥] .

فتأمل جلالة المُبَشِّر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة ، وقَدْرَ ما بشرك به وضَمَنَه لك على أسهل شيء عليك وأيسره ، وجمع سبحانه في هذه البشارة بين : نعيم البدن بالجنات وما فيها من الأنهار ، والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ، ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه .

والأزواج جمع زوج ، والمرأة زوج للرجل وهو زوجها هذا هو الأفصح ، وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [٢/٣٥] .

والمُطَهَّرة : من طَهُرَت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا ، فطَهَرَ مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة وطَهَرَ لسانها من الفحش والبَذَاء[1] وطَهَرَ طَرْفُها[2] من أن تطمح به إلى غير زوجها وطَهَرَت أثوابها من أن

---

(١) البَذَاء : الكلام القبيح .

(٢) طرفها : عينها .

يعرض لها دنس أو وسخ .

وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس : ﴿ **مُطَهَّرَة** ﴾ لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن[٣] .

وقال ابن عباس أيضاً : مطهرة من القذر والأذى .

وقال مجاهد : لا يبلن ولا يتغوطن ولا يُمْذِينَ ولا يُمْنِين ولا يَحِضْن ولا يبْصُقْن ولا يتنخمن ولا يَلِدْن .

وقال قتادة : مطهرة من الإثم والأذى طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : المطهرة التي لا تحيض ، وأزواج الدنيا لسن بمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام ؟ .

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ، كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ، يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [٤٤/٥١ - ٥٦] .

فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه ، واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضاً ، وتمام اللذة بالحور العين ، ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها[٤]، وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتاً .

والحُور جمع حَوْرَاء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين .

---

(٣) يتنخمن : يخرجن من أنوفهن النُّخَامَة ، هى شيء من مخاط يكون فى الأنف أو الصدر .

(٤) غائلتها : الغائلة هى الشر أو المصيبة .

وقال الحسن : الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين .
واختلف في اشتقاق هذه اللفظة . فقال ابن عباس : (الحُور في كلام العرب : البيض) ، وكذلك قال قتادة : (الحُور : البيض) ، وقال مقاتل : (الحُور : البيض الوجوه) .

وأصل الحَور البياض والتحوير التبييض .
والصحيح أن الحُورْ مأخوذ من الحَوَر في العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين .
وفي الصحاح : الحَوَر شدة بياض العين في شدة سوادها ، امرأة حَوْرَاء بَيِّنَة الحَوَر .

والحَوَر في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر ، عين حوراء إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حَوَر عينها بياض لون الجسد .

والعِين جمع عيناء وهي العظيمة العين من النساء ، ورجل أَعْيَن إذا كان ضخم العين وامرأة عيناء ، والجمع عين .
والصحيح أن العِين اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة .
قال مقاتل : العِين حسان الأعين .

ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول ، وضيق العين في المرأة من العيوب ، ويستحب السعة منها في أربعة مواضع : وجهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفيها ، وجبهتها . ويستحسن البياض منها في أربعة مواضع : لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها . ويستحب السواد منها في أربعة مواضع عينها وحاجبها وهدبها وشعرها .

فصل [تزويج أهل الجنة بالحور العين وصفاتهن]

وقوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [٥٤/٤٤] .

قال أبو عبيدة : جعلناهم أزواجاً ، جعلناهم اثنين اثنين .

وقال يونس : قَرَنَّاهُمْ بهن وليس من عقد التزويج ،.قال : والعرب لا تقول : تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها . قال ابن نصر : هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [٣٧/٣٣] ولو كان على تزوجت بها لقال : زوجناك بها .

وقال الأزهري : تقول العرب زَوَّجْتُه امرأةً وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة . وقوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أي قَرَنَّاهُمْ .

قال الواحدي : وقول أبي عبيدة في هذا أحسن لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجاً لا بمعنى عقد النكاح ومن هذا يجور أن يقال : كان فرداً فزوجته بآخر كما يقال شفعته بآخر .

قلت : ولا يمتنع أن يراد الأمران معا ، فلفظ التزويج يدل على النكاح كما قال مجاهد : أنكحناهم الحور ، ولفظ الباء تدل على الاقتران والضم وهذا أبلغ من حذفها . والله أعلم .

وقال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [٥٦/٥٥ - ٥٨] .

وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع :

* أحدها : هذا .
* والثاني : قوله تعالى في الصافات : ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [٤٨/٣٧] .
* والثالث : قوله تعالى في ص : ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ [٥٢/٣٨] .

والمفسرون كلهم على أن المعنى قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم .
عن مجاهد في قوله : ﴿ **قَاصِرَاتُ الطَّرْف** ﴾ قال : يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن .
وعن الحسن قال : قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات .
وعن مجاهد: قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم .

وأما الأتراب فجمع تِرْب وهو لدة الإنسان .
قال أبو عبيدة وأبو إسحاق : أَقران ، أسنانهن واحدة .
قال ابن عباس وسائر المفسرين : مستويات على سن واحد وميلاد واحد ، بنات ثلاث وثلاثين سنة .
وقال مجاهد : ﴿ **أَتْرَاب** ﴾ أمثال .
قال أبو إسحاق : هن في غاية الشباب والحسن ، وسمي سن الإنسان وقرنه تِرْبه لأنه مس تراب الأرض معه في وقت واحد .
والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يَطِقنَّ الوطء ، بخلاف الذكور فإن فيهم الولدان وهم الخدم .

وقوله تعالى : ﴿ **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌ** ﴾ .
قال أبو عبيدة : (لم يمسهن ، يقال : ما طَمَث هذا البعير حبل قط أي ما مسه) .
وقال الفراء : (الطَمْث : الافتضاض ، وهو النكاح بالتدمية) .
قال المفسرون : لم يطأهن ولم يَغْشَهُنَّ ولم يُجامِعُهن .

قلت: ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وإنما هن من

الحور العين ، وأما نساء الدنيا فقد طمثهن الإنس ، ونساء الجن قد طمثهن الجن والآية تدل على ذلك .
قال أبو إسحق : وفي هذه الآية دليل على أن الجن يغشى كما أن الإنس يغشى .
ويدل على أنهن الحور اللاتي خلقن في الجنة أنه سبحانه جعلهن مما أعده الله في الجنة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها ، ويدل عليه أيضاً الآية التي بعدها وهي قوله تعالى : ﴿ **حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ** ﴾ [٥٥/٧٢] ثم قال : ﴿ **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ** ﴾ [٥٥/٧٤] .
قال الإمام أحمد : والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور لأنهن خلقن للبقاء .

وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور أن مؤمن الجن في الجنة كما أن كافرهم في النار ، وبَوَّبَ عليه البخاري في صحيحه فقال (باب ثواب الجن وعقابهم)[٥]، ونص عليه غير واحد من السلف ، قال ضمرة بن حبيب — وقد سئل : هل للجن ثواب ؟ — فقال : نعم ، وقرأ هذه الآية ثم قال : الإنسيات للإنس والجنيات للجن .

وقوله : ﴿ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ .
قال الحسن وعامة المفسرين : أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان ، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان .

ويدل عليه ما قاله عبد الله : « **إن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن ، ذلك بأن الله يقول : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ ألا وإن الياقوت حجرٌ لو جعلتَ فيه**

---

(٥) هكذا ذكره البخاري في بدء الخلق ، باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم (فتح الباري ٦/٣٩٥) .

سلكاً ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر »[٦] .

فصل : [قصر الحور العين فى الخيام]

وقال تعالى في وصفهن : ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾[٥٥/٧٢] .
المقصورات : المحبوسات .
قال أبو عبيدة : خُدِرْنَّ في الخيام ، وكذلك قال مقاتل .
وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يرون غيرهم وهن في الخيام ، وهذا معنى قول من قال : قُصِرْنَ على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم ، وذكره الفراء .

قلت : وهذا معنى ﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات ، وقد تقدم وصف النسوة الأُوَّل بكونهن قاصرات الطرف وهؤلاء بكونهن مقصورات . والوصفان لكلا النوعين فإنهما صفتا كمال . فتلك الصفة قَصْر الطَّرف عن طموحه إلى غير الأزواج وهذه الصفة قَصْر الرِّجْل على التبرج والبروز والظهور للرجال .

فصل : [اجتماع صفات الخير والحسن في نساء الجنة]

وقال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ [٥٥/٧٠] .
فالخَيْرات جمع خَيْرَة وهي مخففة من خَيِّرة كسَيِّدة ولَيِّنة و ﴿ حِسَانٌ ﴾ جمع حَسَنَة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم ، حسان الوجوه .

---

(٦) رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٥٣٣،٢٥٣٤ ٥٨٣/٤،٥٨٤ ، وبنحوه عند ابن حبان (٢٦٣٢ موارد) وقال الألباني في الصحيحة ١٧٣٦ : وللحلل السبعين شاهدان من حديث أبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود مرفوعاً أخرجهما ابن حبان (٢٦٣١، ٢٦٣٢) بإسنادين يستشهد بهما اهـ . وضعف الحديث في ضعيف الجامع الصغير ١٧٧٦ . وقال محقق صفة الجنة لأبي نعيم (٣٧٩ ٢٢٢/٣) : والخلاصة أن الحديث حسن إن شاء الله تعالى . ولا يضره وقف من أوقفه اهـ . قلت : ويشهد له حديث عبد الله بن مسعود الذي سبق تخريجه في الباب الثالث والأربعين ص ١٨٨ برقم هامش ٢٠ .

فصل : [خلق وإنشاء الحور العين]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [٥٦/٣٥ - ٣٨] أعاد الضمير إلى النساء ولم يَجْرِ لهن ذِكر لأن الفُرُش دلت عليهن إذ هي مَحِلُّهنّ .

قال قتادة وسعيد بن جبير : خلقناهن خلقا جديدا .

وقال ابن عباس : يريد نساء الآدميات .

وقال الكلبي ومقاتل : يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط[٧] يقول تعالى : خلقناهن بعد الكبر والهَرَم[٨] بعد الخلق الأول في الدنيا ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع « **هن عجائزكم العُمْش[٩] الرُمْص**[١٠] »[١١] .

وعن عائشة « **أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتته عجوز من الأنصار فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن الجنة لا يدخلها عجوز . فذهب نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فصلى ثم رجع إلى عائشة ، فقالت عائشة : لقد لَقِيَتْ من كلمتك مشقةً وشِدةً ، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن ذلك كذلك ، إن الله تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكاراً** »[١٢] .

---

(٧) الشمط : جمع شمطاء وهي المرأة التي شاب بعض رأسها .

(٨) الهَرَم : أقصى الكِبَر .

(٩) العُمْش : جمع عمشاء . وهي الضعيفة البصر مع جريان الدمع .

(١٠) الرُمْص : جمع رَمْصَاء : وهي التي يخرج من أطراف عينيها وسخ أبيض (العُمَاصْ) .

(١١) رواه الترمذي في التفسير ٣٢٩٦ ٥/٣٧٥ ، والطبري في تفسيره ٢٧/١٨٥،١٨٦ بروايات متعددة ، وبنحوه عند أبي نعيم في صفة الجنة ٣٩٠ ٣/ ٢٣٠ وقال المحقق : ويشهد له ما أخرجه الطبراني في الأوسط والطبري . وقد أخرجه العقيلي في (الضعفاء) وابن عدي في (الكامل) ...فالحديث حسن بهذه الطريق إن شاء الله تعالى . [بتصرف واختصار] .

(١٢) عزاه ابن القيم رحمه الله لابن أبي شيبة ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٤١٩ : =

وذكر مقاتل قولاً آخر وهو اختيار الزَّجاج : أنهن الحور العين التي ذكرهن ، قيل أنشأهن الله عز وجل لأوليائه لم يقع عليهن ولادة .

والظاهر أن المراد أنشأهن الله تعالى في الجنة إنشاءً ويدل عليه وجوه :

* أحدها : أنه قد قال في حق السابقين : ﴿يَطُوفُ عَلَيهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ﴾ إلى قوله : ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُون ﴾ [٥٦/١٧ - ٢٣] فذكر سررهم وآنيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين ، ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم والظاهر أنهن مثل نساء مَنْ قبلهم خُلِقْن في الجنة .

* الثاني : أنه سبحانه قال : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ وهذا ظاهر أنه إنشاءٌ أولٌ لا ثانٍ لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يقيده بذلك كقوله : ﴿ وَأَنَّ عَلَيهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى ﴾ [٥٣/٤٧] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى ﴾ [٥٦/٦٢] .

* الثالث : أن الخطاب بقوله : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَة ﴾ [٥٦/٧] إلى آخره للذكور والإناث ، والنشأة الثانية أيضاً عامة للنوعين كقوله : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴾ ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء . وتأمل تأكيده بالمصدر .

والحديث لا يدل على اختصاص العجائز المذكورات بهذا الوصف بل يدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفات بل هي أحق به منهن فالإنشاء واقع على الصنفين . والله أعلم .

= رواه الطبراني في الأوسط اهـ . وعزاه ابن كثير في تفسيره ٨/٩ لعبد بن حميد ، والترمذي في الشمائل . وقال العراقي في تخريج الإحياء ٢٦٢٨ : رواه الترمذي في الشمائل مرسلاً ، وأسنده ابن الجوزي في الوفا من حديث أنس بسند ضعيف اهـ . وحَسَّنه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية للترمذي ٢٠٥ ، وكذلك في غاية المرام ٣٧٥ لشواهده عند عبد بن حميد والترمذي في الشمائل وابن المنذر والبيهقي في البعث وفي الشُّعَب ، والطبراني والبغوي .

وقوله : ﴿ عُرُباً ﴾ جمع عَرُوب ، وهن المتحببات إلى أزواجهن .
قال ابن الأعرابي : (العَرُوب من النساء : المطيعة لزوجها المتحببة إليه) .
وقال أبو عبيدة : (العروب الحسنة التَبَعُّل[١٣]). قلت : يريد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع .
وقال المبرد : هي العاشقة لزوجها .
وذكر المفسرون في تفسير (العُرُب) أنهن العواشق المتحببات الغَنِجَات الشَكِلات المتعشقات الغَلِمَات[١٤] المغنوجات ، كل ذلك من ألفاظهم .
وقال البخاري في صحيحه : عُرُبا مثقلة ، واحدها عروب مثل صبور وصبر ، تسميها أهل مكة : العَرِبة ، وأهل المدينة : الغَنِجَة ، وأهل العراق : الشَّكِلَة . (والعُرُب) المتحببات إلى أزواجهن ، هكذا ذكره في كتاب بدء الخلق[١٥] .

قلت : فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها ، وهذا غاية ما يُطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن .

وفي قوله : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾[٥٥/٥٦] إعلام بكمال اللذة بهن ، فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضاً .

فصل : [من تمام جمال وحسن نساء الجنة]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ﴾ [٧٨/٣٢] .

---

(١٣) التبعل : مطاوعة المرأة لزوجها وتزينها له .
(١٤) الغَلِمَات : جمع غَلِمَة وهى التى تتوق وتشتاق إلى زوجها بشدة . أو التي غُلِبَتْ شهوةً إلى زوجها .
(١٥) هكذا ذكره البخارى في بدء الخلق ، باب ما جاء فى صفة الجنة (فتح البارى ٣٦٥/٦) .

فالكواعب جمع كاعب وهي الناهد .
قال قتادة ومجاهد والمفسرون : قال الكلبي : هن الفَلِكَات[١٦] اللواتي تكعب ثُدِيُّهن وتفلكت .
وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثُدِيَّهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ، ويُسَمَّيْن نواهد وكواعب .

فصل : [حسن صفات نساء الجنة وتنعم أزواجهن بهن]

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **لغدوةٌ في سبيل الله أو روحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعني سوطه من الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها** »[١٧] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على أضوإ كوكبٍ دُرِّي في السماء ، ولكل امرىء منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم ، وما في الجنة أعزب** »[١٨] .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين ، على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ**

---

(١٦) هكذا بالأصل ولم أجد هذا الاشتقاق في كتب اللغة مما رجعت إليه ولكن وجدت (مُفَلِّك) أو (فالك) وهي التي استدار ثديها وتم جماله .

(١٧) رواه البخاري في الجهاد والسير ٢٧٩٦ ، ١٩/٦ ، وبنحوه في الرقاق ٦٥٦٨ ، ٤٢٥/١١ .

(١٨) سبق تخريجه في الباب الرابع والعشرين ص ١١٣ برقم هامش ٤ .

ساقها من وراء الثياب »[19] .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قوله تعالى : ﴿ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ [٥٨/٥٥] قال : « **ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤةٍ عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك** »[20] .

وعن أبي هريرة قال : « **قيل : يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة ؟ فقال : إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء** »[21] .

فصل : [عدد أزواج أهل الجنة]

والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس في الصحيح زيادة على ذلك ، فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين ، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان ، وإما أن يراد أنه يُعْطَى قوة من يجامع هذا العدد ، ويكون هذا هو المحفوظ ، فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له كذا وكذا زوجة .

---

(١٩) سبق تخريجه في الباب الرابع والعشرين ص ١١٤ برقم هامش ٦ .

(٢٠) سبق تخريجه في الباب الثالث والأربعين ص ١٩٠ برقم هامش ٢٣ .

(٢١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٧/١٠ : رواه البزار في رواية عنده وعند الطبراني في الصغير والأوسط [بنحوه] ورجال هذه الرواية الثانية رجال الصحيح غير محمد ابن ثواب وهو ثقة . اهـ .

ونقل ابن كثير في نهاية البداية والنهاية ٣٤١/٢ قول الحافظ الضياء : هذا عندي على شرط الصحيح اهـ . وكذلك نقل ابن القيم قول الضياء بلفظ : ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح اهـ . وصححه الألباني في الصحيحة ٣٦٧ .

وقد روى الترمذي في جامعه من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يُعْطَى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل : يا رسول الله او يطيق ذلك ؟ قال : يُعْطَى قوة مائة** »[22] . هذا حديث صحيح ، فلعل من رواه يفضي إلى مائة عذراء رواه بالمعنى ، أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات والله أعلم .

ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لما في الصحيحين من حديث أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤةٍ مجوفةٍ طولها ستون ميلاً ، للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً** »[23] .

* * *

---

(٢٢) رواه الترمذي فى صفة الجنة ٢٥٣٦ ٤/٥٨٤ وقال هذا حديث صحيح غريب اهـ . وقال الألباني في تخريج المشكاة ٥٦٣٦ : وإسناده حسن بل هو صحيح . لأن له شواهد منها عن زيد بن أرقم عند الدارمي (٢/٣٣٤) بسند صحيح اهـ . وقال في صحيح الترمذي ٢٠٥٩ ٣/٣١٣ : حسن صحيح اهـ .

(٢٣) سبق تخريجه في الباب التاسع والعشرين ص١٣٠ برقم هامش ٤ .

الباب السابع والأربعون

(في ذكر المادة التي خُلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن)

فأما المادة التي خلق منها الحور العين :

قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : (إن لولّي الله في الجنة عروساً لم يلدها آدم ولا حواء ولكن خُلِقَت من زعفران) . وهذا مروي عن صحابيين وهما ابن عباس وأنس وعن تابعيين وهما أبو سلمة ومجاهد .

وبكل حال فهي من المنشآت في الجنة ، ليست مولودات بين الآباء والأمهات . والله أعلم .

وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها ، مادتها من تراب وجاءت الصورة من أحسن الصور ، فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك !!! فالله المستعان .

وقد روى في مادة خلقهن صفة أخرى :

عن الزهري أن ابن عباس قال : « **إن في الجنة نهراً يقال له البيدخ عليه قبابٌ من ياقوت ، تحته حور ناشئات . يقول أهل الجنة : انطلقوا بنا إلى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري فإذا أعجب رجلاً منهم جارية مس معصمها فتتبعه** »[1] .

وعن ابن عباس قال : كنا جلوساً مع كعب يوماً فقال : (لو أن يداً من الحور دُلِّيت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل

---

(١) سبق تخريجه في الباب الأربعين ص ١٦٩ برقم هامش ٢٥ ولفظ «جوار» بدلاً من «حور».

الدنيا ، ثم قال : إنما قلت يدها فكيف بالوجه وبياضه وحسنه وجماله !!)[٢] .

وفي مسند الإمام أحمد من حديث معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **لا تؤذي امرأةٌ زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل[٣] يوشك أن يفارقك إلينا** »[٤] .

وقال ربيعة بن كلثوم : نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال : يا معشر الشباب أما تشتاقون إلى الحور العين ؟ .
وقال لي[٥] ابن أبي الحواري : حدثني الحضرمي قال : (نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فرشه إلى الصباح فقلت : يا أبا حمزة ما رقدت الليلة ، فقال : إني لما اضطجعت تمثلت لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها وقد مس جلدي ، فحدثت به أبا سليمان فقال : هذا رجل كان مشتاقاً) .

وعن يحيى بن أبي كثير : (إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة ، فيقلن : طال ما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن ، والخالدات فلا نموت ، بأحسن أصوات سُمِعَت وتقول : أنت حِبِّي وأنا حِبُّك ، ليس دونك تقصير ولا وراءك معدل[٦])[٧] .

---

(٢) رواه نعيم بن حماد في زياداته على (الزهد) لابن المبارك ٢٥٦ ص ٧٢ ، ٧٣ .
(٣) دخيل : الدخيل هو من دخل في القوم وليس منهم ، والمقصود هنا : الغريب .
(٤) رواه أحمد ٢٤٢/٥ ، وابن ماجة في النكاح ٢٠١٤ ٦٤٩/١ ، وصححه الألباني في الصحيحة ١٧٣ .
(٥) أي لربيعة بن كلثوم .
(٦) في (الزهد) : مَعْدَى ، والمقصود : ليس بعدك غاية تطلب .
(٧) رواه ابن المبارك في (الزهد) (من رواية نعيم) ٤٣٥ ص ٣١ .

الباب الثامن والأربعون

(في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة ، ونزاهة ذلك عن المذي والمني والضعف وأنه لا يوجب غسلاً)

قد تقدم حديث أبي هريرة : « **قيل : يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة ؟ فقال : إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء** »[١]، وأن إسناده صحيح .

وتقدم حديث أبي موسى المتفق على صحته : « **إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً ، له فيها أهلون يطوف عليهم** »[٢] .

وحديث أنس : « **يُعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من النساء** »[٣] . وصححه الترمذي .

وروى الطبراني وعبد الله بن أحمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال : « **يا رسول الله على ما يطلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى ، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن ، وفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله ، وأزواج مطهرة . قلت : يا رسول الله أو لنا فيها أزواج مصلحات ؟ قال : الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا ، ويلذذن بكم ،**

---

(١) سبق تخريجه في الباب السادس والأربعين ص ٢١٥ برقم هامش ٢١ .

(٢) سبق تخريجه في الباب التاسع والعشرين ص ١٣٠ برقم هامش ٤ .

(٣) سبق تخريجه في الباب السادس والأربعين ص ٢١٦ برقم هامش ٢٢ .

غير أن لا توالد »[٤] .

وعن عبد الله بن مسعود في قوله : ﴿ **إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ** ﴾ [٣٦/٥٥] . قال : « **شغلهم افتضاض العذارى**[٥] »[٦] .

وعن الأوزاعي في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ** ﴾ قال : شغلهم افتضاض الأبكار .

قال مقاتل : شُغِلُوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم .

وقال أبو الأحوص : شُغِلُوا بافتضاض الأبكار [على السُرُر][٧] في الحِجَال .

وعن أبي مجلز قلت لابن عباس عن قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ** ﴾ : ما شغلهم ؟ قال : افتضاض الأبكار .

وعن سعيد بن جبير : (إن شهوته لتجري في جسده سبعين عاماً يجد اللذة)[٨] ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطئهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه .

وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام فكما أن من

---

(٤) سيأتي حديث لقيط بن عامر بطوله في الباب التاسع والأربعين ويأتي تخريجه هناك ص ٢٢٩ برقم هامش ٣١ .

(٥) العذارى : جمع عذراء وهي الفتاة البكر .

(٦) رواه الطبري ٢٣/١٧ ، ١٨ وقوَّى محقق صفة الجنة لأبي نعيم إسناده ٣/٢١٥ ، ٢١٦ .

(٧) في الأصل : (عن السرور) وليس لها معنى هنا .

(٨) عزاه الزبيدي في تخريج الإحياء ٤٢١٧ لابن أبي شيبة من كلام سعيد بن جبير إلا أن لفظه : (وإن شهوته لتجري في جسدها سبعين عاماً تجد اللذة) .

شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ، ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة ، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة** »[٩] .

فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حُرِمَها هناك كما نعى سبحانه على من أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها .

ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف .

ذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله : (أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال : ما هذا ؟!! قال : لحم اشتريته لأهلي بدرهم . فقال : أو كلما اشتهى أحدكم شيئاً اشتراه !! أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا** ﴾[١٠] [٤٦/٢٠]) .

وقال الحسن : (قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى على عمر فكنا ندخل عليه كل يوم وله خُبْزٌ ثلاثة ، وربما وافقناها مأدومة بالسمن ، وربما وافقناها مأدومة بالزيت ، وربما وافقناها مأدومة باللبن ، وربما وافقناها القدائد[١١] اليابسة قد دُقَّت ثم أُغْلِيَ بها ، وربما وافقناها اللحم الغريض[١٢] وهو قليل . فقال ذات يوم : إني والله قد أرى تعذيركم[١٣] وكراهيتكم لطعامي ، إني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وأرقكم عيشاً ولكني

---

(٩) سبق تخريجه في الباب الثانى والأربعين ص ١٨١ برقم هامش ٧ .

(١٠) أخرجه أحمد في الزهد ص ١٥٣ .

(١١) القدائد : قطع لحم يابسة – وفي الأصل (القلائد) .

(١٢) الغريض : الطازج .

(١٣) تعذيركم : تقصيركم في الأكل ، وفي نسخة من (الزهد) لابن المبارك : تقذركم ، وفي الأصل : تقديركم وهي غالباً خطأ ناسخ أو طابع .

سمعت الله[١٤] عَيَّر قوماً بأمر فعلوه فقال : ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا** ﴾[١٥] .

فمن ترك اللذة المحرمة لله ، استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون ، ومن استوفاها هنا حُرِمَها هناك أو نقص كمالها ، فلا يجعل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبداً ، والله أعلم .

* * *

---

(١٤) فى الأصل : « رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول » والتصحيح من (الزهد) لابن المبارك و (الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف) وتفسير الآلوسي .

(١٥) عزاه ابن القيم رحمه الله لأحمد من حديث الحسن ، ولم أجده في المسند ولا في (الزهد) المطبوع له – وأظن هذا بسبب سقوطه من نسخة الزهد لأن الحافظ ابن حجر عزاه لأحمد في الزهد وكذلك فعل الآلوسي في تفسيره ٢٣/٢٦ – والحديث قد أخرجه ابن المبارك في الزهد ٥٧٩ ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ بنحوه ، وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على (الزهد) لأحمد بن حنبل من طريق الحسن عن الأحنف باختصار شديد ص ١٤٢ . وعزاه الحافظ ابن حجر في (الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف ٣٩٨) لابن المبارك في الزهد ، وأبي عبيدة في الغريب ، و ابن سعد ، وأحمد في الزهد وأبي نعيم في الحلية . وعزاه الآلوسي في تفسيره ٢٣/٢٦ لابن المبارك وابن سعد وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وأبي نعيم في الحلية .

الباب التاسع والأربعون
(في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا)

قال الترمذي في جامعه .... عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة ، كان حمله ووضعه وسنه**[1] **في ساعةٍ كما يشتهي** »[2] قال : هذا حديث حسن غريب . وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم : في الجنة جماع ولا يكون ولد . هكذا روى عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي .

وقال محمد[3]– يعني البخاري – قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي** » (ولكن لا يشتهي)[4] .

---

(١) سِنّه : شبابه وكِبَره .

(٢) رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٥٦٣ ٥٩٩/٤ ، وأحمد ٩/٣ ، وابن ماجة في الزهد ٤٨٣٨ ١٤٥٢/٢/٢ – وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٠٧٧ ٣١٨/٢ ، وفي صحيح ابن ماجة ٣٥٠٠ ٤٣٧/٢ ، وقد صحح ابن القيم إسناد الحديث على شرط الصحيح ، ونقل ابن كثير في نهاية البداية والنهاية ٣٤٤/٢ قول المقدسي : هذا عندي على شرط مسلم اهـ . ثم ذكر ابن القيم رحمه الله في نهاية هذا الباب اضطراب متن هذا الحديث . والله أعلم .

(٣) الإمام البخاري من شيوخ الترمذي ، وهذا السياق كله من كلام الترمذي وليس ابن القيم .

(٤) جملة (ولكن لا يشتهي) هي قول إسحٰق ، وقال الألباني في تخريج المشكاة ٥٦٤٨ : وقول إسحق ليس من الحديث ، ثم هو مما لا دليل عليه في السُنَّة الصحيحة وظاهر الحديث يرده اهـ . وقال ابن كثير في نهاية البداية والنهاية ٣٤٤/٢ : ونقل عن =

قال محمد : وقد روي عن أبي رَزِين العقيلي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد** » .

وتأويل إسحاق فيه نظر . فإنه قال : « **إذا اشتهى المؤمن الولد** » و (إذا) للمتحقق الوقوع ، ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة ، فإن ما لا يكون أحق بأداة (لو) ، كما أن المتحقق الوقوع أحق بأداة (إذا) .

أما حديث أبي رزين الذي أشار إليه البخاري فهو حديثه الطويل ونحن نسوقه بطوله نُجَمِّل به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادي على صحته .

عن دَلْهَم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المُنْتَفِق العُقَيلي عن أبيه عن عمه لَقِيط بن عامر ، قال دلهم : وحدثنيه أبو الأسود عن عاصم بن لقيط : « **أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق قال لقيط : فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين انصرف من صلاة الغداة ، فقام في الناس خطيباً فقال : ألا أيها الناس إني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم . ألا فهل من امريء بعثه قومه فقالوا له : اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ ألا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال ألا إني مسئول ، ألا هل بلغت ،**

= جماعة من التابعين كطاوس ومجاهد ، وإبراهيم النخعي وغيرهم (إن الجنة لا يولد فيها) ثم قال : وهذا صحيح . وذلك أن جماعهم لا يقتضي ولداً كما هو الواقع في الدنيا ، فإن الدنيا دار يراد منها بقاء النسل لتعمر ، وأما الجنة فالمراد بقاء الملك ، ولهذا لا يكون في جماعهم مَنِيّ يقطع لذة الجماع ولكن إذا أحب أحدهم الولد يقع كما يريد قال الله تعالى : ﴿ **لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين** ﴾ اهـ .

ألا اسمعوا تعيشوا . ألا اجلسوا ألا اجلسوا ، قال فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت : يا رسول الله ما عندك من علم الغيب ؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني أبتغي سقطه ، فقال : ضَنَّ ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ، وأشار بيده ، قلت : وما هي ؟ قال : علم المَنِيَّة[٥] قد علم متى مَنِيَّة أحدكم ولا تعلمونه ، وعلم ما في غد ما أنت طاعم غداً ولا تعلمونه ، وعلم يوم البعث يوم يشرف عليكم أزلين[٦] مشفقين فيظل يضحك قد عَلِمَ أن غَيْرَكم[٧] إلى قريب – قال لقيط قلت :لن نعدم من رب يضحك خيراً – وعلم يوم الساعة ، قلت : يا رسول الله علمنا مما تُعَلِّم الناس وما تَعْلَم فإنَّا من قَبِيل لا يصدقون تصديقنا أحد ، من مذحج التي تربو[٨] علينا ، وخثعم[٩] التي توالينا ، وعشيرتنا التي نحن منها ، قال : تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون ما لبثتم ، ثم تبعث الصائحة[١٠] ، لَعَمْرُ إلهك[١١] لاتدع على ظهرها شيئاً إلا مات ، والملائكة الذين مع ربك عز وجل . فأصبح ربك يطوف في الأرضين وخلت عليه البلاد ، فأرسل ربك السماء تَهْضِبُ[١٢]من عند العرش ، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من عند رأسه ،

---

(٥) المَنِيَّة : الموت .

(٦) أَزِلين : أصابكم الأَزْل وهو الشدة .

(٧) غَيْرَكم : تحولكم ، والمقصود تحولكم من الشدة إلى الرخاء .

(٨) تربو : تزيد .

(٩) مذحج وخثعم : قبيلتان من العرب اليمانية .

(١٠) الصائحة : نفخة الصور التي يموت معها أهل الأرض جميعاً .

(١١) لَعَمْرُ إلَهك : قسم ببقاء الله وحياته ، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفات الله عز وجل .

(١٢) تَهْضِبُ : تمطر .

فيستوي جالساً فيقول ربك : مَهْيَم [١٣] لما كان فيه ، يقول : يا رب أمس اليوم[١٤] ولعهده بالحياة عشية تحسبه حديثاً بأهله ، فقلت : يا رسول الله كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع ؟ فقال : أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله ، الأرض أشرفتَ عليها وهي مَدَرَة[١٥] بالية فقلت : لا تحيا أبداً ، ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت عليها وهي شَرْبَة[١٦] واحدة ، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض ، فيخرجون من الأَصْوَاء[١٧] ومن مصارعهم فتنظرون إليه وينظر إليكم ، قال قلت : يا رسول الله فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه ؟ قال : أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله ، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة لا تضارون في رؤيتهما ، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما ، قلت : يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه ؟ قال : تعرضون عليه بادية له صفحاتكم ، لا تخفى عليه منكم خافية ، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح قبلكم بها ، فلعمر إلهك ما يخطيء وجه أحد منكم منها قطرة ، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة[١٨] البيضاء ، وأما الكافر فتخطم وجهه بمثل الحُمَم[١٩] الأسود ، ألا ثم ينصرف نبيكم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويَفْرَق[٢٠]

---

(١٣) مَهْيَم : ما شأنك وما أمرك وفيم كنت ؟ .

(١٤) أمس ، اليوم : يتردد ويستقل فترة مكثه في الأرض ويظن أنه فارق أهله حديثاً .

(١٥) مَدَرَة : قطعة من الطين اليابس – وهو حال الأرض بدون الماء .

(١٦) شَرْبَة : الحنظلة وهى ذات لون أخضر – فالمعنى أن الأرض بعد يبسها قد اخضرت تماماً .

(١٧) الأَصْوَاء : القبور .

(١٨) الريطة : الملاءة .

(١٩) الحُمَم : جمع حُمَمَة وهى الفحمة .

(٢٠) يفرق : يفزع ويسرع .

على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار فيطأ أحدكم الجمرة فيقول : حس ، فيقول : ربك أو أنه[٢١] ، فيطلعون على حوض الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، على أظمأ والله ناهلة[٢٢] قط رأيتها ، فلعمر ربك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح تُطَهِّره من الطَوْف[٢٣] والبول والأذى ، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً . قال قلت : يا رسول الله فبم نبصر ؟ قال : بمثل بصرك ساعتك هذه ، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض ثم واجهته الجبال . قال قلت : يا رسول الله فبم نُجْزَى من حسناتنا وسيئآتنا ؟ قال : الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو . قال قلت : يا رسول الله ما الجنة ما النار ؟ قال : لعمر إلهك إن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً ، وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً ، قال قلت : يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة ؟ قال : على أنهار من عسل مصفى ، وأنهار من كأس[٢٤] ما بها من صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن ، وبفاكهة لعمر إلهك مما تعلمون وخير من مثله معه ، وأزواج مطهرة ، قلت : يا رسول الله ولنا فيها أزواج أو منهن صالحات ؟ قال : الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا ، ويلذذن بكم غير أن لا توالد . قال

---

(٢١) أو أنه : قال ابن قتيبة : فيه قولان : أحدهما أن يكون (أنه) بمعنى (نعم) ، والآخر أن يكون الخبر محذوفاً كأنه قال أنتم كذلك أو أنه على ما يقول .

(٢٢) أظمأ ناهلة : الناهلة هم العطاش الذين يأتون الماء ليشربوا ، والمعنى أنهم يأتون لحوض النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهم أعطش ما يكون وأشد حاجة للماء .

(٢٣) الطوف : الغائط .

(٢٤) كأس : خمر .

لقيط فقلت : أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه[٢٥] ، فلم يجبه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم . فقلت : يا رسول الله علام أبايعك ؟ فبسط النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يده وقال : على إقامة الصلاة وايتاء الزكاة [وزيال المشرك][٢٦] وأن لا تشرك بالله إلهاً غيره ، قال قلت : وأن لنا ما بين المشرق والمغرب ؟ فقبض النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يده وبسط أصابعه - وظن أني مشترط شيئاً لا يعطينيه - قال قلت : نَحِلُّ[٢٧] منهما حيث شئنا ولا يجني على امرىء إلا نفسه[٢٨] . فبسط يده وقال : ذلك لك تحل حيث شئت ولا يجني عليك إلا نفسك . قال فانصرفنا وقال : ها إن ذين ها إن ذين لعمر إلهك إن حُدِّثْت إلا أنهما من أتقى الناس في الأولى والآخرة ، فقال له كعب بن الخُدَرِيَّة أخو بني بكر بن كلاب : من هم يا رسول الله ؟ قال : بنو المنتفق أهل ذلك . قال فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت : يا رسول الله هل لأحد مما مضى من خير في جاهليتهم ؟ قال قال رجل من عُرْض[٢٩] قريش : والله إن أباك المنتفق لفي النار . قال فكأنه قد وقع حَرٌّ[٣٠] بَيْنَ جلدي ووجهي ولحمي

---

(٢٥) أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه : يحتمل معنيين : الأول : أقصى مدة الدنيا ونهايتها ، الثاني ماذا بعد دخول الجنة أو النار وفي كل لا توجد إجابة ولذلك لم يجبه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهذا من الغيب .

(٢٦) جملة « زيال المشرك » كانت ساقطة من حادي الأرواح والإصلاح من المسند وزاد المعاد وغيره .

ومعناها : مفارقة المشرك ومُعَاداته فلا يجاوره ولا يواليه . ولاحظ أن هذا الأمر كان في بيعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأعراب يدخلون الإسلام حديثاً مما يدل أبلغ الدلالة على أهميته .

(٢٧) نَحِلّ : نقيم وننزل .

(٢٨) لا يجني على امرىء إلا نفسه : لا يعاقب الإنسان إلا بعمله .

(٢٩) عُرْض قريش : عامة قريش وليس من أشرافهم .

(٣٠) وقع حر بين جلدي ووجهي ولحمي : تشبيه يراد به بيان الغيظ والغضب والحرج .

مما قاله لأبي على رءوس الناس فهممت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ؟ ثم إذا الأخرى أجمل فقلت : يا رسول الله وأهلك ؟ قال : وأهلي ، لعمر الله ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل : أرسلني إليك محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأبشرك بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك في النار ، قال قلت : يا رسول الله ما فعل الله بهم ذلك ، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبونهم مصلحين ؟ قال : ذلك بأن الله عز وجل بعث في آخر كل سبع أمم نبياً فمن عصى نبيه كان من الضالين ومن أطاع نبيه كان من المهتدين »[31] .

---

(٣١) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل فى مسند أبيه ١٣/٤ ، وفى كتاب (السنة) له ١١٢٠ ٤٨٥/٢ ، ورواه ابن أبي عاصم في (السنة) ٦٣٦ ٢٣١/١ ، وابن خزيمة فى (التوحيد) ص ١٨٦،١٨٧،١٨٨،١٨٩ ، ١٩٠ والحاكم فى المستدرك ٥٦٠/٤، ٥٦١،٥٦٢،٥٦٣،٥٦٤ وقال : صحيح الإسناد كلهم مدنيون ، ولم يخرجاه اهـ . وأخرج أبو داود منه جملة واحدة في الأيمان والنذور ٣٢٦٦ ٥٧٧/٣،٥٧٨ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٠/١٠:رواه عبد الله والطبراني بنحوه ، وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات ، والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً ...اهـ ، وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية ٧٢/٥ ، ٧٣،٧٤ للبيهقي في البعث والنشور ، وعبد الحق الأشبيلي في العاقبة والقرطبى في التذكرة ، وقال ابن القيم رحمه الله فى زاد المعاد ٦٧٧/٣ ، ٦٧٨ وفي حادي الأرواح ص ٢٤١ ما ملخصه : رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وابن أبي عاصم والطبراني وأبو الشيخ وابن منده ، وابن مردويه ، والعسال ، وأبو نعيم الأصبهاني وغيرهم ونَقَلَ عن ابن منده قوله : (رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازي وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل [البخاري] ولم ينكره أحد ، ولم يتكلم في إسناده بل رَوَوْه على سبيل القبول والتسليم ، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد أو جاهل أو مخالف للكتاب والسنة) وقال أبو الخير بن حمدان : هذا حديث كبير ثابت مشهور ، وقال المزي عنه (عليه جلال النبوة) اهـ . وقد ترجم ابن حبان في الثقات لجميع رجال عبد الله بن أحمد بن حنبل .

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٩٥/٣ في ترجمة (نهيك بن عاصم) : وسند الحديث حسن اهـ .

وقال نفاة الإيلاد : فهذا حديث صريح في انتفاء الولادة .

وقوله : « **إذا اشتهى** »[٣٢] معلق بالشرط ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به ، و (إذا) وإن كانت ظاهرة في المُحقَّق فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره ، قالوا وفي هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه :

* أحدها : حديث أبي رزين .
* الثاني : قوله تعالى : ﴿ **وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ** ﴾ [٢/٢٥] وهن اللاتي طهرن من الحيض والنفاس والأذى .

عن مجاهد : (مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمني والولد) .

وعن عطاء ﴿ **أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ** ﴾قال : من الولد والحيض والغائط والبول .

* الثالث : قوله « غير أنه لا مَنِيّ ولا مَنِيَّة »[٣٣] وقد تقدم ، والولد إنما يخلق من ماء الرجل فإذا لم يكن هناك مني ولا مذي ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد .
* الرابع : أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **يبقى في الجنة فضل ، فينشىء الله لها خلقاً يسكنهم إياها** »[٣٤] ولو كان في الجنة إيلاد ، لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق به من غيرهم .
* الخامس : أن الله سبحانه جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني ، فلو كانت النساء يحبلن في الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال .
* السادس : أن الله سبحانه قدر التناسل في الدنيا لأنه قدر الموت وأخرجهم

---

(٣٢) في حديث أبي سعيد الخدري في أول هذا الباب .

(٣٣) وردت عدة روايات مرفوعة لهذا الحديث ولم يثبت منها شيء . فلذلك لم نذكرها سابقاً .

(٣٤) هذا الحديث يأتي في الباب الثاني والستين ويأتي تخريجه هناك ص ٣١٠ برقم هامش ٥ .

إلى هذه الدنيا قرناً بعد قرن وجعل لهم أمداً ينتهون إليه فلولا التناسل لبطل النوع الإنساني ، ولهذا الملائكة لا تتناسل فإنهم لا يموتون كما تموت الإنس والجن ، فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلهم من الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت ، فلا يحتاجون إلى تناسل يحفظ النوع الإنساني إذ هو منشأ للبقاء والدوام ، فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار .

* السابع : أنه سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ (٣٥) [٢١/٥٢] فأخبر سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم في الدنيا ، ولو كان ينشأ لهم في الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذرياتهم الذين كانوا في الدنيا لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم كما هي بذرياتهم من أهل الدنيا .

* الثامن : أنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية ، أو إلى غاية ثم تنقطع ، وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى ، واستلزام الثاني انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم وهو محال ، ولا يمكن أن يقال بتناسل يموت معه نسل ويخلفه نسل إذ لا موت هناك .

* التاسع : أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا ، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم ، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون ، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون ، فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلاً ، ومعلوم أن من مات من الأطفال يَرِدُون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو .

* الوجه العاشر : أن الله سبحانه وتعالى ينشيء أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم ، بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون ويلهمون

---

(٣٥) هذه القراءة صحيحة قرأ بها أبو عمرو البصري (تفسير الطبري ٢٦/٢٧) .

التسبيح ولا يهرمون على تطاول الأحقاب ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذي جُعِلُوا عليه لازم لهم أبداً والله أعلم ، فهذا ما في المسألة .

فأما قول بعضهم : (إن القدرة صالحة والكل ممكن) ، وقول آخرين : (إن الجنة دار المكلفين التي يستحقونها بالعمل) وأمثال هذه المباحث فرخيصة وهي في كتب الناس وبالله التوفيق .

قال الحاكم : قال الأستاذ أبو سهل : أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث يعني حديث الولادة في الجنة وقد روي فيه غيرُ إسناد وسئل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ذلك فقال : يكون ذلك ، على نحو مما روينا والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ** ﴾ [٧١/٤٣] وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمنُ المُمَكَّنُ من شهواته المصفى المقرب المسلط على لذاته ، قرةَ عينٍ وثمرةَ فؤادٍ من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة .
فإن قيل : ففي الحديث أنهن لا يحضن ولا ينفسن فأين يكون الولد ؟
قلت : الحيض سبب الولادة الممتد مدة بالحمل على الكثرة والوضع عليه كما أن جميع تلاد[٣٦] الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ما عُرِف من التعب والنصب وما يعقبه كل منهما مما يحذر منه ويخاف من عواقبه ، وهذه خمرة الدنيا المحرمة المستولية على كل بلية قد أعدها الله تعالى لأهل الجنة منزوعة البلية موفرة اللذة ، فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد ؟! انتهى كلامه .

قلت : النافون للولادة في الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم ولكن لحديث أبي رزين[٣٧] « **غير أن لا توالد** » ، وقد حكينا من قول عطاء وغيره أنهن

---

(٣٦) في الأصل (بلاد) ولا معنى لها هنا إطلاقاً – ومعنى التلاد : المال أو الأنعام الأصيلة القديمة عند الإنسان .

(٣٧) حديث لقيط بن عامر الطويل في هذا الباب .

مطهرات من الحيض والولد ، وقد حكى الترمذي عن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين وحكى قول إسحاق بإنكاره ، وقال أبو أمامة في حديثه : « غير أن لا مني ولا منية »[٣٨] . والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه .

وحديث أبي سعيد الخدري هذا[٣٩] أجود أسانيده إسناد الترمذي وقد حكم بغرابته وأنه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناجي وقد اضطرب لفظه فتارة يروى عنه « **إذا اشتهى الولد** » ، وتارة « **إنه ليشتهي الولد** » ، وتارة « **إن الرجل من أهل الجنة ليولد له** » ، فالله أعلم .

فإن كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد قاله فهو الحق الذي لا شك فيه[٤٠]، وهذه الألفاظ لا تنافي بينها ولا تناقض ، وحديث أبي رزين « **غير أن لا توالد** » إذ ذاك نفي للتوالد المعهود في الدنيا ولا ينفي ولادة حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه في ساعة واحدة . فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر في هذه المسألة وقد أتينا فيها بما لا تجده في غير هذا الكتاب . والله أعلم .

---

(٣٨) وهو حديث ضعيف مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم و لم يثبت فلذلك لم أذكره .

(٣٩) هو حديث أبي سعيد المذكور في أول هذا الباب ص ٢٢٣ برقم هامش ٢ عن اشتهاء المؤمن للولد في الجنة .

(٤٠) هنا رجح ابن القيم رحمه الله الرأي الثاني بعد استقصاء الأدلة لعدم ثبوت الحديث عنده .. ولكن الأمر فيه خلاف معتبر ولذلك قال : (فإن كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد قاله فهو الحق الذي لا شك فيه ..) وهكذا دأب أهل العلم جميعاً قديماً وحديثاً إذا لم يثبت عندهم حديث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بحثوا واجتهدوا أما لو ثبت عندهم الحديث فلا يتركونه إلى غيره ، ورحم الله الإمام الشافعي حيث روى حديثاً فقال له رجل : تأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حديثاً صحيحاً فلم =

الباب الخمسون

(في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة)

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُون ﴾ [١٤/٣٠ - ١٥] .

قال يحيى بن أبي كثير عن قوله عز وجل : ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُون ﴾ قال : الحَبْرَة اللذة والسماع .

عن يحيى بن أبي كثير في قوله : ﴿ يُحْبَرُون ﴾ قال : السماع في الجنة . ولا يخالف هذا قول ابن عباس : يكرمون ، وقال مجاهد وقتادة : يُنَعَّمُون فلذة الأذن بالسماع من الحَبْرَة والنعيم .

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن الحور العين يغنين في الجنة ، يقلن : نحن الحور الحسان ، خلقن لأزواج**

= آخذ به والجماعة - أتباعه - فأشهدكم أن عقلي قد ذهب ، ومرة أخرى سأله رجل عن مسألة فأفتاه وقال : قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كذا ، فقال الرجل : أتقول بهذا ؟ قال الشافعي : أرأيت في وسطي زناراً ؟ - وهو حزام يلبسه اليهود والنصارى - أتراني خارجاً من الكنيسة ؟ أقول قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وتقول لي أتقول بهذا ؟ أروي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا أقول به ، وفي مرة أخرى في مثل هذا الموقف يقول رحمه الله : نعم على الرأس والعينين ، نعم على الرأس والعينين . [مناقب الشافعي : البيهقي ٤٧٤/١ ، ٤٧٥] ومثل هذه النقولات عن جميع الأئمة كثيرة مشهورة رحمهم الله جميعاً ونفعنا بأخلاقهم وأدبهم مع سنة رسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

كرام »[1] .

وعن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين ، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن ، وليس بمزامير الشيطان[2] »[3] .**

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، إن مما يغنين به : نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام ، ينظرون بِقُرَّة أعين ، وإن مما يغنين به : نحن الخالدات فلا نمتنه ، نحن الآمنات فلا نخفنه ، نحن المقيمات فلا نظعنه[4] »[5] .**

---

(١) رواه أبو نعيم في (صفة الجنة) ٤٣٢ ٣/ ٢٨٠ وعزاه ابن القيم لابن أبي الدنيا ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١٠٦ ٤/ ٩٩٧ : رواه ابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ له وإسناده مقارب اهـ . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٦٠٢ ولكن من طريق (سمويه) فقط .

(٢) مزامير الشيطان : أصوات الشياطين والمقصود ما يزينونه لبنى آدم من الملاهي والمعازف وآلات الطرب ، ويطلق على صوت الغناء وعلى الآلة نفسها التي يعزف بها . وإضافتها للشيطان من ناحية أنها تلهي الإنسان عن ذكر ربه وهو المقصود الأعظم للشيطان في هذه الدنيا .

(٣) قال المنذري في الترغيب والترهيب ١٠٥ ٤/ ٩٩٧ : رواه الطبراني فى الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح اهـ . وقال العراقي في تخريج الإحياء ٤٢٢٢ : رواه الطبراني بإسناد حسن اهـ .

(٤) نظعنه : نظعن أى نسير أو نسافر ، والهاء كما في نمتنه ، نخفنه هي للتغني .

(٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٩ : رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله رجال الصحيح اهـ . وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٥٦١ من طريق الأوسط فقط .

وقال يحيى بن أبي كثير : (إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن : طالما انتظرناكم ، فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن ، والخالدات فلا نموت ، بأحسن أصوات سُمِعَت وتقول : أنت حِبِّي وأنا حِبُّك ، ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل)[٦] .

فصل : [ولهم سماع أعلى من هذا]

وعن محمد بن المنكدر قال : (إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان ؟ أسكنوهم رياض المسك ، ثم يقول للملائكة : أسمعوهم تمجيدي وتحميدي)[٧] .

وعن ابن عباس قال : « **في الجنة شجرة على ساقٍ قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام ، فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم ، فيذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا** »[٨] .

فصل : [سماع أهل الجنة لكلام الله وخطابه لهم]

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع .

وذلك حين يسمعون كلام الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ويقرأ عليهم كلامه فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك . وسيمر بك أيها السُّنِّي من الأحاديث الصحاح والحسان[٩] في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك ، إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يعطى أهل الجنة شيئاً أحب إليهم من ذلك .

---

(٦) سبق تخريجه في الباب السابع والأربعين ص ٢١٨ برقم هامش ٧ .
(٧) رواه نعيم بن حماد في زياداته على (الزهد) لابن المبارك ٤٣ ص ١٢ .
(٨) سبق تخريجه في الباب السابع والثلاثين ص ١٥١ برقم هامش ١٧ .
(٩) ستأتي هذه الأحاديث في الباب الثامن والخمسين والتاسع والخمسين .

الباب الحادى والخمسون

(في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم)

عن سليمان بن بريدة عن أبيه «أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يا رسول الله هل في الجنة من خيل ؟ قال : إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تُحْمَل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت . قال وسأله رجل فقال : يا رسول الله هل في الجنة من إبل ؟ قال : فلم يقل ما قال لصاحبه ، قال : إن أدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولَذَّت عينك »[1] .

عن عبد الرحمن بن سابط [قال : « قال رجل : يا رسول الله أفى الجنة خيل فإنى أحب الخيل ؟ فقال : إن يدخلك الله الجنة ، فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت إلا فَعَلْت . فقال أعرابي : يا رسول الله أفي الجنة إبل فإني أحب الإبل ؟ قال : يا أعرابي ، إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت

---

(١) رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٥٤٣ ٥٨٨/٤ ، وأحمد ٣٥٢/٥ ، وضعفه الألبانى في تخريج المشكاة – وهو التخريج القديم – ٥٦٤٢ . وصححه في صحيح الجامع الصغير ٧٩٤٣ وعزاه لأحمد والترمذى .

– ملحوظة : صحيح الجامع الصغير متأخر عن تخريج المشكاة المطبوع المتداول الآن وأما التحقيق الثاني للمشكاة فلم يُطبع بعد ، يسر الله طبعه ونفع به . ويلاحظ أيضاً أن الألباني حفظه الله لم يخرج هذا الحديث في صحيح الترمذي ! وانظر (صفة الجنة) لأبي نعيم ٤٢٥ ٢٧٣/٣ ، ٢٧٤ .

عينك »[2]][3] .

* * *

(2) رواه البغوي في شرح السنة ٤٣٨٥ ١٥/٢٢٢ ، وذكره الترمذي بعد الحديث المتقدم ولكنه لم يذكر لفظه وإنما ذكر سنده فقط ثم قال : وهذا أصح من حديث المسعودي [الحديث المتقدم] .
وقال الأرناؤوط في تعليقه على الحديث عند البغوي : رجاله ثقات إلا أنه مرسل : عبد الرحمن بن سابط تابعي ثقة كثير الإرسال ، والرواية المرفوعة أخرجها أحمد ٥/٣٥٢ والترمذي ٢٥٤٦ . وإسنادها ضعيف اهـ .

(3) ما بين القوسين ليس من الأصل ، وإنما ذكر ابن القيم كلام الترمذي فقط ، والترمذي لم يرو من الحديث إلا سنده ، فأتيت بنصه من شرح السنة ٤٣٨٥ ١٥/٢٢٢ .

الباب الثانى والخمسون

(في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا)

قال تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ، قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ، قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِين ﴾ [٣٧/٥٠-٥٧].

فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوال كانت في الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم : إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول ما حكاه الله عنه ، يقول : أئنك لمن المصدقين بأنَّا نبعث ونُجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى وكنا تراباً وعظاماً ؟ ثم يقول المؤمن لإخوانه في الجنة : هل أنتم مطَّلِعُون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه ؟ هذا أظهر الأقوال . وفيها قولان آخران :

* أحدهما : أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضاً : هل أنتم مطَّلِعون ؟ عن ابن عباس .

* والثاني : أنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم : هل أنتم مُطَّلِعون ؟

والصحيح القول الأول وأن هذا قول المؤمن لأصحابه ومحادثيه ، والسياق كله والإخبار عنه وعن حال قرينه .

قال كعب (بين الجنة والنار كِوَى[1] فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى) .

وقوله : ﴿ **فاطَّلَع** ﴾ أي أشرف .

قال مقاتل لما قال لأهل الجنة ﴿ **هَلْ أَنْتُم مُطَّلِعُون** ﴾ قالوا له : أنت أعرف به منا فاطلع أنت ، فأشرف فرأى قرينه في سواء الجحيم ، ولولا أن الله عرفة إياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغيير ، فعندها قال : ﴿ **تَاللهِ[2] إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِين ، وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِين** ﴾ أي إن كدت لتهلكني لولا أن أنعم الله علي بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب .

وقال تعالى : ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمِ** ﴾ [٣٠/٢٥ - ٢٨] .

فصل : [في زيارة أعظم من ذلك]

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل ، وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ويحل عليهم رضوانه ، وسيمر بك ذكر هذه الزيارة عن قريب إن شاء الله[3] .

* * *

---

(١) كِوَى : جمع كَوَّة وهى الفتحة فى الجدار .

(٢) تالله : قَسَمٌ بالله .

(٣) ستأتى في الباب الثالث والخمسين والرابع والخمسين وغيرها .

الباب الثالث والخمسون
(في ذكر سوق الجنة وما أعد الله تعالى فيه لأهلها)

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة ، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ، فيقول لهم أهلوهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ، فيقولون : والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً** »[1] .

وعن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة . فقال سعيد : أو فيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعه من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى ، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ، فيوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم وما فيها دني على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً ، قال أبو هريرة : وهل نرى ربنا عز وجل ؟ قال : نعم ، قال : هل تُمَارون[2] في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا ، قال : فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول : يا فلان بن فلان**

---

(١) رواه مسلم في الجنة ١٣ ٢١٧٨/٤ .

(٢) تَمَارُون : تَشُكُّون .

أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ؟ فيذكره ببعض غَدَرَاته[3] في الدنيا ، فيقول : بلى أفلم تغفر لي ؟ فيقول : بلى فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه ، قال فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ، قال ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم ، قال فيأتون سوقاً قد حفت بها الملائكة ، فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب ، قال فيُحْمَل لنا ما اشتهينا ليس يُبَاع فيه ولا يُشتَرى ، وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً ، قال فيقبل ذو البِزَّة[4] المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة ، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل[5] عليه أحسن منه ، وذلك أنه لاينبغي لأحد أن يحزن فيها ، قال ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن : مرحباً وأهلاً بحبِّنا[6] لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه ، فنقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل ، وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا »[7] .

---

(٣) غَدَراته : جمع غَدْرَة وهى نقض العهد والمقصود هفواته وذنوبه .

(٤) البِزَّة : الهيئة .

(٥) يَتمثل : يتشبه ، والمقصود هنا يحل ويلبس .

(٦) حِبّ : محبوب .

(٧) رواه الترمذي في صفة الجنة ٢٥٤٩ ٥٩١/٤ ، وابن ماجة ٤٣٣٦ ١٤٥٠/٢ ، ١٤٥٢،١٤٥١ وابن أبي عاصم في (السنة) ٥٨٧،٥٨٦،٥٨٥ ٢٥٨/١ ،٢٥٩، ٢٦٠ ، وضعفه الألباني في الضعيفة ١٧٢٢ ، ظلال الجنة ٥٨٧،٥٨٦،٥٨٥ بسبب تفرد عبد الحميد بن حبيب كاتب الأوزاعي بروايته عن الأوزاعي ، ولكن ذكر ابن القيم رواية ابن أبي الدنيا من طريق هقل بن زياد عن الأوزاعي ، وقد سبقه المنذري إلى هذا في الترغيب والترهيب ١١٠ ٩٩٩/٤-١٠٠٣ فقال : وقد رواه ابن أبي الدنيا عن هقل بن زياد كاتب الأوزاعي أيضاً واسمه محمد وقيل عبد الله وهو ثقة احتج به مسلم وغيره عن الأوزاعي قال ..... وذكر الحديث ، وكذلك ذكر هذا التعليق الأرناؤوط في جامع الأصول ٥١١/١٠ .

وعن أنس بن مالك قال : « يقول أهل الجنة : انطلقوا إلى السوق ، فينطلقون إلى كثبان المسك ، فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا : إنا لنجد لكن ريحاً ما كانت لكن ، قال فيقلن : لقد رجعتم بريح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا »[8] .

وعن أنس بن مالك قال : « إن في الجنة سوقاً كثبان مسك ، يخرجون إليها ويجتمعون إليها فيبعث الله ريحاً فتدخلها[9] بيوتهم ، فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم : قد ازددتم حسناً بعدنا ، فيقولون لأهليهم : قد ازددتم أيضاً بعدنا حسناً »[10].

* * *

(٨) رواه نعيم بن حماد في زياداته على (الزهد) لابن المبارك ٢٤١ ص ٧٠ ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١١٢ ٤/١٠٠٣ ، ١٠٠٤ : رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً بإسناد جيد اهـ .

(٩) في (الزهد) لابن المبارك : فتدخلهم .

(١٠) رواه عبد الله بن المبارك في (الزهد) ١٤٩١ ص ٥٢٤،٥٢٥ . وقد روى الإمام أحمد نحوه من حديث أنس بزيادة يسيرة ٣/٢٨٤ ، ورواه أيضاً مسلم بنحوه ودون لفظ « **كثبان المسك** » في الجنة ١٣ ٤/٢١٧٨ .

الباب الرابع والخمسون

(في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى)

عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول : « أتى جبريلُ بمرآة بيضاء فيها وَكْتة[1] إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ما هذه ؟ قال : الجمعة فُضِّلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع ، اليهود والنصارى ، ولكم فيها خير ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له ، وهو عندنا يوم المزيد ، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يا جبريل وما يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أَفْيَح[2] فيه كُثُب[3] المسك فإذا كان يوم الجمعة[4] ، أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين ، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب ، فيقول الله تعالى : أنا ربكم قد صدقتم وعدي فسلوني أعطكم ، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك ، فيقول : قد رضيت عنكم ولكم عَلَيَّ ما تمنيتم ، ولَدَيَّ مزيد . فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير ، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق

---

(١) وكتة : نقطة أو أثر .

(٢) أفيح : واسع .

(٣) كُثُب : جمع كَثِيب وهو التل من الرمل .

(٤) فى الأصل « القيامة » وما أثبته من مصادر التخريج .

آدم عليه الصلاة والسلام وفيه تقوم الساعة »[٥] .

ولهذا الحديث طرق سنشير إليها في باب المزيد إن شاء الله تعالى .

* * *

(٥) رواه الشافعي في مسنده (بدائع المنن ٤٢٢ ١/١٤٨) ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١٢٩ ٤/١٠٢٥ ١٠٢٨ ثم قال : رواه ابن أبي الدنيا والطبراني فى الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوي ، وأبو يعلى مختصراً ورواته رواة الصحيح والبزار اهـ . وذكر ابن كثير في نهاية البداية والنهاية ٢/٣٥٩ حديث أنس عند الشافعي والبزار وأبي يعلى ثم قال : وهذه طرق جيدة عن أنس ، ونقل أيضاً قول الحافظ الضياء : وقد روي من طريق جيد عن أنس بن مالك . اهـ [باختصار] ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٦٩٤ ١/٢٩١ .

الباب الخامس والخمسون

(في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة)

قد تقدم في حديث سوق الجنة[1] أنه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه قط .

وعن كثير بن مرة قال : (إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ماذا تريدون أن أُمْطِرَكم ؟ فلا يتمنون شيئاً إلا أُمْطِروا)[2] .

فصل : [تقدير الله لأسباب الرحمة والعذاب في الدنيا والآخرة]

وقد جعل الله سبحانه وتعالى السحاب وما يمطره سبباً للرحمة والحياة في هذه الدار ، ويجعله سبباً لحياة الخلق في قبورهم حيث يمطر على الأرض أربعين صباحاً مطراً متداركاً[3] من تحت العرش فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تَطِشُّ[4] عليهم ، وكأنه والله أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا ، ويثير لهم سحاباً في الجنة يمطرهم ما شاءوا من طيبٍ وغيره ، وكذلك أهل النار ينشيء لهم سحاباً يمطر عليهم عذاباً إلى عذابهم كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحاباً أمطر عليهم عذاباً أهلكهم فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب .

---

(١) سبق في الباب الثالث والخمسين ص ٢٤١ برقم هامش ٧ .

(٢) رواه نعيم بن حماد في زياداته على (الزهد) لابن المبارك ٢٤٠ ص ٧٠ ، وكذلك أبو نعيم في (صفة الجنة) ٣٨٢ ٢٢٣/٣ وقال المحقق : الإسناد صحيح إن شاء الله .

(٣) متداركاً : متتابعاً .

(٤) تَطِش : تمطر مطراً خفيفاً .

الباب السادس والخمسون

(في ذكر مُلْك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها)

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾ [٢٠/٧٦] .

عن مجاهد ﴿ مُلْكاً كَبِيراً ﴾ ، قال : عظيماً ، وقال : استئذان الملائكة عليهم ، لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن .

وقال كعب في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾ يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتي الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة ، وقال بعضهم : الخدم ، ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بإذن .

وعن ابن عباس أنه ذكر مراكب[1] أهل الجنة ثم تلا ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾ .

وعن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم ، [بيد كل واحد صحفتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة ، في كل واحدة لون ليس في الأخرى مثله ، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها ، يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذي يجد لأولها ، ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر[2] ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ،**

---

(١) مراكب : أي ما يركبونه .

(٢) الأذفر : الجيد الطيب للغاية .

إخواناً على سُرُرٍ متقابلين »[3]][4] .

وعن أبي هريرة قال : « **إن أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دنيء لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم مع كل خادم طُرْفَة[5] ليست مع صاحبه** »[6].

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **سأل موسى ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رَبِّ فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رَبِّ فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك ، فيقول : رضيت رَبِّ** »[7] .

وعن أبي سعيد قال : « **خلق الله الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وغرسها بيده ، وقال لها : تكلمي ، فقالت : قد أفلح المؤمنون ، فدخلتها**

---

(٣) قال العراقي في تخريج الإحياء ٤٢١٣ : رواه ابن المبارك في الزهد ، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، والطبراني في الأوسط بسند رجاله ثقات اهـ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٤٠١ : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات اهـ . وقال الحافظ في فتح الباري ٦/٣٧٣ : أخرجه الطبراني بإسناد قوي عن أنس مرفوعاً .اهـ

(٤) ما بين القوسين ليس عند ابن القيم في حادي الأرواح ولكن رأيت سوق الحديث بتمامه للفائدة .

(٥) طُرْفَة : هدية جديدة .

(٦) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد (من رواية نعيم) ٤١٤ ص ١٢٦ ، وكذلك رواه أبو نعيم في صفة الجنة ٤٤٢ ٣/٢٩١ وقال المحقق : أخرجه ابن أبي الدنيا موقوفاً وذكره المنذري بصيغة الجزم اهـ [باختصار] ، ويشهد له الحديث السابق عن أنس مرفوعاً .

(٧) سبق تخريجه في الباب الثالث والثلاثين ص ١٣٩ برقم هامش ٣ .

الملائكة فقالت : طوبى لك منزل الملوك »[٨] ، والحديث صحيح موقوف ، والله أعلم .

وقد تقدم ذكر التيجان على رءوسهم[٩] وإنما يلبسها الملوك .

* * *

(٨) سبق تخريجه في الباب السادس عشر ص ٩٣ برقم هامش ٣ .

(٩) سبق تخريجه في الباب الثالث والأربعين ص ١٩٢ برقم هامش ٣٢ .

الباب السابع والخمسون

(في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها)

قال تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّاأُخْفِيَ لَهم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُون ﴾ [١٦/٣٢ - ١٧] .

وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس ، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . مصداق ذلك في كتاب الله ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّاأُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُون ﴾** »[1].

وفي لفظ آخر فيهما « **يقول الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ذخراً بله ما أطلعتكم عليه ، ثم قرأ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ الآية** »[2].

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري بنحوه في بدء الخلق ٣٢٤٤ ٦/٣٦٦، وفي التفسير ٤٧٧٩ ٨/٣٧٥ ، وفي التوحيد ٧٤٩٨ ١٣/٤٧٣ ، ومسلم في الجنة ٢ ٤/٢١٧٤ واللفظ له .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في التفسير ٤٧٨٠ ٨/٣٧٥ ، ومسلم في الجنة ٤ ٤/٢١٧٥ .

وفي بعض طرق البخاري « قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآأُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ »[٣] .

وفي صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : « شهدت مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال في آخر حديثه : فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآأُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ »[٤] .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب »[٥] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لما خلق الله جنة عدن ، خلق فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمي ، فقالت : قد أفلح المؤمنون »[٦] .

وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد قال : « سمعت

---

(٣) رواه البخاري في التفسير ٤٧٧٩ ٣٧٥/٨ ولكن بلفظ « قرّات » بدلاً من « قرة » .

(٤) رواه مسلم في الجنة ٥ ٢١٧٥/٤ .

(٥) رواه البخاري في الجهاد ٢٧٩٢ ١٧/٦ ، وفي بدء الخلق ٣٢٥٣ ٣٦٨/٦، ٣٦٩ ، وليس عند مسلم .

(٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩٧/١٠) بعد أن ساق هذا اللفظ : وفي رواية « خلق الله جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر إليها فقال لها : تكلمي ، فقالت : قد أفلح المؤمنون فقال : وعزتي لا يجاورني فيك بخيل » : رواه الطبراني في الأوسط والكبير وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد اهـ . وراجع الباب السادس عشر للشواهد .

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : موضع سوطٍ في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها »[7] .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **« لقيد سوط أحدكم من الجنة خيرٌ مما بين السماء والأرض »**[8] وهذا على شرط الصحيحين .

وعن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : **« لو أن ما يُقِلُّ ظُفْرٌ مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق**[9] **السموات والأرض ، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم »**[10] .

وكيف يُقْدَرُ قَدْرُ دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه ، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير ، وأودعها جميع الخير بحذافيره ، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص .

فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن ، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر . وإن سألت عن بنائها فلبنةٌ من

---

(٧) رواه البخاري في بدء الخلق ٣٢٥٠ ٣٦٨/٦ .

(٨) رواه أحمد ٣١٥/٢ ، وصححه العلامة أحمد شاكر في المسند ٨١٥٢ ٦٢/١٥ ، وكذلك صححه الألباني على شرط الشيخين – موافقاً حكم ابن القيم – في الصحيحة ١٩٧٨ .

(٩) خوافق السموات : أركان السماء التي تهب منها الرياح .

(١٠) رواه أحمد ١٦٩/١ ، ١٧١ ، والترمذي في صفة الجنة ٢٥٣٨ ٥٨٥/٤ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٠٦١ ٣١٣/٢ ، وفي صحيح الجامع الصغير ٥٢٥١ وكان في الأصل « **لو أن أقل ظفر مما في الجنة ...... ضوء الكواكب** » .

فضة ولبنةٌ من ذهب .

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب . وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل . وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل .

وإن سألت عن أنهارها فأنهارٌ من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى .

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طيرمما يشتهون ، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور . وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير .

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام .

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها . وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المُجِدُّ السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها .

وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام . وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار . وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار .

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب وإن سألت عن فُرُشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب ، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسِرَّة عليها البشخانات وهي الحِجَال مزررة بأزرار الذهب . فما لها من فُروجٍ ولا خِلَال .

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر . وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر .

وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين . وأعلى منهما خطاب رب العالمين .

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان .

وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرءوس ملابس التيجان .

وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون .

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود . وللرمان ما تضمنته النهود . وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور . وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور ، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت . إذا قابلت حِبَّها فقل ما تشاء في تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحِبَّين . وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي جَلَّاها صَيْقَلُها[11] ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها . لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً ، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ، ولتزخرف لها ما بين الخافقين ، ولأغمضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم . ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها ، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً ، ولا يزداد لها طول

---

(١١) الصَيْقَل : جَلَّاء السيوف ، والمقصود هنا الذى يجلو المرآة وينظفها لكي تظهر الصورة كأفضل ما تكون .

المدى إلا محبة ووصالاً ، مُبَرَّأة من الحيل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ، لا يفنى شبابها ، ولا تبلى ثيابها ، ولا يخلق ثوب جمالها ، ولا يمل طيب وصالها . قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه . وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه . إن نظر إليها سرته . وإن أمرها بطاعته أطاعته . وإن غاب عنها حفظته فهو معها في غاية الأماني والأمان . هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جانّ . كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً . وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً . وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً .

وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب . وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر . وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حَوَر . وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان . وإن سألت عن النهود فهن الكواعب ،ونهودهن كألطف الرمان . وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان .

وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان ، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان ، فأُعطين جمال الباطن والظاهر ، فهن أفراح النفوس وقرة النواظر، وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرُب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج . فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها . وإذا انتقلت من قصر إلى قصر ، قُلْتَ هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها . وإذا حاضرت زوجها فياحسن تلك المحاضرة ، وإن خاصرته فيالذة تلك المعانقة والمخاصرة .

وحديثها السحر الحلال لو أنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هي حدثت ... ود المحدث أنها لم توجز

وإن غنت فيالذة الأبصار والأسماع . وإن آنست وأمتعت فياحبذا تلك المؤانسة والإمتاع . وإن قَبَّلَت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل . وإن

نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل .

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه ، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه . وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد ، من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد .

فاستمع يوم ينادي المنادي : يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحَيَّ على زيارته ، فيقولون : سمعاً وطاعة ، وينهضون إلى الزيارة مبادرين ، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً . وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً ، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ، وجلس أدناهم – وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء – على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا ، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم ، نادى المنادي : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : ما هو ؟ ألم يُبَيِّض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار .

فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم وقال : يا أهل الجنة سلام عليكم ، فلا تُرَد هذه التحية بأحسن من قولهم : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام . فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول : يا أهل الجنة ، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد . فيجتمعون على كلمة واحدة : قد رضينا فارض عنا ، فيقول : يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي ، هذا يوم المزيد فاسألوني . فيجتمعون على كلمة واحدة : أرنا وجهك ننظر إليه ، فيكشف لهم الرب جل جلاله

الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا . ولا يبقي في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول : يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا ؟ يذكره ببعض غدراته في الدنيا ،فيقول : يارب ألم تغفر لي ؟ فيقول : بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه .

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة ، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة . ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَة** ﴾ [٧٥/٢٢ - ٢٥] .

فحَيَّ على جنات عدن فإنها   منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى   نعود إلى أوطاننا ونسلم

* * *

الباب الثامن والخمسون

(في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يُرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكاً إليهم)

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدراً وأعلاها خطراً وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة وأشدها على أهل البدعة والضلالة ، وهي الغاية التي شمر إليها المُشَمِّرون وتنافس فيها المتنافسون ، وتسابق إليها المتسابقون ، ولمثلها فليعمل العاملون .

إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم . وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم .

اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وجميع الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام على تتابع القرون . وأنكرها أهل البدع المارقون[1]، والجهمية المتهوكون[2] ، ....

(١) أهل البدع المارقون : هم الذين يزيدون أو يبتدعون في الدين ما لم يأمر به الله ولا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من أَحْدَث** [ابتدع] **في أمرنا** [يعنى ديننا] **هذا ما ليس منه فهو رَدّ** [أى مردود عليه] » متفق عليه . وقد وصفهم ابن القيم رحمه الله بأنهم مارقون أى خارجون ومبتعدون عن الدين لأنهم بأفعالهم هذه إنما يتهمون الله ورسوله بعدم إكمال الدين ويحسنون الظن بأنفسهم فيظنون أنهم يكملون الدين بهذه البدع التى لم يأذن بها الله ولم يعلّمها رسوله لأمته وقد قال الله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ .

(٢) الجهمية المتهوكون : التهوك هو التحير والتهور والوقوع في الشيء بدون مبالاة . والجهمية هي فرقة ضالة مبتدعة ادعى مؤسسها =

والباطنية[3] الذين هم من جميع الأديان منسلخون ، والرافضة[4] الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ، ومن حبل الله منقطعون ، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون ، وللسنة وأهلها محاربون ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون . وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون .

[الدليل الأول]

أخبر الله سبحانه عن أعلم الخلق به في زمانه وهو كليمه ونَجِيُّه وصَفِيُّه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال له ربه تبارك وتعالى : **﴿ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً ﴾** [١٤٣/٧] .

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة :

* أحدها : أنه لا يُظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه ، أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال . فيالله العجب كيف

= (جهم بن صفوان) أن الإيمان قول فقط بدون عمل مخالفاً جميع أهل السنة ، وادعى أيضاً أن الجنة والنار يفنيان ، وألحد في صفات الله تعالى فنفى كثيراً من الصفات التى وصف الله عز وجل بها نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٣) الباطنية : هم طائفة ضالة يدعون أن لكل شيء باطناً ، وهم وحدهم الذين يعلمون هذا الباطن ، وهم في الحقيقة ملاحدة كفرة لا يعترفون من شرائع الإسلام بشيء فلا صلاة ولا صيام ولا حج وهكذا فيدعون أنهم يتبعون الباطن وهم في الحقيقة كفار لا يعترفون بالرسل ولا الدين وشرائعه . وتطلق الباطنية أيضاً على الفرق التى لها تنظيمات سرية وطقوس خاصة بها مثل البهائية والبابية وبعض فرق الصوفية التى لا تلتزم بشرائع الإسلام .

(٤) الرافضة : هم الشيعة الذين زعموا أن لأئمتهم الإثنى عشر خلافة تكوينية تخضع لها جميع ذرات هذا الكون . وزعموا أيضاً أن الأئمة الإثنى عشر لهم مكانة سامية ومنزلة عالية لا يبلغها نبي مرسل ولا ملك مُقَرَّب . ويسبون الصحابة رضي الله عنهم ويكفرونهم ويفترون على زوجات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ[٥] الجهمية والفرعونية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران ، وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيها له منه ؟!!.

* الوجه الثاني : أن الله سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ، ولو كان محالاً لأنكره عليه . ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ، ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله ، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال : ﴿ **إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [١١/٤٦ - ٤٧] .

* الوجه الثالث : أنه أجابه بقوله ﴿ **لَن تَرَانِي** ﴾ ولم يقل (لا تراني) ولا (إني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي) والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله . وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يُرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذا الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى .

* الوجه الرابع : وهو قوله ﴿ **وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** ﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خُلِقَ من ضعف .

* الوجه الخامس : أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت مُحَالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته .

* الوجه السادس : قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً** ﴾

---

(٥) فروخ : صغار الحيوانات والطيور والنبات - والمقصود هنا : تلاميذ وأتباع .

وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى ، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه ؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف .

* الوجه السابع : أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يُسْمِعَ مُخَاطِبَه كلامَه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم . وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين فأنكروا أن يكلم أحداً أو يراه أحد . ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه ، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ولكن أراه أن ما سأله لا يَقْدِر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه .

وأما قوله تعالى : ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد ، فكيف إذ أطلقت ؟ قال تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبداً ﴾ [٢/٩٥] مع قوله تعالى : ﴿ وَنَادَواْ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّك ﴾[٦] [٤٣/٧٧] .

الدليل الثاني

قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ مُّلَاقُوه ﴾ [٢/٢٢٣]
وقوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَام ﴾ [٣٣/٤٤] .
وقوله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّه ﴾ [١٨/١١٠] .

---

(٦) المقصود أن الله عز وجل قد أخبر أن اليهود لن يتمنوا الموت أبداً ، وأخبر عن أهل النار ومنهم اليهود أنهم سيقولون في عذاب النار : ﴿ يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ فدل ذلك على أن هذا القول منهم في عدم تمني الموت كان في الدنيا فقط رغم وجود لفظ ﴿ أبداً ﴾ فالمقصود به الدنيا فقط . والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُواْ اللهِ ﴾ [٢/٢٤٩] .

وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نُسِبَ إلى الحي السليم من العمى والمانع ، اقتضى المعاينة والرؤية .

ولا ينتقض هذا بقوله تعالى : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَه ﴾ [٩/٧٧] فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عَرَصَات القيامة بل والكفار أيضاً كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة[٧] وسيمر بك عن قريب إن شاء الله تعالى .

وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة :

* أحدها : أن لا يراه إلا المؤمنون .

* والثاني : يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك .

* والثالث : يراه المنافقون دون الكفار .

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد وهي لأصحابه وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في تكليمه لهم ، ولشيخنا في ذلك مُصَنَّفٌ مُفْرَد وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها . وكذا قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيه ﴾ [٨٤/٦] إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطوراً مثبتاً . وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاؤه الذي وعد به .

الدليل الثالث

قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَّشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون ﴾ [١٠/٢٥ - ٢٦] .

فالحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجهه الكريم . كذلك فسرها رسول الله

---

(٧) يأتي في هذا الباب ص ٢٧٧ برقم هامش ٤٣ .

صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي أُنزِلَ عليه القرآن فالصحابة من بعده .

روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب قال : « **قرأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، نادى مُنَادٍ : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه . فيقولون : ما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار ؟! فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، وهي الزيادة** »(٨) .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ قال : النظر إلى وجه الله الكريم(٩) .

وعن حذيفة ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ قال النظر إلى وجه ربهم تعالى .

وعن ابن عباس وابن مسعود ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ** ﴾ قال : أما الحسنى فالجنة ، وأما الزيادة فالنظر إلى وجه الله ، وأما القتر فالسواد .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمن

---

(٨) رواه مسلم باختلاف في عدة مواضع عن لفظ الحديث هنا ، في الإيمان ٢٩٧ ١/١٦٣ ولفظه « **إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل** » وبنحوه أحمد ٤/٣٣٢ ، ٣٣٣ ، والترمذي ٢٥٥٢ ٤/٥٩٣ ، وابن ماجة ١٨٧ ١/٦٧ ، وأما التصريح بأنها الزيادة فهي من رواية ابن أبي عاصم في (السنة) ٤٧٢ ١/٢٠٥ ، ٢٠٦ ، واللالكائي ٧٧٨ ٣/٤٥٥ .

(٩) رواه ابن أبي عاصم في (السنة) ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ١/٢٠٦ وقال الألباني في التخريج : حديث موقوف صحيح .

السدي والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو إسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر : الحسني الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى .
وقال غير واحد من السلف في الآية ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ بعد النظر إليه[10]. والأحاديث عنهم بذلك صحيحة .

ولما عطف سبحانه الزيادة على الحُسْنَى التي هي الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقَدْرٌ زائد عليها .

الدليل الرابع

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [١٥/٨٣] .

ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه ، فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه .

وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة ، فذكر الطبراني وغيره عن المزني قال : سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ : فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة .

وقال الربيع بن سليمان : حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله عز وجل ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ؟ فقال الشافعي : لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى . قال الربيع فقلت : يا أبا عبد الله وبه تقول ؟ قال : نعم وبه أُدِين[11] الله ، ولو لم

---

(١٠) المقصود بعد رؤيتهم لربهم .
(١١) أدين : أعبد .

يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عَبَدَ الله عز وجل .

الدليل الخامس

قوله عز وجل : ﴿ لَهُمْ مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيد ﴾ [٥٠/٣٥] .

قال الطبراني : قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك : (هو النظر إلى وجه الله عز وجل) ، وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره .

الدليل السادس

قوله عز وجل : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَار ﴾ [٦/١٠٣] .

والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النُفَاة ، وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه ، وقال لي : أنا ألتزم أنه لا يحتج مُبْطِلٌ بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله ، فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها ، فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية[١٢] وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يُمدَح به وإنما يُمْدَح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمر وجودياً كتمدحه بنفي السِنَة[١٣] والنوم المتضمن كمال القومية ، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفي اللغوب[١٤] والإعياء المتضمن كمال القدرة ، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير[١٥] المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره ، ونفي الأكل والشرب

---

(١٢) الأوصاف الثبوتية : الأوصاف التي تثبت صفات مثل : القوي - القادر - الحكيم - العليم - البصير ....

(١٣) السِنَة : الغفوة والغفلة .

(١٤) اللُّغُوب : الضعف .

(١٥) الظَّهِير : المُعِين .

المتضمن كمال الصمدية[16] وغناه ، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه ، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه ، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته ، ونفي المِثْل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ، ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه ، فلو كان المراد بقوله : ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَار** ﴾ أنه لا يُرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فإن العدم الصرف لا يُرى ولا تدركه الأبصار والرب جَلَّ جلاله يتعالى أن يُمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذاً المعنى أنه يُرى ولا يُدرك ولا يُحاط به ، كما كان المعنى في قوله : ﴿ **وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّة** ﴾ [١٠/٦١] أنه يعلم كل شيء ، وفي قوله : ﴿ **وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوب** ﴾ [٥٠/٣٨] أنه كامل القدرة ، وفي قوله : ﴿ **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً** ﴾ [١٨/٤٩] أنه كامل العدل ، وفي قوله : ﴿ **لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْم** ﴾ [٢/٢٥٥] أنه كامل القيومية .

فقوله : ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَار** ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لايُدْرَك بحيث يُحاط به ، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا** ﴾ [٢٦/٦١] فلم يَنْفِ موسى الرؤية ، ولم يريدوا بقولهم ﴿ **إِنَّا لَمُدْرَكُون** ﴾ إنا لمرئيون فإن موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله ﴿ **كَلَّا** ﴾ وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله ﴿ **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَىٰ** ﴾ [٢٠/٧٧]

---

(١٦) الصمدية : المقصود هنا : التفرد والاستغناء والقوة .

فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك كما يُعلم ولا يُحاط به .

وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية .

قال ابن عباس : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ لا تحيط به الأبصار .

وقال قتادة : هو أعظم من أن تدركه الأبصار .

وقال عطية : ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته ، وبصره يحيط بهم فذلك قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ . فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يَسمَعُ كلامَ من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه وهكذا يَعْلَمُ الخَلقُ ما عَلَّمَهُمْ ولا يحيطون بعلمه .

الدليل السابع

قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٧٥/٢٢ - ٢٣] .

وأنت إذا أجَرْت[١٧] هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها ، وجدتها منادية نداءً صريحاً أن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة ، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلاً ، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص ، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا .

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية ، وتعديته بأداة (إلى)

---

(١٧) أجرت : حميت ومنعت .

الصريحة في نظر العين ، وإخلاء الكلام من قرينة – تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته وموضوعه – صريح فى أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه :

* فإن عُدِّي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله : ﴿ **انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ** ﴾ [١٣/٥٧] .

* وإن عُدِّي بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله : ﴿ **أَوَ لَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [١٨٥/٧] .

* وإن عدي بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله : ﴿ **انظُرُواْ إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ** ﴾ [٩٩/٦] ، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ؟! .

عن الحسن قال : نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فَنَضَرَت[١٨] بنوره .

وعن ابن عباس ﴿ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَة** ﴾ قال : تنظر إلى وجه ربها عز وجل .

وقال عكرمة : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة** ﴾ قال : من النعيم ﴿ **إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَة** ﴾ قال : تنظر إلى ربها نظراً ، ثم حكى عن ابن عباس مثله . وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث .

فصل : [أحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في رؤية المؤمنين لربهم]

وأما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة[١٩] رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري،

---

(١٨) نَضَرَت : تنعمت وحسنت وأشرقت . (وفي الأصل : نظرت – والتصحيح من تفسير الطبري ١٩٢/٢٩) .

(١٩) متواترة : أي أحاديث كثيرةمتعددة جاءت من طرق كثيرة فيلزم منها الحكم بالقطع والثبوت لهذا الحديث أو المعنى .

وجرير بن عبد الله البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبد الله بن مسعود الهذلي وأبو موسى الأشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الأنصاري وأبو رزين العقيلي ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وعمار بن ياسر ، وفضالة بن عبيد .

فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن ، وتَلَقَّهَا بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل ، ولا تكذب بها فمن كَذَّبَ بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين ، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين .

فصل : حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه [في أهوال القيامة وفضل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشفاعته وسعة رحمة الله]

عن أبي بكر الصديق قال : « **أصبح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات يوم فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب ، كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة ، ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبي بكر : ألا تسأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط ، قال فسأله فقال : نعم عُرِضَ عليَّ ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة ، فجُمِعَ الأولون والآخرون في صعيد واحد ، فَفَظِعَ[20] الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم صلى الله عليه وسلم والعرق يكاد يُلَجِّمُهم[21] ، فقالوا : يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك ، قال : لقد لقيت**

(٢٠) فَظِعَ : استعظم الأمر وضاق .

(٢١) يلجمهم : يبلغ أفواههم .

مثل الذي لقيتم انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَىٰ العَالَمِينَ ﴾ [٣/٣٣] ، قال فينطلقون إلى نوح صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيقولون : اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يَدَع على الأرض من الكافرين دَيَّاراً ، فيقول : ليس ذاكم عندي ، انطلقوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم فإن الله اتخذه خليلاً ، فينطلقون إلى إبراهيم فيقول : ليس ذاكم عندي ، انطلقوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل كَلَّمَه تَكْلِيماً ، فيقول موسى صلى الله عليه وسلم : ليس ذاكم عندي ، انطلقوا إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فإنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ، فيقول عيسى : ليس ذاكم عندي ، انطلقوا إلى سيد ولد آدم انطلقوا إلى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل ، قال فينطلق فيأتي جبريلُ ربَّه تبارك وتعالى ، فيقول له الله عز وجل : ائذن له وبشره بالجنة ، فينطلق به جبريل صلى الله عليه وسلم ، فيخر ساجداً قدر جمعةٍ ، ويقول الله عز وجل : ارفع رأسك وقُلْ تُسْمَعْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ ، قال فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خَرَّ ساجداً قدر جمعةٍ أخرى فيقول الله عز وجل : ارفع رأسك وقُلْ تُسْمَعْ واشْفَع تُشَفَّعْ ، قال فيذهب ليقع ساجداً فيأخذ جبريل بضبعيه[٢٢]، فيفتح الله عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشر قط ، فيقول : أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر ، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر ، حتى إنه لَيَرِدُ عَلَيَّ الحوض أكثر مما بين صنعاء وأَيْلَة ، ثم يقال : ادعوا الصديقين فيشفعون ، ثم يقال : ادعوا الأنبياء ، قال فيجيء النبي ومعه العصابة ، والنبي ومعه الخمسة والستة ، والنبي وليس معه أحد ، ثم يقال : ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا ، قال فإذا فعلت الشهداء

---

(٢٢) ضَبْعيه : الضَّبْعُ هو أعلى العضد .

ذلك ، قال فيقول الله عز وجل : أنا أرحم الراحمين ، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئاً ، قال فيدخلون الجنة ، قال ثم يقول الله عز وجل : انظروا في أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيراً قط ؟ قال فيجدون في النار رجلاً فيقولون له : هل عملت خيراً قط ؟ فيقول : لا ، غير أني كنت أسامح الناس في البيع ، فيقول الله عز وجل : اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي ، ثم يُخرجون من النار رجلاً يقول له : هل عملت خيراً قط ؟ فيقول : لا ، غير أني أمرت ولدي إذا مِتُّ فأحرِقُوني في النار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذروني[23] في الريح ، فوالله لا يقدر عليَّ رب العالمين أبداً ، فقال الله عز وجل له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من مخافتك ، قال فيقول الله عز وجل : انظر إلى مُلْكِ أَعْظَم مَلِكٍ فإن لك مثله وعشرة أمثاله ، قال فيقول : أتسخر بي وأنت المَلِكُ ، قال وذلك الذي ضحكت منه من الضحى »[24] .

فصل : حديث أبي هريرة وأبي سعيد [في أهوال القيامة ومعرفة المؤمنين لربهم ونعيم آخر من يدخل الجنة]

في الصحيحين من حديث أبي هريرة : « أن ناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا ، قال : فإنكم ترونه كذلك ، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : مَن كان يَعْبُدُ

---

(٢٣) فاذروني : انثروني .

(٢٤) رواه أحمد ٤/١ ، ٥ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٤/١٠ : رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار ورجالهم ثقات اهـ . وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر في المسند ١٥ ١٦١/١ .

شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت[٢٥] الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ، ويُضْرَب الصِرَاط بين ظَهْرَاني[٢٦] جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ ، وفي جهنم كلاليب[٢٧] مثل شوك السعدان[٢٨] هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل ، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق[٢٩] بعمله ، ومنهم المُجَازَى حتى ينجو ، فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يُخرِج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يُخرِجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله ،

---

(٢٥) الطواغيت : جمع طاغوت وهو كل ما عبد من دون الله ، وكل من تعدى مكانه كمخلوق وعبد لله. ولا يؤمن المسلم إلا بالكفر بالطاغوت ، يقول الله عز وجل :
﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾
و ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .
والطواغيت كثيرة ورءوسهم : الشيطان الداعي لعبادة غير الله وكل شر ، والحاكم المغير لدين الله وأحكام الشرع ، ومن يدعي علم الغيب ، ومن يُعْبَدُ من دون الله وهو راضٍ بالعبادة .

(٢٦) ظَهْرَانَي : طرفي .

(٢٧) كلاليب : خطاطيف .

(٢٨) السعدان : هو نبات من نباتات المراعي له شوك من كل الجوانب .

(٢٩) الموبق : المحبوس أو المُهْلَك .

فيعرفونهم بأثر السجود ، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امْتَحَشُوا[٣٠] ، فَيُصَبُّ عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حَمِيل السيل[٣١]، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل مُقْبِل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة فيقول : أي رب ، اصرف وجهي عن النار فإنه قد قَشَبَنِي[٣٢] ريحها وأحرقني ذَكَاؤُها[٣٣] فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ، ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلتُ ذلك أن تسألَ غيره ، فيقول : لا أسألك غيره ، فيُعْطِي رَبَّه من عهود ومواثيق ما شاء الله ، فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول : أي رب، قدمني إلى باب الجنة فيقول الله : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك !! فيقول : أى رب ، فيدعو الله حتى يقول له : فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره ؟ فيقول : لا ، وعزتك فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له فرأى ما فيها من الخير والسرور فسكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم يقول : أي رب أدخلني الجنة ، فيقول الله تبارك وتعالى له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير ما أُعطِيتَ ، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك ؟! فيقولِ : أي رب ، لا أكون أشقى خلقك ، فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه ، فإذا ضحك الله منه قال : ادخل الجنة ، فإذا دخلها قال الله له : تَمَنَّ ، فيسأل ربه ويتمنى

---

(٣٠) امتحشوا : احترقوا

(٣١) حميل السيل : هو ما يحمله السيل من طين وتراب ويكون من أفضل ما ينمو فيه النبات .

(٣٢) قشبني : آذاني وسَمَّني.

(٣٣) ذكاؤها : لهبها ووهجها .

حتى إن الله ليذكره فيقول : تمن كذا وكذا ، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل : ذلك لك ومثله معه ، قال أبو سعيد : وعشرة أمثاله معه ، قال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة »[٣٤] .

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي سعيد الخدري « أن ناساً في زمن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله ؟ قال : ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة ؟ إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، إذا كان يوم القيامة أَذَّنَ مؤَذِّن : ليَتَّبِعَ كُلُ أمةٍ ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحدٌ كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبَّرات[٣٥] أهل الكتاب ، فتُدْعَى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عُزَيْر ابن الله ، فيقال : كذبتم ، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فَاسْقِنَا فيُشَارُ إليهم : ألا تَرِدُون ؟[٣٦] فيُحشَرون إلى النار كأنها سراب يحطِمُ بعضها بعضاً فيتساقطون في النار ، ثم تُدْعَى النصارى

---

(٣٤) متفق عليه : رواه البخاري في الأذان ٨٠٦ ٣٤١/٢ ، وفي الرقاق ٦٥٧٣ ، ٦٥٧٤ ٤٥٣/١١ ، ٤٥٤ ، وفي التوحيد ٧٤٣٧ ، ٧٤٣٨ ، ٧٤٣٩ ٤٣٠/١٣ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ باختلاف يسير فى الروايات ، ومسلم في الإيمان ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ١٦٣/١ - ١٧١ .

(٣٥) غبرات : بقايا .

(٣٦) ألا تردون : ألا تشربون وتأتون .

فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فَاسْقِنَا ، قال فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يَحْطِمُ بعضها بعضاً[٣٧] فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بَرّ وفاجر ، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها ، قال : فما تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً ، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها ، فيقولون : نعم . فيُكْشَفُ عن ساقٍ فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقةً واحدةً[٣٨] كلما أراد أن يسجد خَرَّ على قفاه ، ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ، قيل : يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : دَحْض مَزَلَّة[٣٩] ، فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والرِكاب ، فناجٍ مُسَلَّم ، ومَخْدُوش مُرْسَل ، ومكدوس[٤٠] في نار جهنم . حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي

---

(٣٧) يحطم بعضها بعضاً : تتلاطم أمواج لهبها فكأنها تكسر وتهلك بعضها .

(٣٨) طبقة واحدة : الطبق هو فقرات الظهر والمعنى : يصير ظهره كأنه فقرة واحدة كالصفيحة .

(٣٩) دحض مزلة : تزل فيه الأقدام وتنزلق من عليه .

(٤٠) مكدوس : ساقط .

نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدةً في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عَرَفْتُمْ ، فيحرم صورهم على النار ، فيُخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه ، فيقولون : ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا ، فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من خير فأخرجوه ، فيُخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نَذَرْ فيها ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نَذَرْ فيها ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذَرَّةٍ من خير فأخرجوه ،فيُخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نَذَرْ فيها خيراً قط ، وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [٤/٤٠]فيقول الله عز وجل : شفعتِ الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضةً من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حُمَماً[٤١] ، فيلقيهم في نهر في أفواه[٤٢] الجنة يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ، فقالوا : يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال فَيَخْرُجُون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم ، يعرفهم أهل الجنة فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عملٍ عملوه ، و لا خير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة ، فما رأيتموه فهو لكم ،

(٤١) حمماً : فحماً .
(٤٢) أفواه : أوائل .

فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول : لكم عندي أفضل منَ هذا ، فيقولون : يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول تعالى : رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً »[٤٣] .

فصل : حديث جرير بن عبد الله [في بشارة المُصَلِّين برؤية ربهم]

في الصحيحين عنه قال : « كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة ، فقال : إنكم سترون ربكم عِيَاناً[٤٤] كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب[٤٥] فافعلوا ، ثم قرأ قوله ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ »[٤٦] [٣٩/٥٠] .

وشهد جرير بن عبد الله على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكأنك تسمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يقوله ويبلغه لأمته ولا شيء أقر لأعينهم منه .

وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ

---

(٤٣) متفق عليه رواه البخاري في التوحيد ٤٧٣٩ ٤٣١/١٣ بنحوه ، ومسلم في الإيمان ٣٠٢ ١٦٧/١ ، وأصلحت بعض السقط في الأصل في موضع إخراج المسلمين لإخوانهم من النار .

(٤٤) عياناً : بواسطة العيون .

(٤٥) المقصود بصلاة قبل طلوع الشمس : صلاة الصبح ، وصلاة قبل غروب الشمس : صلاة العصر وفي هذا بيان لأهمية هاتين الصلاتين اللتين يتهاون بهما كثير من الناس اليوم . يفضلون النوم أو الكسل أو الراحة عليهما . وكأن الذي فرض هاتين الصلاتين ليس هو الحكيم العليم الخبير اللطيف .

(٤٦) متفق عليه : رواه البخاري في مواقيت الصلاة ٥٥٤ ٤٠/٢ ، ٥٧٣ ٦٣/٢ ، ومسلم في المساجد ٢١١ ٤٣٩/١ .

الصابئة والمجوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم وتابَعَهُمْ على ذلك كل عدو للسنة وأهلها ، والله تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون .

فصل : حديث صهيب [في زيادة نعيم أهل الجنة]

رواه مسلم في صحيحه من حديث صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله عز وجل : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ يقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتُنَجِّنا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب ، فما أُعْطُوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ، ثم تلا هذه الآية ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾** »[٤٧].
وهذا حديث رواه الأئمة وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق .

فصل : حديث عبد الله بن مسعود [في أهوال القيامة والصراط ، ونعيم أدنى أهل الجنة ، وعذاب جهنم]

عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ، ينتظرون فصل القضاء ، قال وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي مناد : أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولي كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا ؟ أليس ذلك عدلاً من ربكم ؟ قالوا : بلى ، قال فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا ، قال فينطلقون ويمثل لهم**

---

(٤٧) سبق تخريجه في هذا الباب ص ٢٦٣ برقم هامش ٨ .

أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ويمثل لمن كان يعبد عُزَيْراً شيطان عُزَيْر ، ويبقى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمته فيأتيهم الرب عز وجل فيقول : ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس ؟ قال فيقولون : إن لنا إلهاً ما رأيناه بعد ، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه ؟ فيقولون : إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه ، قال فيقول : ما هي ؟ فيقولون : يكشف عن ساقه ، فعند ذلك يكشف عن ساقٍ فَيَخِرُّون له سُجَّداً ، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر(٤٨) يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ، ثم يقول : ارفعوا رءوسكم فيرفعون رءوسهم ، فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يُعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم ، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك ، ومنهم من يُعطى نوراً مثل النخلة بيمينه ، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك ، حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة فإذا أضاء قَدَّمَ قَدَمَه ومشى ، وإذا طفيء قام ، والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحَدِّ السيف ، قال ويقول : مروا ، فيمرون على قدر نورهم : منهم من يمر كطرف العين ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالسحاب ، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشَدّ(٤٩) الفرس ، ومنهم كشَدّ الرجل ، حتى يمر الذى أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ، تجر يدٌ وتعلق يدٌ وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار ،

---

(٤٨) صياصي البقر : قرون البقر .

(٤٩) شَدّ : عَدْو وجَرْي .

فلا يزال كذلك حتى يخلص ، فإذا خلص وقف عليها ثم قال : الحمد لله ، لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد أن رأيتها ، قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة ، فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم ، فيرى ما في الجنة من خِلَال الباب ، فيقول : رب أدخلني الجنة . فيقول الله تبارك وتعالى له : أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار ؟ فيقول : يارب اجعل بيني وبينها حجاباً لا أسمع حسيسها(٥٠)، قال فيدخل الجنة ، قال ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأنما الذي هو فيه إليه حلم ليدخله ، فيقول:رب أعطني ذلك المنزل ، فيقول : فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ، فيقول : لا ، وعزتك لا أسأل غيره ، وأي منزل يكون أحسن منه ؟! قال فيعطاه فينزله ، قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله ، فيقول : رب أعطني ذلك المنزل ، فيقول الله عز وجل : فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ، فيقول : لا ، وعزتك لا أسأل غيره وأي منزل يكون أحسن منه ؟ قال فيعطاه فينزله ، قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذي هو فيه إليه حلم فيقول : رب أعطني ذلك المنزل ، فيقول الله جل جلاله : فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ، قال : لا ، وعزتك لا أسأل غيره وأي منزل يكون أحسن منه ؟! قال فيعطاه فينزله ثم يسكت ، فيقول الله عز وجل : مالك لا تسأل ؟ فيقول : رب لقد سألتك حتى استحييتك ، وأقسمت لك حتى استحييتك ، فيقول الله عز وجل : ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه ؟ فيقول : أتستهزيء بي وأنت رب العزة فيضحك الرب عز وجل من قوله ، - قال فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغت هذا المكان ضحكت ، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله

---

(٥٠) حسيسها : صوتها .

عليه وعلى آله وسلم يحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغ هذ المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه - قال فيقول الرب عز وجل : لا ، ولكني على ذلك قادر ، سَلْ ، فيقول : ألحقني بالناس ، فيقول : الحق بالناس ، قال فينطلق يَرْمُلُ في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من دُرَّةٍ فيَخِرُّ ساجداً ، فيقال له : ارفع رأسك ، مالك ؟ فيقول : رأيت ربي أو تراءى لي ربي ، فيقال له : إنما هو منزل من منازلك ، قال ثم يلقى فيها رجلاً فيتهيأ للسجود ، فيقال له : مه مالك ؟ فيقول : رأيت أنك ملك من الملائكة ، فيقول له : إنما أنا خازن من خُزَّانِك ، عَبْدٌ من عبيدك تحت يدي ألف قهرمان[٥١] على مثل ما أنا عليه ، قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر ، قال وهو في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها ، تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء ، كل جوهرة تُفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى ، في كل جوهرة سُرُر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها ، كبدها مرآته وكبده مرآتها ، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفاً عما كانت قبل ذلك ، فيقول لها : والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً ، فتقول له : والله والله وأنت لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً ، فيقال له : أشرِفْ ، قال فيُشرِف فيقال له : ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره . قال فقال عمر : ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلاهم ؟ .

قال كعب : يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، إن الله عز وجل جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه ، لا جبريل ولا غيره من الملائكة ، ثم قرأ كعب

---

(٥١) قهرمان : خازن أو وكيل . وهي كلمة فارسية معربة .

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧/٣٢]
، قال وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ، ثم قال من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه ، فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون : واهاً لهذا الريح ، هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه .

فقال : ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت[٥٢] فاقبضها[٥٣] .

فقال كعب : والذي نفسي بيده إن لِجَهَنَّم يوم القيامة لزفرة[٥٤] ما يبقى من ملك مقرب و لا نبي مرسل إلا يَخِرُّ لركبتيه حتى إن إبراهيم خليل الله يقول : رب نفسي نفسي ، حتى لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أنك لا تنجو »[٥٥] .

هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدارقطني في كتاب الرؤية .

فصل : حديث أبي موسى [في رؤية المؤمنين لربهم في جنة عدن]

في الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **جنتان**

---

(٥٢) استرسلت : انبسطت وأستأنست وأمنت .

(٥٣) فاقبضها : فخوفها وازجرها لئلا تقع في الغفلة والغرور .

(٥٤) زفرة : صوت شديد من توقد النار .

(٥٥) قال المنذري في الترغيب والترهيب ١٧ ٤/٩٣٤ ٩٤٠ رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم هكذا عن ابن مسعود، وآخره من قوله « إن الله جلّ ذكره خلق داراً » إلى آخره موقوفاً على كعب . وأحد طرق الطبراني صحيح واللفظ له ، وقال الحاكم صحيح الإسناد . وهو في مسلم بنحوه باختصار عنه اهـ . وعزاه العراقي في تخريج الإحياء ٤١٠٨ لابن عدي والحاكم ، وحَسَّن إسناده محقق كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ١٢٠٣ ٢/٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ .

من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »[٥٦] .

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكاً يوم القيامة »[٥٧] .

فصل : حديث عدي بن حاتم [وبشارة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم]

في صحيح البخاري قال : « بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال : يا عدي هل رأيت الحِيرَة ؟ قلت : لم أرها وقد أُنبِئتُ عنها ، قال : فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله - قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دعار طيء[٥٨] الذين سَعَّرُوا[٥٩] البلاد ؟ - ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كِسْرَى ، قلت : كسرى بن هُرْمُز ؟ قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقول : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول : ألم أعطك مالاً

---

(٥٦) سبق تخريجه في الباب الخامس عشر ص ٨٩ برقم هامش ٣ .

(٥٧) رواه أحمد ٤٠٧/٤ ، وصحح الألباني هذه الجملة من الحديث لشواهدها في الصحيحة ٧٥٥ .

(٥٨) دُعَّار طيء : دعار جمع داعر وهو المفسد الفاسق ، وطيء : قبيلة عدي بن حاتم .

(٥٩) سعروا البلاد : أفسدوا البلاد .

وأُفْضِل عليك ؟ فيقول : بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم . قال عدي بن حاتم : سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة ، قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم »[٦٠] .

فصل : حديث أنس بن مالك [في شفاعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم القيامة]

في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك – وفي لفظ فيلهمون لذلك – فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ؟ فيأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول : لست هناكم ، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله عز وجل ، قال فيأتون نوحاً فيقول : لست هناكم ، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً ، فيأتون إبراهيم فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليماً وأعطاه التوراة ، فيأتون موسى فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول : لست هناكم ،**

(٦٠) رواه البخاري في المناقب ٣٥٩٥ ٦/٧٠٦،٧٠٧ .

ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل تُسمَع ، وسل تُعطَ ، واشفع تُشَفَّع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميدٍ يعلمنيه ربي ، فأشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال : ارفع رأسك يا محمد وقل تُسمع وسل تُعط، واشفع تُشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيَحُدُّ لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، قال فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فأقول: يارب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، أي وجب عليه الخلود»[٦١].

ورؤية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لربه في هذا المقام ثابتة ثبوتاً يقطع به أهل العلم بالحديث والسنة ، وفي حديث أبي هريرة:« **أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر ، آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي ، فيستقبلني وجه الجبار جل جلاله فَأَخِرُّ له ساجداً** »[٦٢].

وعن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **أتاني جبريل وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها ، فيها كالنكتة السوداء ، فقلت : ما هذا التي في يدك يا جبريل ؟ فقال : هذه الجمعة ،**

---

(٦١) متفق عليه : رواه البخاري في التفسير ٤٤٧٦ ٨/١٠، ومسلم في الإيمان ٣٢٢ ١/١٨٠.

(٦٢) لم أجد الحديث بهذا اللفظ عن أبي هريرة ولكن لبعض شواهده في الصحيحين ، وأما أقرب النصوص لنص الحديث فهو حديث أنس عند الدارمي ١/٢٧١ وأحمد ٣/١٤٤ ولفظ أحمد : « **إني لأول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر ، وأعطى لواء الحمد ولا فخر ، وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر ، وإني آتي باب الجنة فآخذ بحلقتها ، فيقول: من هذا؟ فيقول: أنا محمد، فيفتحون لي فأدخل فإذا الجبار عز وجل مستقبلي فأسجد له...** » وقال عنه الألباني في الصحيحة ١٥٧١: وسنده جيد، رجاله رجال الشيخين اهـ.

قلت : وما الجمعة ؟ قال : لكم فيها خير كثير ، قلت : وما يكون لنا فيها ؟ قال : يكون عيداً لك ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعاً لك ، قلت : وما لنا فيها ؟ قال : لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبدٌ فيها شيئاً هو له قِسْمٌ ، إلا أعطاه إياه ، أو ليس له بقِسْمٍ إلا ذُخِر له في آخرته ما هو أعظم منه ، قلت : ما هذه النكتة التي هي فيها ؟ قال : هي الساعة ، ونحن ندعوه يوم المزيد ، قلت : وما ذاك يا جبريل ؟ قال : إن ربك اتخذ في الجنة وادياً فيه كثبان من مسكٍ أبيضٍ ، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه ، فيحف الكرسي بكراسي من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ، ويحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مُكَلَّلة بالجواهر ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان ، ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول : أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي ، فسلوني . فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم ، فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ، ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ، وهي لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء ، غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها ، فليسوا إلى شيء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظراً إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة »[٦٣] .

هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجَمَّل به الشافعي مسنده .

فصل : حديث أبي رزين العقيلي [في رؤية جميع المؤمنين لربهم يوم القيامة]

عن أبي رزين قال : « قلنا : يا رسول الله أكُلُّنا يرى ربه عز وجل يوم

(٦٣) سبق تخريجه في الباب الرابع والخمسين ص ٢٤٥ برقم هامش ٥ .

القيامة ؟ قال : نعم ، قلت : وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر ؟ قلنا : نعم ، قال : الله أكبر وأعظم »[٦٤] .

فصل : حديث جابر بن عبد الله [في أحوال القيامة والشفاعة]

قال أبو الزبير أنه سمع جابرا يسأل عن الورود فقال : « نحن يوم القيامة على كذا وكذا - أي فوق الناس - فتُدعَى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد ، الأول فالأول ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : ومن تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر ربنا ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ، فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك ، قال فينطلق بهم ويتبعونه ويُعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ، ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ، ثم يُطفَأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفاً لا يحاسبون ، ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم في السماء ثم كذلك ، ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شَعِيرَة فيُجعَلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء في السيل ويذهب حُرَاقُه،ثم يسأل حتى يجعل الله له الدنيا وعشرة أمثالها معها»[٦٥].
رواه مسلم في صحيحه وهذا الذي وقع في الحديث من قوله : « على كذا وكذا » قد جاء مفسراً في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين « نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق » .

---

(٦٤) رواه أحمد ٤/١١ ، وأبو داود في السنة ٤٧٣١ ٥/٩٩ ، وابن ماجة في المقدمة ١٨٠ ١/٦٤ وبنحوه عند ابن خزيمه في التوحيد ص ١٧٨ ، وحسنه الألباني في (ظلال الجنة) ٤٥٩ ، ٤٦٠ وفي صحيح ابن ماجة ١٥٠ ١/٣٦ .

(٦٥) رواه أحمد ٣/٣٨٣،٣٤٥ بنحوه ، وعند مسلم بنحوه في الإيمان ٣١٦ ١/١٧٧ .

[حديث جابر في فضل والده الشهيد]

[وعن جابر قال : « لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام[٦٦] يوم أُحُد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك ؟ قال : بلى ، قال : ما كلم الله عز وجل أحداً إلا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحاً[٦٧] ، فقال : يا عبدي تَمَنَّ عليّ أعطِك ، قال : يارب تحييني فأُقْتل فيك ثانية ، قال : إنه قد سبق مني إنهم إليها لا يرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورائي فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً﴾الآية »[٦٨]. [١٦٩/٣] قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، قلت : وإسناده صحيح ورواه الحاكم في صحيحه][٦٩] .

فصل : حديث عمار بن ياسر [عن دعاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم]

عن أبي مجلز قال : « صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها ، فأنكروا ذلك ، فقال : ألم أتم الركوع والسجود ؟ قالوا : بلى ، قال : أما إني قد دعوت فيها بدعاءٍ كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو به : اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ،

---

(٦٦) عبد الله بن عمرو بن حرام : هو والد جابر بن عبد الله الأنصاري راوي الحديث .

(٦٧) كفاحاً : مواجهة .

(٦٨) رواه الترمذي في تفسير القرآن ٣٠١٠ ٢١٤/٥ ، وابن ماجة في المقدمة ١٩٠ ٦٨/١ ، وصححه الألباني في ظلال الجنة ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، وحسنه في صحيح ابن ماجة ١٥٧ ٣٨/١ .

(٦٩) ما بين القوسين ليس من أصل هذا الفصل وإنما هو في فصل حديث عائشة ولكن أوردته هنا لضعف حديث عائشة ومناسبته أيضاً لحديث جابر .

وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي ، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مُضرة ولا فتنة مُضلة . اللهم زَيِّنَّا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين »[٧٠] .

فصل : حديث فضالة بن عبيد [عن دعاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم]

عن أم الدرداء أن فضالة يعني ابن عبيد كان يقول : « **اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، في غير ضراء مُضرة ولا فتنة مُضِلَّة [وزعم أنها دعوات كان يدعو بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم »**[٧١]][٧٢]

فصل : حديث عُبادة بن الصامت [عن المسيح الدجال]

عن عُبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال**[٧٣]

---

(٧٠) رواه أحمد ٤/٢٦٤ ، والنسائي في السهو ٣/٥٤ ، ٥٥ وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب ١٠٥ وفي صحيح الجامع الصغير ١٣٠١ .

(٧١) رواه ابن أبي عاصم في (السنة) ٤٢٧ ، واللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) ٨٤٧ ٣/٤٩١ – وصححه الألباني في ظلال الجنة ٤٢٧ .

(٧٢) ما بين القوسين ليس من الأصل وإنما رأيت إكمال الحديث للفائدة وإثبات رفع الحديث .

(٧٣) المسيح الدجال : هو دجال يخرج قريباً من قيام الساعة ويكون له قوة عظيمة وسلطة وهو من الفتن التى تظهر قبل يوم القيامة ويتميز فيها المسلم الصادق من المنافق ويعطيه الله من الإمكانيات أنه يظهر كنوز الأرض ويأمر السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت ، ويجيء معه بشبيه الجنة والنار فأما جنته فهي نار حقيقية=

رجل قصير أفحج[٧٤] جعد[٧٥] أعور مطموس العين ،[٧٦] ليست بناتئة[٧٧] ولا جحراء[٧٨] ، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور ، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا »[٧٩] .

فصل : [أقوال] بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

قرأ أبو بكر الصديق ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [١٠/٢٦] فقالوا : ما الزيادة يا خليفة رسول الله ؟ قال : النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

= وأما ناره فهي ماء بارد عذب . ويمكث في الأرض أربعين يوماً ، ثم يبعث الله المسيح الحقيقي عيسى ابن مريم فينزل من السماء ثم يقتل المسيح الدجال بقرية باب لد (قرب بيت المقدس) .

وهذا الدجال هو أحد الدجاجلة الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث أبي هريرة « **لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون ، قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله** » رواه مسلم . وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحذر أمته من فتنة المسيح الدجال ، كما في حديث عبادة بن الصامت هذا وأمر صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالتعوذ من فتنته في دبر الصلاة قبل التسليم .

(٧٤) أفحج : الفحج هو تباعد ما بين الفخذين .

(٧٥) جعد : خشن الشعر .

(٧٦) مطموس العين : ممسوح العين .

(٧٧) ناتئة : بارزة .

(٧٨) جحراء : منخسفة أي غائرة .

(٧٩) رواه أحمد ٣٢٤/٥ ، وأبو داود في الملاحم ٤٣٢٠ ٤٩٥/٤ وقال الألباني في (ظلال الجنة) ٤٢٨ : إسناده جيد . رجاله ثقات اهـ .

قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته .

قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :

الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى .

قول عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم :

الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل .

قول معاذ بن جبل :

يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادى : أين المتقون فيقومون في كنف واحد من الرحمن ، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر ، قلت : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة فيمرون إلى الجنة .

قول أبي هريرة رضي الله عنه :

لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت .

قول أبي موسى الأشعري :

عن أبي موسى الأشعري أنه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم فقال : ما صرف أبصاركم عني ؟ قالوا : الهلال ، قال : فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة[٨٠] .

قال الطبري : تحصل في الباب ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفساً ، منهم علي وأبو هريرة وأبو سعيد وجرير وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس وأنس وعمار بن ياسر وأبي بن كعب ، وابن مسعود وزيد بن ثابت

(٨٠) رواه ابن خزيمة في التوحيد ص ١٨٠ ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في (السنة) ٤٦٥ ٢٥٣/١، ٢٥٤ .

وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعدي بن حاتم وأبو رزين العقيلي وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وبريدة بن الحصيب ورجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وقال البيهقي : روينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي موسى وغيرهم ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنُقِلَ اختلافهم في ذلك إلينا ، فلما نُقِلَت رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار في الآخرة عنهم ولم يُنْقَل عنهم في ذلك اختلاف ، علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين ومجتمعين[٨١] .

فصل : [أقوال التابعين]

وأما التابعون ونزل الإسلام وعِصَابَة الإيمان من أئمة الحديث والفقه والتفسير فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله عز وجل .

قال سعيد بن المسيب والحسن وعبد الرحمن بن أبي ليلي : الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى .

وقاله عامر بن سعد البجلي وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وكعب .

وقال الحسن : لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا .

وقال كعب : (ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قط إلا قال : طيبي لأهلك فزادت ضعفاً على ما كانت حتى يأتيها أهلها ، وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة ، فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى

(٨١) باختصار من عبارة البيهقي رحمه الله .

فينظرون إليه وتسفي[٨٢] عليهم الريح المسك ، ولا يسألون الرب تعالى شيئاً إلا أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفاً ، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك)[٨٣] .

وقال عباد بن العوام : قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة ، فقلت له : يا أبا عبد الرحمن إن عندنا قوماً من المعتزلة[٨٤] ينكرون هذه

---

(٨٢) تسفي : تنثر .

(٨٣) رواه الآجري في « التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة » ٣ ص ٣٠ ، ٣١ ، وصحح المحقق إسناده إلى كعب الأحبار .

(٨٤) المعتزلة : طائفة ضالة مبتدعة ظهرت بعد الجيل الأول وتأسست على يد واصل بن عطاء المولود في سنة ٨١ هـ ثم زاد ضلالهم وابتعادهم شيئاً فشيئاً عن عقائد الإسلام الصافية النقية . وتدخلوا بأهوائهم الضالة في صفات الله عز وجل فنفوا بعضها وجحدوا بعضها وحرفوا بعضها ونفوا أيضاً رؤية الله في الآخرة بالرغم من وضوح الآيات وثبوت الأحاديث واستفاضتها بذلك ، وحكموا أيضاً بأن من يرتكب كبيرة فهو ليس بمؤمن ولا كافر وإنما هو في منزلة بين المنزلتين وإنه إن مات على ارتكاب الكبيرة فهو خالد مخلد في نار جهنم مخالفين أهل السنة والجماعة في هذا . وقد عظموا العقل تعظيماً شديداً حتى أنهم جعلوه حَكَماً على الوحي الإلهي وعلى مقام الرسالة والنبوة فكل ما يأتيهم من الشرع يعرضونه على عقولهم وآرائهم فإن وافقت عقولهم القاصرة قبلوه ، وإن لم تقبله نبذوه وراء ظهورهم ، ولا تظن أن هذه الطائفة ذهبت واندثرت بل هي موجودة حتى الآن فى هذا العصر في كل من يعظمون العقل ويجعلونه حجة في كل شيء مثل كثير من الفلاسفة والأدباء والمفكرين والصحافيين والمثقفين بل وبعض الشيوخ وعلماء السوء والمفكرين الإسلاميين الذين يطلقون عليهم (المستنيرين) ممن لا هم لهم إلا تحريف الآيات والأحاديث وإسباغ صفة الإسلام على كل أمر جاهلي ، فكل هؤلاء من ذيول المعتزلة التى تركت الشرع واتبعت الأهواء والآراء وقدمتها على دين الله الخالص ، ناسية ومتناسية الهدي الإلهي المتمثل في الوحي الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهذا كله من جراء استعمال العقل فيما لا يصلح له ، فالله عز وجل مدح أولي الألباب وقال في مواطن عدة ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ و ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾ فالعقل البشري =

الأحاديث « **إن الله ينزل إلى سماء الدنيا** »[٨٥] و « **إن أهل الجنة يرون ربهم** » فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا ، وقال : أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهم عمن أخذوا[٨٦] ؟

قال عقبة بن قبيصة : أتينا أبا نعيم يوماً فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب ، فقال : حدثنا سفيان بن سعيد بن منذر

= مهمته البحث والتنقيب و التفكر في دلائل عظمة الله وكذلك في عمارة الأرض وتحقيق الخلافة التي خلقه الله من أجلها ، فإذا قبل الإنسانُ الإسلام وارتضاه ديناً وآمن بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم رسولاً فعليه أن يصدق الرسول في كل ما جاء به عن الله ، فما كان الله ليبعث رسولاً إلى البشر ثم يخدعهم هذا الرسول . حاشا وكلا ، أما العقل فله مجاله في التفكر في آيات الله وسنة رسول الله واستنباط الأحكام منها بهدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي علمه لصحابته . أما ضرب الآيات بعضها ببعض أو الطعن فى الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بزعم أن العقل لا يقبلها فهذا من سوء استخدام العقل فليس للعقل أن يتدخل في غيب الله . وفي الحقيقة ليس هناك أى تناف أو افتراق بين العقل الصحيح والنقول الصريحة في الإسلام .

(٨٥) حديث نزول الله جل وعلا إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل متفق عليه من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول [وفي رواية ثلثاه] فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له: من ذا الذي يسألني فأعطيه ! من ذا الذى يستغفرني فأغفرله ! فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر** » . رواه البخاري بنحوه في التهجد ١١٤٥ ٣/٣٥ ، ٣٦ ومسلم في صلاة المسافرين ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ١/٥٢٢ ، ٥٢٣ ، واللفظ له .

(٨٦) هذا أصل عظيم من أصول الدين ألا وهو الاتباع ، فهنا يحتج شريك بن عبد الله بأنه قد أخذ هذا الدين عن التابعين عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فمن أين أخذ المخالفون وأصحاب البدع دينهم وظاهر الإجابة أنهم لم يأخذوه إلا من أهوائهم وشياطينهم .

الثوري، وزهير بن معاوية ، وحدثنا حسن بن صالح بن حي ، وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي ، هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن الله تعالى لا يُرى - يعني بشر المريسي[(٨٧)].

فصل : [في المنقول عن الأئمة الأربعة ونظرائهم وشيوخهم وأتباعهم على طريقهم ومناهجهم]

ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس :

الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم .

قول عبد الله بن المبارك :

ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ : ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُون ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ الْجَحِيمِ ، ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُون** ﴾ [٨٣/١٥ - ١٧]

قال ابن المبارك : بالرؤية .

قول محمد بن إدريس الشافعي :

قال في قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُون** ﴾ : لما حجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا ، قال الربيع : فقلت : يا أبا عبد الله وتقول به ، قال : نعم وبه أدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله عز وجل لما عبده .

---

(٨٧) بشر المريسى : شيخ المعتزلة ، نظر في الفلسفة وعلم الكلام فنهاه عنه الإمام الشافعي فلم يسمع له ، وكان لا يحسن النحو ويلحن في الكلام لحناً - خطأ - فاحشاً ، ابتدع هذه البدع والشناعات ثم مات في سنة ٢١٨ هـ .

قول إمام السنة أحمد بن حنبل :

قيل له : تقول بالرؤية ؟ فقال : من لم يقل بالرؤية فهو جهمي .

وقال : من قال أن الله لا يُرى فهو كافر .

قال أبو عبد الله : إذا لم نقر بما جاء عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ودفعناه ، رددنا على الله أمره ، قال الله عز وجل : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ** ﴾ [٥٩/٧] .

قول جميع أهل الإيمان :

قال إمام الأئمة محمد بن إسحق بن خزيمة في كتابه : إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين .

قول جميع أهل اللغة :

قال أبو عبد الله بن بطة : سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول في قوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَام** ﴾ [٣٣/٤٣،٤٤] . أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار .

واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم وبالتواتر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة حديث بئر معونة[٨٨] ....

(٨٨) بئر معونة : موضع غدرت فيه قبائل رَعْل وذَكْوان وعُصَيَّة وبنى لحيان بسبعين من الأنصار وكانوا من القراء ، وكان رجال من هذه القبائل قد أظهروا إسلامهم وطلبوا مدداً من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فبعث معهم هؤلاء فغدروا بهم وقتلوهم فظل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو عليهم ثلاثين صباحاً . وأنزل الله عز وجل من قول هؤلاء الشهداء قرآناً « إنا قد لقينا ربنا ... » [باختصار وتصرف من فتح الباري ٧/٤٤٥،٤٤٦] .

« إنا قد لقينا ربنا فرضيَ عنا وأرضانا »[٨٩] ، وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه »[٩٠] ، وحديث أنس « إنكم ستلقون بعدي أثرة[٩١] فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله »[٩٢] ، وحديث أبي ذر « لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة »[٩٣] ، وحديث أبي موسى « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة »[٩٤] ، وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي اطردت كلها بلفظ واحد .

فصل : في وعيد منكري الرؤية

قد تقدم قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [١٥/٨٣] وقول عبد الله بن المبارك : (ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ

---

(٨٩) رواه البخاري في المغازي ٤٠٩١ ٤٤٥/٧ بنحوه مع سبب القصة ، ٤٠٩٣ ٤٤٩/٧ بسياق أطول ، ٤٠٩٥ ٤٥٠/٧ .

(٩٠) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق ٦٥٠٧ ٣٦٤/١١ عن عبادة وعائشة ، ٦٥٠٨ ٣٦٥/١١ عن أبي موسى ، ومسلم في الذكر ١٤ ٢٠٦٥/٤ عن عبادة ، ١٥ ٢٠٦٥/٤ عن عائشة ، ١٦ ٢٠٦٦/٤ عن عائشة ، ١٧ ٢٠٦٦/٤ عن أبي هريرة ، ١٨ ٢٠٦٧/٤ عن أبي موسى .

(٩١) أَثَرَة : الانفراد بالشيء المشترك دون من يشترك فيه . والمعنى أنهم سوف يُستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك واستحقاق .

(٩٢) متفق عليه : رواه البخاري في المغازي ٤٣٣١ ٦٤٩/٧ ، ومسلم في الزكاة ١٣٢ ٧٣٣/٢ .

(٩٣) رواه أحمد ١٧٢/٥ عن أبي ذر ، والترمذي في الدعوات ٣٥٤٠ ٥١٢/٥ من حديث أنس وصححه الألباني في الصحيحة ١٢٧ .

(٩٤) لم أجده من حديث أبي موسى ولكن رواه البخاري في العلم ١٢٩ ٢٧٤/١ من حديث معاذ بلفظه هكذا .

تُكَذِّبُون ﴾ [٨٣/١٦ - ١٧] قال : بالرؤية) .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال : « قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة ؟ قالوا : لا ، قال : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة ؟ قالوا : لا ، قال : فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ، فيلقي العبد فيقول : أي فُلّ[٩٥] ألم أكرمك وأُسَوِّدْك[٩٦] وأزوجك ، وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك[٩٧] ترأس وتَرْبَع[٩٨]؟ فيقول : بلى ، فيقول: أفظننت أنك مُلَاقِيّ؟ فيقول : لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أي رَبِّ، فيقول: أفظننت أنك مُلَاقِيّ؟ فيقول: لا،فيقول : إني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك ، فيقول : يارب آمنت بك وبكتبك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا إذاً[٩٩]، ثم يقال : الآن نبعث شاهداً عليك ، فيتفكر في نفسه : مَن الذي يشهد عَلَيّ ؟ فيُخْتَم على فِيهِ ويقال لفخذه : انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليُعْذِر[١٠٠] مِن نفسه ، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله

---

(٩٥) أى فُلّ : يا فلان .

(٩٦) أسودك : أجعلك سيداً على غيرك .

(٩٧) أذرك : أتركك وأمكنك .

(٩٨) تربع : تستريح فلا تشقى ولا تتعب وتأكل المرباع أي ربع الغنيمة الذي كانت تأخذه ملوك الجاهلية من أي غنيمة يغنمها القوم .

(٩٩) ههنا إذاً : يعنى قف هنا .

(١٠٠) ليُعْذِر : أى ليزيل الله عذره من قِبَل نفسه بشهادة جوارحه عليه .

عليه »[١٠١] .

فاجمع بين قوله « **فإنكم سترون ربكم** » وقوله لمن ظن أنه غير ملاقيه « **فإني أنساك كما نسيتني** » وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء : المعاينة بالأبصار يحصل لك العلم بأن منكري الرؤية أحق بهذا الوعيد .

فصل : [وجوب الإيمان بكل الدين]

قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل الإيمان وخَاصَّة[١٠٢] رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أن الله سبحانه وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يُرى القمر ليلة البدر صحواً وكما تُرى الشمس في الظهيرة ، فإن الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة ، والذي بَلَغَّنا هو الذي بَلَغَّ الدين ، فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين[١٠٣] بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها ، إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق .

* * *

(١٠١) رواه مسلم في الزهد والرقائق ١٦ ٢٢٧٩/٤ ، ٢٢٨٠ .
(١٠٢) خَاصَّة : يعني المقربين ومن يخصهم الإنسان بقُرْبه .
(١٠٣) عضين : مُفرَّقاً مُقَسَّماً .

الباب التاسع والخمسون

(في تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم)

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ** ﴾ [٣/٧٧] .

وقال في حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ﴿ **وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين ، لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً .

وتقدم حديث أبي هريرة في سوق الجنة وقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ولا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا حاضره الله محاضرة ، فيقول : يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا** »(١) الحديث .

وتقدم حديث عدي بن حاتم « **ما منكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة** »(٢) ، وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه « **يقول الرب تبارك وتعالى للعبد ألم أكرمك وأسودك** »(٣) الحديث ، وحديث أنس في يوم المزيد(٤) ومخاطبته فيه لأهل الجنة مراراً .

---

(١) سبق تخريجه في الباب الثالث والخمسين ص ٢٤٢ برقم هامش ٧ .
(٢) سبق تخريجه في الباب الثامن والخمسين ص ٢٨٤ برقم هامش ٦٠ .
(٣) سبق تخريجه في الباب الثامن والخمسين ص ٢٩٩ برقم هامش ١٠١ .
(٤) سبق تخريجه في الباب الرابع والخمسين ص ٢٤٥ برقم هامش ٥ .

وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر التكليم .
قال البخاري في صحيحه : (باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة) وساق فيه عدة أحاديث[٥] .

فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم ، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به . والله المستعان .

* * *

(٥) كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع أهل الجنة ٤٩٦/١٣ .

الباب الستون

(في أبدية الجنة وأنها لا تفني ولا تبيد)

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَٰوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [١١/١٠٨] أي مقطوع ، ولا تنافِ بين هذا وبين قوله : ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ .

واختلف السلف في هذا الاستثناء :

* عن الضحاك : هو فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة ، يقول سبحانه أنهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والأرض إلا مدة مكثهم في النار .

قلت : وأحسن أن تُرَد المشيئة[١] إلى الجميع[٢] حيث لم يكونوا في الجنة في الموقف ، وعلى هذا فلا يبقى في الآية تخصيص .

* وقالت فرقة أخرى : العرب إذا استثنت شيئاً كثيراً مع مثله ومع ما هو أكثر منه كان معنى (إِلَّا) في ذلك ومعنى (الواو) سواء . والمعنى على هذا : سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السموات والأرض ، هذا قول الفراء ، وسيبويه يجعل (إلا) بمعنى (لكن) .

قالوا : ونظير ذلك أن تقول : (لي عليك ألف إلا الألفين الذين قبلها أي سوى الألفين) .

قال ابن جرير : وهذا أحب الوجهين إليّ لأن الله تعالى لا خلف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله ﴿ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ .

---

(١) المشيئة : أي الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ .

(٢) المقصود : جميع أهل الجنة وذلك حين وقوفهم للعرض والحساب .

قالوا : ونظيره أن تقول : (أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت أي سوى ما شئت من الزيادة عليه) .

* وقالت فرقة أخرى : هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة ما بين الموت والبعث وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة ثم هو خلود الأبد فلم يغيبوا عن الجنة إلا بمقدار إقامتهم في البرزخ .

* وقالت فرقة أخرى : المراد بمدة دوام السموات والأرض في هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه ، ولعل هذا قول من قال أن (إلَّا) بمعنى (سوى) ولكن اختلفت عبارته ، وهذا اختيار ابن قتيبة قال : المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء الله أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم .

* وقالت فرقة أخرى : (ما) بمعنى (من) كقوله : ﴿ **فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء** ﴾ [٣/٤] والمعنى : إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء .

والفرق بين هذا القول وبين أول الأقوال أن الاستثناء على ذلك القول من المدة وعلى هذا القول من الأعيان .

* وقالت فرقة أخرى الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا .

وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة .

وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه وقوله فيها : ﴿ **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذ** ﴾ محكم ، وكذلك قوله : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِن نَّفَاد** ﴾ [١٠٨/١١] وقوله : ﴿ **أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا** ﴾[٥٤/٣٨] وقوله : ﴿ **وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِين** ﴾[٤٨/١٥] .

وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن ، وأخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ، وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله : ﴿ **إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ تبين لك المراد من الآيتين ، واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية ، وذلك مفارقة للجنة تَقَدَّم على خلودهم فيها وبالله التوفيق .

وقد تقدم قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ، ويخلد ولا يموت** »[3] ، وقوله : « **ينادي مُنادٍ : يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً** »[4] .

وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **يجاء بالموت في صورة كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال : يا أهل الجنة . فَيطَّلِعُون مشفقين ،**[5] **ويقال : يا أهل النار . فَيَطَّلِعُون فرحين**[6]**، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت . فيُذبَح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت** »[7] .

* * *

---

(٣) سبق تخريجه في الباب الثالث والأربعين ص ١٨٧ برقم هامش ١٦ .

(٤) سبق تخريجه في الباب السادس والثلاثين ص ١٤٦ برقم هامش ٤ .

(٥) مشفقين : خائفين من زوال ما هم فيه من النعيم .

(٦) فَرِحين : يطمعون في خروجهم من النار .

(٧) متفق عليه : رواه البخاري في التفسير ٤٧٣٠ ٢٨٢/٨ بنحوه ، ومسلم في الجنة ٤٠ ٢١٨٨/٤ بنحوه ، وكذلك أحمد ٩/٣ .

الباب الحادي والستون

(في ذكر آخر أهل الجنة دخولاً إليها)

في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، رجل يخرج من النار حبواً ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة ، قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا ، قال فيقول : أتسخر بي وتضَحك بي وأنت الملك ؟ قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يضحك حتى بدت نواجذه ، قال فكان يقول : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة »[1] .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها ، رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال : اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها ، فيُعرض عليه صغار ذنوبه فيُقال : عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا . وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا ، فيقول : نعم ، لا يستطيع أن ينكر – وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه – فيقال له : فإن لك مكان كل سيئة حسنة ، فيقول : رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا . فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق ٦٥٧١ ١١/٤٢٦، ومسلم في الإيمان ٣٠٨ ١/١٧٣.

آله وسلم ضحك حتى بدت نواجذه »[٢] .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي على الصراط مرة ويكبو مرة وتسفعه[٣] النار مرة ، فإذا جاوزها التفت إليها فقال : تبارك الذي نجاني منك ، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فَتُرْفَعُ له شجرة فيقول : أي رب أدنني من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها ، فيقول : لا يارب ، ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم تُرْفَعُ له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول : يارب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها ؟ فيقول : لعلي إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم تُرْفَعُ له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولين ، فيقول : أي رب أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ قال : بلى يارب هذه لا أسألك غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها ، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : يارب أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ما يرضيك مني ، أيرضيك أني أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب أتستهزيء مني وأنت رب العالمين، فضحك

---

(٢) رواه مسلم في الإيمان ٣١٤ : ١٧٧/١ .

(٣) تسفعه : تلطمه وتضربه .

ابن مسعود فقال : ألا تسألونني مم أضحك ؟ قالوا : مم تضحك ؟ قال : ضحك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين حين قال : أتستهزيء بي وأنت رب العالمين، فيقول : لا أستهزيء بك ولكني على ما أشاء قادر »[٤]

وفي صحيح البرقاني من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصة ونحن نسوقه بتمامه من عنده وهو بإسناد مسلم سواء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **« إن أدنى أهل النار عذاباً متنعلٌ بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه ، وإن أدنى أهل الجنة منزلةً رجل صَرَفَ الله وجهه عن النار قِبَل الجنة ؛ ومَثَّلَ له شجرة ذات ظل ، فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة لأكون في ظلها ، فقال الله عز وجل : هل عسيت إن فعلت أن تسألني غيره ؟ قال : لا وعزتك ، فقدمه الله إليها ، ومَثَّلَ له شجرة ذات ظل وثمر أخرى ، فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وآكل من ثمرها ، قال فقال : هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره ؟ قال : لا وعزتك ، فيقدمه الله إليها ، فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء ، فيقول : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها ، فيقول : هل عسيت إن فعلتُ ذلك أن تسألني غيره ؟ فيقول:لا وعزتك لا أسألك غيره ، فيقدمه الله إليها فتبرز له الجنة فيقول : أي رب قدمني إلى باب الجنة فأكون نِجَاف**[٥] **الجنة – وفي رواية : تحت نجاف الجنة – أنظر إلى أهلها فيقدمه الله إليها ، فيرى أهل الجنة وما فيها فيقول : أي رب أدخلني الجنة ، فيدخله الجنة فإذا دخل الجنة قال : هذا لي ، فيقول الله له : تَمَنَّ ، قال فيتمنى ويُذَكِّرُه الله : سَلْ كذا وكذا ، فإذا**

---

(٤) رواه مسلم في الإيمان ٣١٠ ١/١٧٤ .

(٥) نِجَاف : جمع نَجْف وهو التل أو الكثيب .

انقطعت به الأماني قال الله : هو لك وعشرة أمثاله ، قال ثم يدخل بيته ويدخل عليه زوجتاه من الحور العين فيقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك ، فيقول : ما أُعطِيَ أحدٌ مثل ما أُعطِيت »[6] .

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : **« سأل موسى ربه : مَنْ أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : هو رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ، فيقول : رضيت رب ، فيقال : ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فيقول في الخامسة : رضيت رب ، فيقول : لك هذا وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك ، فيقول : رضيت رب ، قال : فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت . غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تَرَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، ومصداقه في كتاب الله ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾** [١٧/٣٢] »[7] .

* * *

(٦) رواه مسلم باختصار في الإيمان ٣١١ ١/١٧٥ ، ورواه أحمد ٣/٢٧ مع تقديم وتأخير .

(٧) رواه مسلم في الإيمان ٣١٢ ١/١٧٦ .

الباب الثاني والستون

(وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب)

فصل : في احتجاج الجنة والنار

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « احتجت النار والجنة ، فقالت هذه : يدخلني الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه : يدخلني الضعفاء والمساكين ، فقال الله عز وجل لهذه : أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، وقال لهذه : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ، ولكل واحدةٍ منكما ملؤها »[1] .

وفي رواية أخرى : « تحاجت النار والجنة ، فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم ، فقال الله سبحانه للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : أنت عذابي أعذب بك من شاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها . فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع قدمه عليها ، فتقول : قط قط ، فهنالك تمتلىء وينزوي[2] بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشيء لها خلقاً »[3] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في التوحيد ٧٤٤٩ ٤٤٣/١٣ ولفظه « اختصمت » ، ومسلم في الجنة ٣٥ ٢١٨٦/٤ .

(٢) ينزوى : ينضم ويجتمع (ينكمش) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في التفسير ٤٨٥٠ ٤٦٠/٨ ، ومسلم في الجنة ٣٦ ٢١٨٦/٤ .

فصل : في أن الجنة يبقى فيها فضل

فينشيء الله لها خلقاً دون النار ، في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول : قط قط بعزتك وكرمك ؟ ، ولا يزال في الجنة فضل[٤] حتى ينشيء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة** »[٥] .

وفي لفظ مسلم « **يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ، ثم ينشيء الله سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة** »[٦] .

فصل : في امتناع النوم على أهل الجنة

عن جابر قال : « **سئل نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقيل : أينام أهل الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون** »[٧] .

---

(٤) فضل : زيادة .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في التوحيد ٧٣٨٤ ٣٨١/١٣ ، ومسلم في الجنة ٣٨ ٢١٨٨/٤ .

(٦) رواه مسلم في الجنة ٣٩ ٢١٨٨/٤ .

(٧) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٥/١٠ : رواه الطبراني في الأوسط والبزار ورجال البزار رجال الصحيح اهـ . وصححه الألباني في الصحيحة ١٠٨٧ في بحث قيم جداً بعد جمع طرقه ، وراجع أيضاً (صفة الجنة) لأبي نعيم ٩٠ ١٢٦/١ ، ١٢٧ .

فصل : في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة ، فيقول : يارب أنّى لي هذه ؟[8] فيقول : باستغفار ولدك لك** »[9] .

فصل:في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله

قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَاأَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِيءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِين** ﴾[٢١/٥٢].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقرَّ بهم عينه ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْء ﴾ قال : ما نقصنا** الآباء مما أعطينا البنين »[10] .

---

(٨) أنّى لي هذه : من أى وجه ، كيف ؟

(٩) رواه أحمد ٥٠٩/٢ ، وابن ماجة بنحوه في الأدب ٣٦٦٠ ١٢٠٧/٢ ، وقال ابن كثير بعد أن ساق رواية أحمد في نهاية البداية والنهاية ٣٩٣/٢ : وهذا إسناد صحيح اهـ [باختصار] . وقال العراقي في تخريج الإحياء ٩٨٢ : رواه أحمد بإسناد حسن اهـ وحَسَّن الألباني الحديث في الصحيحة ١٥٩٨ وفي صحيح ابن ماجة ٢٩٥٣ ٢٩٤/٢ ، وصححه في صحيح الجامع ١٦١٧ .

(١٠) رواه الطبري في تفسيره موقوفاً على ابن عباس ٢٤/٢٧ ، وقال ابن كثير في تفسيره ٤٠٨/٧ : رواه البزار عن ابن عباس مرفوعاً ثم قال وقد رواه الثوري عن عمرو=

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية : هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان ؟ على ثلاثة أقوال ، واختلافهم مبنى على أن قوله ﴿ بِإِيمَانٍ ﴾ :حالٌ من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين .

* فقالت طائفة : المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به ، ألحقناهم بهم في الدرجات ، قالوا : ويدل على هذا قراءة من قرأ ﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ فجعل الفعل في الاتباع لهم .

قالوا : وقد أطلق الله سبحانه الذريه على الكبار كما قال ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ [٨٤/٦] وقال : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ [٣/١٧] وقال : ﴿ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [١٧٣/٧] وهذا قول الكبار العقلاء .

قالوا : ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه : « **إن الله يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه** » فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة أبائهم فبلغهم إياها وأن تقاصر عملهم عنها .

قالوا : وأيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية وهذا إنما يمكن من الكبار

= ابن مرة عن سعيد عن ابن عباس موقوفاً اهـ [باختصار] . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٤/٧ : رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف اهـ .

وقال ابن حجر في (الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف) ص ١٦٠ برقم ٥٣ : البزار وابن عدى وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه والثعلبي من طريق قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً ، قال البزار : تفرد قيس برفعه ، ورواه الثوري موقوفاً ورواه الحاكم والبيهقي في الاعتقاد والطبري وابن أبي حاتم من طريق الثوري عن عمرو بن مرة ، به موقوفاً اهـ . قلت : فالراجح أن الحديث موقوف وله حكم الرفع فهذا من الغيب مما لا يعلم إلا بخبر صادق وتوقيف .

وعلى هذا فيكون المعنى أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذا حقيقة التبعية وإن كانوا دونه في الإيمان ، رفعهم الله إلى درجته إقراراً لعينه وتكميلاً لنعيمه ، وهذا كما أن زوجات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم معه في الدرجة تبعاً وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن .

* وقالت طائفة أخرى : الذرية ههنا الصغار والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء والذرية تتبع الآباء وإن كانوا صغاراً في الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك إلا فيما كان من أحكام البالغين ويكون قوله ﴿ بِإِيمَانٍ ﴾ على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين أي وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء .

قالوا : ويدل على صحة هذا القول أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء في شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم ، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم وتكون أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة فيكون الآخرون في درجة السابقين .

قالوا : ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم وتبعاً فى الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً بل إيمان استقلال .

قالوا : ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين ، وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم ، وأيضاً فالحور العين والخدم في درجة أهليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم .

* وقالت فرقة منهم الواحدي : الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار ، لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب .

قالوا : والذرية تقع على الصغير والكبير والواحد والكثير والابن والأب كما قال تعالى : ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ** ﴾ [٤١/٣٦]

أي آباءهم ، والإيمان يقع على الإيمان التبعي[١١] وعلى الاختياري الكسبي[١٢] ، فمن وقوعه على التبعي قوله : ﴿ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ** ﴾ [٩٢/٤]

فلو أعتق صغيراً جاز .

قالوا : وأقوال السلف تدل على هذا .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : « **إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عيونهم ثم قرأ هذه الآية** » .

وقال ابن مسعود في هذه الآية : الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة ، فيرفعون إليه لتقر بهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك .

وقال أبو مجلز : يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا ، وقال الشعبي : أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة .

وقال إبراهيم : أُعْطُوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً ، قال[١٣] : ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ

---

(١١) الإيمان التبعي : هو إيمان الصغير تبعاً للكبير ، كإيمان الطفل لإيمان أبويه أو بيئته .

(١٢) الإيمان الكسبي الاختياري : هو إيمان المرء باختياره وإرادته ويكون ممن له تمييز ورشد .

(١٣) أي الواحدي .

﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَار ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَان ﴾ [٩/١٠٠] ، ومن قرأ ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾ فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكماً فدلت القراءتان على النوعين .

* قلت : واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات ، ولا يلزم مثل هذا في الصغار فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته . والله أعلم .

فصل : في أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **احتجت الجنة والنار** »[١٤] .

وعن سعيد الطائي (أُخبِرتُ أن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها : تزيني ، فتزينت ثم قال لها : تكلمي ، فتكلمت فقالت : طوبى لمن رضيتَ عنه) وقال قتادة : (لما خلق الله الجنة ، قال لها : تكلمي ، فقالت : طوبى للمتقين) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمي ، فقالت : قد أفلح المؤمنون** »[١٥] .

(١٤) سبق تخريجه في هذا الباب ص ٣٠٩ برقم هامش ١ .

(١٥) سبق تخريجه في الباب السابع والخمسين ص ٢٥١ برقم هامش ٦ .

فصل : في أن الجنة تزداد حسناً على الدوام

عن كعب قال : « ما نظر الله إلى الجنة إلا قال : طيبي لأهلك فتزداد ضعفاً حتى يدخلها أهلها »[١٦] .

فصل : في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك وقول الحوراء لامرأته في الدنيا : « **لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا** »[١٧] .

وعن أبي سليمان الداراني قال : كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان إن نزلوا فهو يصلي وإن أكلوا فهو صائم ، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً فلما أراد أن يفارقه قال له : يا أخي أخبرني ما الذي هيجك[١٨] إلى ما رأيت ؟ قال : رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، فلما تم البناء إذا شرافة[١٩] من زبرجدة وشرافة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين مُرْخِية شعرها ، عليها ثوب من فضة ينثني معها كلما تثنت ، فقال : جِدّ إلى الله في طلبي فقد والله

---

(١٦) سبق تخريجه في الباب الثامن والخمسين ص ٢٩٣ برقم هامش ٨٣ .

(١٧) سبق تخريجه في الباب السابع والأربعين ص ٢١٨ برقم هامش ٤ .

(١٨) هَيَّجَكَ : أثارك وحَفَّزَك .

(١٩) شرافة : موضع يجعل في القصور العالية ليجلس الإنسان فيه ويرى من أعلى وهى تشبه فى عصرنا هذا (البلكونة) .

جددت إليه في طلبك ، فهذا الذي تراه في طلبها .

قال أبو سليمان : هذا في طلب حوراء فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها .

فصل : في ذبح الموت بين الجنة والنار

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُون ﴾ [١٩/٣٩] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يُجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون[٢٠] وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، ثم يقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال فيؤمر به فيُذْبَح ، قال ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُون ﴾** »[٢١] متفق عليه .

وفي الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يدخل أهل الجنة الجنة ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه** »[٢٢] .

---

(٢٠) يشرئبون : يتطاولون ويمدون أعناقهم .

(٢١) متفق عليه : رواه البخاري في التفسير ٤٧٣٠ ٢٨٢/٨ ، ومسلم في الجنة ٤٠ ٢١٨٨/٤ .

(٢٢) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق ٦٥٤٤ ٤١٤/١١ ، ومسلم في الجنة ٤٢ ٢١٨٩/٤ .

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار ، أُتِيَ بالموت حتى يُجعل بين النار والجنة ، ثم ينادي منادٍ : يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم** »[٢٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، أُتِيَ بالموت مُلَبَّباً**[٢٤] **فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، فيطَّلِعُون خائفين ، ثم يقال : يا أهل النار ، فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء : قد عرفناه هو الموت الذي وُكِّل بنا ، فيُضْجَع فَيُذْبَح ذبحاً على السور ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت** »[٢٥] رواه النسائي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وهذا الكبش والإضجاع والذبح ، ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، فإن الله سبحانه ينشيء من الموت صورة كبش يُذبح كما ينشيء من الأعمال صوراً مُعَايَنة يُثاب بها ويُعَاقَب . والله تعالى ينشيء من الأعراض[٢٦] أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشيء من الأجسام أعراضاً

---

(٢٣) متفق عليه : رواه البخاري في الرقاق ٦٥٤٨ ٤٢٣/١١ ، ومسلم في الجنة ٤٣ ٢١٨٩/٤ .

(٢٤) مُلَبَّباً : مقيداً ، والتلبيب لُغةً هو جمع الثياب عند النحر ثم الجَرّ منها .

(٢٥) رواه أحمد ٣٦٩/٢ ، والترمذي في صفة الجنة ٢٥٥٧ ٥٩٦/٤ . ولم أجده عند النسائي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٠٧٢ ٣١٦/٢ ، ٣١٧ .

(٢٦) الأعْرَاض : جمع عَرَض وهي الصفة التي تكون غير قائمة في الوجود بذاتها مثل الشجاعة — القوة — الجبن ... وهي في الفلسفة بمعنى ما يوجد في حامله ويزول عنه بدون فساد حامله .

كما ينشيء سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ، كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان** »[٢٧] الحديث . فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه غمامتين .

وكذلك قوله في الحديث الآخر « **إن ما تذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتهليله يتعاطفن[٢٨] حول العرش لهن دَوِيّ[٢٩] كدَوِيّ النحل يُذَكِّرْنَ بصاحبهن [أفلا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يُذَكِّرُ به[٣٠]**][٣١] ذكره أحمد .

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها « **فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الصالح .. ، وأنا عملك السيء** »[٣٢] . وهذا حقيقة لا خيال ولكن الله سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة ، وهل النور الذي يُقْسَم بين المؤمنين يوم القيامة[٣٣] إلا نفس إيمانهم أنشأ الله سبحانه لهم منه نوراً يسعى بين أيديهم، فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص ، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل.

وعن الحسن أنه ذكر هذه الآية ﴿ **أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى**

---

(٢٧) رواه مسلم في صلاة المسافرين ٢٥٢ ٥٥٣/١ بسياق أتم من هنا .

(٢٨) يتعاطفن : يتعاطف أي ينثني ويميل ويتهادى .

(٢٩) دَوِيّ : حفيف وصوت النحل .

(٣٠) رواه أحمد ٢٧١/٤ ، وابن ماجة في الأدب ٣٨٠٩ ١٢٥٢/٢ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٣٠٧١ ٣٢٠/٢ من حديث النعمان بن بشير .

(٣١) ما بين القوسين [ ] ليس من الأصل ولكن رأيت إكمال الحديث إتماماً للفائدة .

(٣٢) سبق تخريجه في الباب الثامن ص ٦٣ برقم هامش ١٠ .

(٣٣) إشارة لقوله تعالى : ﴿ **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ .

﴿ وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِين ﴾ [٣٧/٥٩] قال : علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يَقطعه . فقالوا: أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ؟ قيل : لا ، قالوا : إن هذا لهو الفوز العظيم .

وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه : (أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش وأمنوا من الأسقام فهناهم في جوار الله طول المقام) ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته .

فصل : في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فإنها دائمة

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ، ويكون طعامهم ذلك جشاءً ورشحاً كرشح المسك ، يُلْهَمون التسبيح والحمد كما يُلْهَمُون النفس** »[٣٤] .
وفي رواية « ... **التسبيح والتكبير كما تُلْهَمُون** .. » أي تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس .

فصل : في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا

قال الله تعالى : **﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِين ﴾** [٣٧/٥٠ - ٥١] الآيات وقد تقدم الكلام عليها[٣٥] .

وقال تعالى : **﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُواْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُوم ﴾** [٥٢/٢٥ - ٢٧] .

---

(٣٤) رواه مسلم في الجنة ١٩ ٤/٢١٨١ .
(٣٥) في الباب الثاني والخمسين ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

وإذا تذاكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يُشْكَل عليهم في الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة وصحة الأحاديث أولى وأحرى ، فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألذ من الطعام والشراب والجماع فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذة ، وهذه لذة يختص بها أهل العلم ويتميزون بها على من عداهم .

* * *

الباب الثالث والستون

(في ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره)

قال الله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [٢/٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١٠/٦٢ - ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون ﴾ [٤١/٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَٰئِكَ هُمْ أُوْلُواْ الأَلْبَاب ﴾ [٣٩/١٨] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيم ﴾ [٩/٢٠ - ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ﴾ [٤٢/٢٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخشِيَ الرَّحْمٰنَ بالْغَيْبِ فَبشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [١١/٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾ [٣٣/٤٥-٤٧].

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣/١٦٩ - ١٧١] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ والْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [٩/١١١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُوْلَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [٢/١٥٥ - ١٥٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٦١/١٣] .

وقال في الجنة : ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣/١٣٣] .

وقال : ﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِه ﴾ [٥٧/٢١] .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ [١٨/١٠٧] .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون ﴾ إلى قوله : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُون ﴾ [٢٣/١ - ١١] .

وفي المسند وغيره أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « قد أنزلت علي عشر آيات ، من أقامهن دخل الجنة ، ثم تلا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُون ﴾ حتى ختم العشر آيات »(١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَات ﴾ إلى قوله : ﴿ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [٣٣/٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِين ﴾ [٩/١١٢] .

وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً ﴾ [١٩/٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ والْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِين ﴾ [٣/١٣٣ - ١٣٦] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ

---

(١) رواه أحمد ٣٤/١ ، والترمذي في تفسير القرآن ٣١٧٣ ٣٠٥/٥ ، والبغوي في شرح السنة ١٣٧٦ ١٧٧/٥ ، ١٧٨ وقال : هذا حديث حسن اهـ . وقال العلامة أحمد شاكر في المسند٢٢٣ ٢٥٥/١ ، ٢٥٦ :إسناده صحيح اهـ .

وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٦١/١٠ - ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [٥٥/٤٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [٧٩/٤٠ - ٤١] .

وهذا في القرآن كثير مداره[٢] على ثلاث قواعد :

* إيمان وتقوى .
* وعمل خالص لله .
* على موافقة السنة .

فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق ، وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها ، وهي تجتمع في أصلين :

* إخلاص في طاعة الله .
* وإحسان إلى خلقه .

وضدها يجتمع في الذين يراءون ويمنعون الماعون[٣] .

وترجع إلى خصلة واحدة ، وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابه[٤] ، ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأما الأعمال التى هى تفاصيل هذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة : أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول في كل ما أخبر به ،

---

(٢) مداره : أى يُبْنَى ويُؤسس على ، وفي الأصل (مقداره) وليس لها معنى هنا .

(٣) الماعون : هو المعاونة وتشمل الزكاة والصدقة حتى إعارة الأدوات التي يحتاجها الناس في حياتهم العادية .

(٤) مَحَابه : محبوباته وأوامره .

وطاعته في جميع ما أمر به إيجاباً واستحباباً ، كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، كما قال الشافعي رحمه الله (الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه) .

فصل : ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولاً وهو خاتمة دعوى أهل الجنة

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [١٠/٩ — ١٠] .

عن قتادة قوله تعالى : ﴿ **دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ** ﴾ يقول : ذلك دعاؤهم فيها وتحيتهم فيها سلام .

فأخبر الله تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا : سبحان الله ، وعن آخر دعواهم عندما يحصل لهم وهو قولهم : الحمد لله رب العالمين .

ومعنى الآية أعم من هذا ، والدعوى مثل الدعاء ، والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسئلة[1] .

وفي الحديث « **أفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين** »[2] فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة ، فأخبر سبحانه عن أوله وآخره ، فأوله تسبيح

---

(١) المسئلة : الطلب .

(٢) لم أجد هذا اللفظ ولكن وجدته بلفظ « **أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله** » رواه الترمذي في الدعوات ٣٣٨٣ ٥/٤٣١ ، وابن ماجة في الأدب ٣٨٠٠ ٢/١٢٤٩ ، وحسنه الألباني في تخريج المشكاة ٢٣٠٦ وفي صحيح ابن ماجة ٣٠٦٥ ٢/٣١٩ .

وآخره حمد[٣] ، يُلْهَمُونهما كما يُلْهَمُون النَّفَس[٤]. وفي هذا إشارة إلى أن التكليف في الجنة يسقط عنهم ، ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التي يلهمونها ، وفي لفظة ﴿ اللَّهُمَّ ﴾ إشارة إلى صريح الدعاء فإنها متضمنة لمعنى يا الله فهي متضمنة للسؤال والثناء .

* * *

(٣) كما في حديث مسلم « **يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس** » سبق في هذا الباب ص ٣٢٠

(٤) ومعنى الإلهام : أنهم لا يتكلفون ولا يشق ذلك عليهم كما لا يشق عليهم التنفس .

فهرس المراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : التفاسير .

١ - تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) .
طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٢ - تفسير ابن قتيبه (تفسير غريب القرآن) : تحقيق السيد أحمد صقر.
ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان طبع ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٣ - تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) .
تحقيق : عبد العزيز غنيم - محمد أحمد عاشور - محمد إبراهيم البنا . طبع دار الشعب - مصر .

٤ - تفسير البغوي (معالم التنزيل) .
تحقيق : خالد عبد الرحمن العك - مروان سوار .
ط دار المعرفة - بيروت - لبنان . الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٥ - تفسير السيوطي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) .
دار المعرفة - بيروت - لبنان .

٦ - تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

٧ - تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) .
تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر .
طبعة دار المعارف - مصر - الطبعة الثانية .

٨ - التفسير القيم : جمع وإعداد : محمد أويس الندوي .
تحقيق محمد حامد الفقي .
طبع دار الكتب العلمية بيروت - لبنان طبعة ١٣٨٩هـ - ١٩٧٨م .
٩ - المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني .
تحقيق محمد سيد كيلاني .
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ- ١٩٦١م .

ثالثاً : كتب الحديث والآثار (المسندة)

١ - أسباب النزول : الواحدي النيسابوري .
دار ومكتبة الهلال - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٥م .
٢ - الإيمان : ابن أبي شيبة .
تحقيق : الشيخ الألباني .
المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٣ - الإيمان : ابن منده .
تحقيق : د . علي بن محمد بن ناصر الفقيهي .
مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .
٤ - بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن : أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي دار الأنوار - مصر - الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ .
٥ - البعث والنشور : أبو بكر بن أبي داود .
تحقيق: الشيخ الحويني السلفي .
ط مكتبة التراث الإسلامي - مصر .

٦ - البعث والنشور : البيهقي .
تحقيق : الشيخ عامر أحمد حيدر .
مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٧ - التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة : الآجري .
تحقيق : سمير بن أمين الزهيري .
مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٨ - التوحيد وإثبات صفات الرب : ابن خزيمة .
تعليق : محمد خليل هراس .
دار الكتب العلمية - طبعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٩ - حلية الأولياء : أبو نعيم الأصبهاني .
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
١٠ - الزهد : ابن المبارك .
تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
١١ - الزهد : أحمد بن حنبل .
دار الريان للتراث - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
١٢ - سنن ابن ماجة .
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
المكتبة العلمية - بيروت - لبنان .
١٣ - سنن أبي داود .
تعليق : عزت عبيد الدعاس .
نشر وتوزيع : محمد علي السيد - حمص - سوريا - الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .

١٤ – سنن الترمذي .
تحقيق : أحمد محمد شاكر ثم محمد فؤاد عبد الباقي وغيره .
دار الحديث بالأزهر – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
١٥ – سنن النسائي (المجتبى) مع شرح السيوطي وحاشية السندي .
المكتبة العلمية – بيروت – لبنان .
١٦ – السنة : ابن أبي عاصم .
تحقيق الشيخ الألباني .
المكتب الإسلامي – الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
١٧ – السنة : عبد الله بن أحمد بن حنبل .
تحقيق : د . محمد بن سعيد بن سالم القحطاني .
دار ابن القيم – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
١٨ – شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : اللالكائي .
تحقيق : د . أحمد سعد حمدان .
دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض .
١٩ – شرح السنة : البغوي .
تحقيق شعيب الأرناؤوط – زهير الشاويش .
المكتب الإسلامي – الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
٢٠ – شعب الإيمان (الجامع لشعب الإيمان) : البيهقي .
تحقيق : د . عبد العلي عبد الحميد حامد .
الدار السلفية – بومباي – الهند – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٤٠٩هـ – ١٩٨٦م ١٩٨٩م .
٢١ – صحيح البخاري (مع شرحه فتح الباري للحافظ ابن حجر) .
تحقيق وتعليق : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز– محب الدين الخطيب– محمد فؤاد عبد الباقي نشر ومراجعة: قصي محب الدين الخطيب.
المطبعة السلفية ومكتبتها – الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ١٤٠٧ هـ .

٢٢ – صحيح مسلم .
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) – الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م .
٢٣ – صفة الجنة : أبو نعيم .
تحقيق : علي رضا عبد الله .
دار المأمون للتراث – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
٢٤ – عشرة النساء : النسائي .
تحقيق : عمرو علي عمر .
مكتبة السنة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
٢٥ – فضائل الصحابة : أحمد بن حنبل .
تحقيق : وصي الله بن محمد بن عباس .
دار العلم للطباعة والنشر – السعودية – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
٢٦ – مستدرك الحاكم – وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي .
دار الفكر – بيروت – لبنان سنة ١٣٩٨هـ – سنة ١٩٧٨م .
٢٧ – مسند أبي يعلى : تحقيق حسين سليم أسد .
طبعة دار المأمون للتراث – دمشق – سوريا .
الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م (يصدر تباعاً) .
٢٨ – مسند أحمد بن حنبل .
المكتب الإسلامي – الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٢٩ – مسند أحمد بن حنبل .
تحقيق أحمد محمد شاكر .
دار المعارف – مصر – الطبعة الثالثة ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩م ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .
٣٠ – منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود : أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي .
المكتبة الإسلامية – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .
٣١ – موطأ مالك .
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) .

رابعاً : شروح الحديث

١ – فتح الباري شرح صحيح البخاري : الحافظ ابن حجر .
تحقيق وتعليق وترقيم الأفاضل : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – محب الدين الخطيب – محمد فؤاد عبد الباقي – نشر ومراجعة : قصي محب الدين الخطيب .
المطبعة السلفية ومكتبتها – الطبعة الثانية ١٤٠١هـ – ١٤٠٧هـ .
٢ – شرح النووي على صحيح مسلم .
دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان .
٣ – شرح السنة : البغوي .
تحقيق : شعيب الأرناؤوط – زهير الشاويش .
٤ – زاد المعاد في هدي خير العباد : ابن القيم .
تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط .
مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية – الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

خامساً : كتب تخريج وتحقيق للأحاديث

١ - تخريج أحاديث إحياء علوم الدين : العراقي - ابن السبكي - الزبيدي .
استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد .
دار العاصمة للنشر بالرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٢ - تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (الكافى الشافِ) : الحافظ ابن حجر .
ملحق مع طبعة دار المعرفة - بيروت .

٣ - الترغيب والترهيب : المنذري .
تعليق : د . محمد خليل هراس .
مكتبة الجمهورية العربية - مصر .

٤ - جامع الأصول : ابن الأثير .
تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط .
دار الملاح للطباعة والنشر - مكتبة الحلواني - مكتبة دار البيان .
طبعة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٥ - رياض الصالحين : النووي .
تحقيق : شعيب الأرناؤوط .
مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٦ - الصحيح المسند من أسباب النزول : مقبل بن هادي الوادعي .
المكتب السلفي .

٧ - العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية : ابن الجوزي .
تحقيق خليل الميس من مطبوعة إرشاد الحق الأثري .
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٨ – القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد – وذيله : الحافظ ابن حجر – محمد صبغة الله المدراسي الهندي .
إدارة ترجمان السنة – لاهور – باكستان .
٩ – كشف الخفا ومزيل الإلباس : العجلوني .
تحقيق : أحمد القلاش .
مؤسسة الرسالة – الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
١٠ – اللآليء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : السيوطي .
دار المعرفة – طبعة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
١١ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : الهيثمي .
دار الريان للتراث – طبعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
١٢ – المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : ابن حجر .
تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .
نشر التراث الإسلامي – إدارة الشئون الإسلامية بالكويت . الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ .
١٣ – موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان : الهيثمي .
تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة .
المطبعة السلفية ومكتبتها .
١٤ – مؤلفات وتخريجات محدث ديار الشام العلامة محمد ناصر الدين الألباني – حفظه الله .
* أحكام الجنائز وبدعها . المكتب الإسلامي – الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
* إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل . المكتب الإسلامي – الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
* الإيمان لابن أبي شيبة . المكتب الإسلامي
الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣ م .

* خطبة الحاجة . المكتب الإسلامي – الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ .
* رفع الأستار للصنعاني . المكتب الإسلامي – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .
* رياض الصالحين للنووي . المكتب الإسلامي – الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
* السلسلة الصحيحة . المكتب الإسلامي ، المكتبة الإسلامية عمّان – الأردن ، الدار السلفية بالكويت .
* السلسلة الضعيفة . المكتب الإسلامي ، المكتبة الإسلامية عمان – الأردن ، مكتبة المعارف بالرياض .
* شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز . المكتب الإسلامي . الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م .
* صحيح الترغيب والترهيب . المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .
* صحيح الجامع الصغير وزيادته . المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .
* صحيح سنن ابن ماجة . مكتب التربية – المكتب الإسلامي . الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م .
* صحيح سنن الترمذي . مكتب التربية – المكتب الإسلامي . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
* صفة صلاة النبي . المكتب الإسلامي . الطبعة الثامنة ١٣٩٧هـ .
* ضعيف سنن ابن ماجة . مكتب التربية . المكتب الإسلامي . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
* ضعيف الجامع الصغير وزيادته . المكتب الإسلامي . الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

* ظلال الجنة في تخريج السنة . المكتب الإسلامي . الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
* غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام . المكتب الإسلامي . الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
* فقه السيرة للغزالي . دار الكتب الإسلامية - عابدين - القاهرة - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
* القائد إلى تصحيح العقائد للمعلمي اليماني . المكتب الإسلامي . الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
* الكلم الطيب لابن تيمية . المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ .
* مختصر الشمائل المحمدية للترمذي . المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .
* مشكاة المصابيح للخطيب التبريزى . المكتب الإسلامي . الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
١٥ - نهاية البداية والنهاية : ابن كثير .
تحقيق محمد أحمد عبد العزيز .
دار التراث الإسلامي بالأزهر - مصر .

سادساً : كتب التراجم .

١ ــ الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر .
مصورة عن طبعة السلطان عبد الحفيظ ملك المغرب بمصر
نشر مكتبة المثنى - بيروت - لبنان.
٢ - البداية والنهاية : ابن كثير .
تحقيق : د . أحمد أبو ملحم ، د . علي نجيب عطوى ، فؤاد السيد ، مهدي ناصر الدين ، علي عبد الساتر .
دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣ - تهذيب الأسماء واللغات : النووي .
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
٤ - مناقب الشافعي : البيهقي .
تحقيق : السيد أحمد صقر .
دار التراث - الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

سابعاً : كتب الملل والنحل والفِرَق

١ - الفَرْق بين الفِرَق : عبد القاهر بن طاهر البغدادي .
تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .
مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة .
٢ - المِلَل والنِّحَل : الشهرستاني .
تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل .
مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع .
٣ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : د . علي سامي النشار .
دار المعارف - مصر . الطبعة الرابعة ١٩٦٦م .

ثامناً : كتب اللغة والقواميس

١ - أساس البلاغة : الزمخشري .
دار الشعب - القاهرة . طبعة ١٩٦١م .
٢ - القاموس المحيط : الفيروز آبادي .
تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .
مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٣ - لسان العرب : ابن منظور .
تحقيق : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي . دار المعارف - مصر .

٤ - مختار الصحاح : أبو بكر الرازي .
ترتيب : محمود خاطر بك .
الأميرية ببولاق - الطبعة الخامسة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

تاسعاً : كتب مساعدة

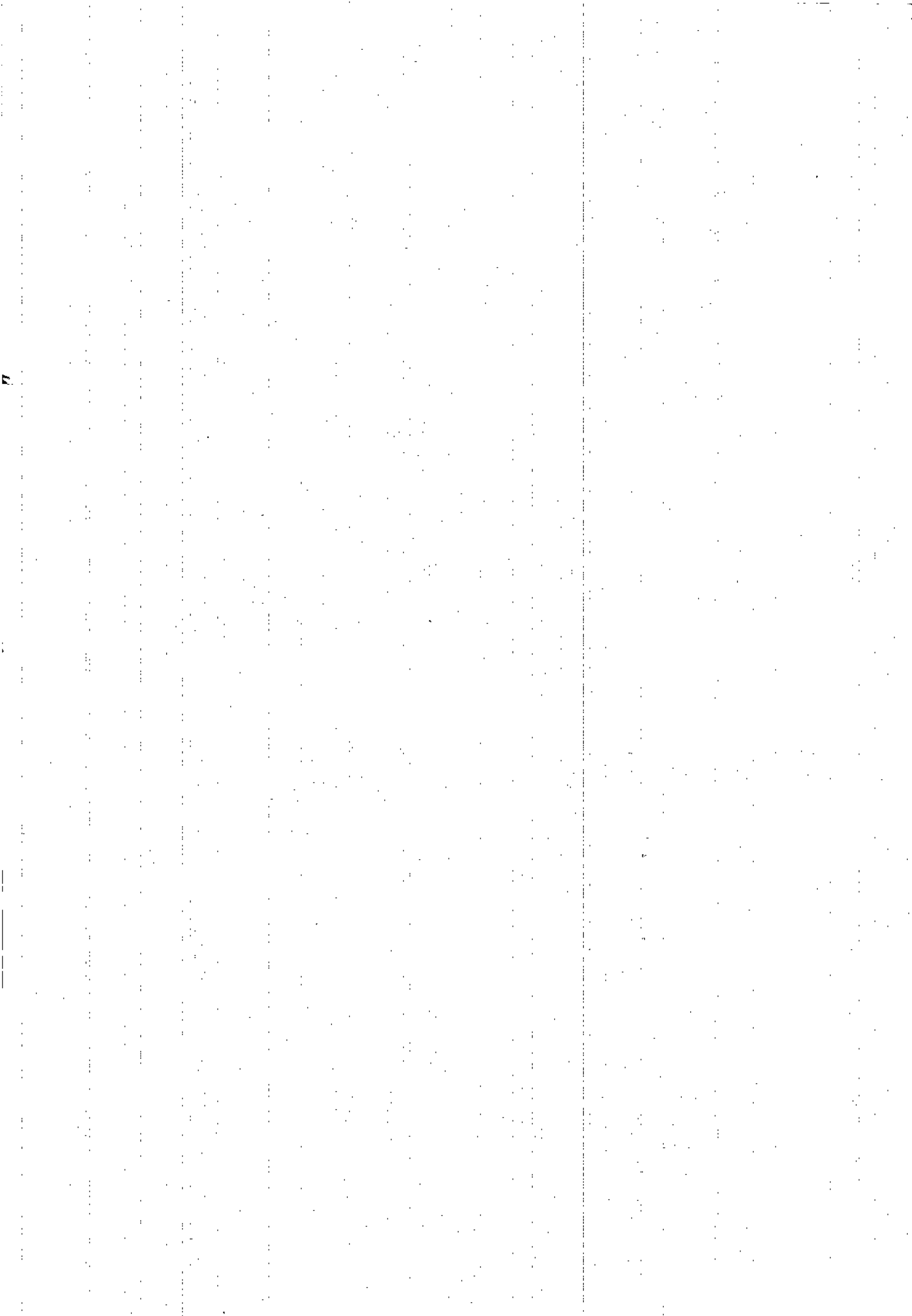
١ - فهارس متنوعة لكتب السنة والتفسير : د . يوسف المرعشلي وغيره .
طبعات متعددة .

٢ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي : مجموعة من المستشرقين .
دار الدعوة - استانبول - تركيا - طبعة ١٩٨٦م .

٣ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي .
المكتبة الإسلامية - استانبول - تركيا .

٤ - مفتاح كنوز السنة : د . ا . ى . فِنسِنك .
ترجمة : محمد فؤاد عبد الباقي .
دار القلم بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٩٨٥م .

* * *

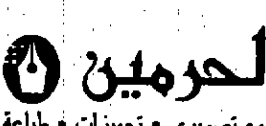


فهـرس الكتـاب

* * *

رقم الإيداع

١٩٩٠/٢٥٥١



جمع تصويري • تجهيزات • طباعة
٧٢ شارع مصر والسودان
حدائق القبة ـ القاهرة
☎ : ٨٢٠٣٩٢